

فتح الحناكسى

بلاغة — أدب — نقد

تأليف

على الجندى

أستاذ بكلية دارالعلوم — جامعة القاهرة

مكتبة الطبع والنشر
دار الفكر العربى

مطبعة الأستاذ بمصر ١٩٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من نحو ثلاثة أعوام أخرجت الحلقة الأولى من سلسلة فنون البديع وهي فن الأسجاع في جزأين ، واليوم أخرج الحلقة الثانية وهي فن الجناس ، متوخيا فيها ما توخيته في أختها من دراسة دقيقة مستوعبة للمادة العلمية في مختلف مظاهرها ، ثم نخلها ومعارضة بعضها ببعض وتمييز صحيحها من عليلها وإثبات ماصح منها في سموط منظمة عمادها التلاؤم والانسجام ، مشفوعة بالرأى الذى اعتنقته دون تعصب لمذهب على آخر .

وقد رأيت أن أضيف إلى الجناس فصولا اعتمداد جمهور العلماء أن يباعدوا بينها وبينه ؛ لأن النظرة السليمة هدتني إلى وجوب ضمها إليه لما يجمعهما من قرابة قريبة جعلتها جزمأ منه في نظر بعض البلغاء المحققين أو كالجزء في نظر الآخرين ، كما اقتضتني سنة التطور أن أنشئ فصولا جديدة لم يعرض لها الأقدمون في هذا الفن ، وهي فصول لها منزلتها في مثل هذه الأبحاث بخاصة .

وقد روعى في هذه الفصول جميعاً أن تخضع للنهج العلمى ، وتدين للدراسات الحديثة ؛ فأقيمت على أسس من النقد العادل والموازنة النزيهة والاستنباط السديد ، وسير في بنائها على هدى من علم النفس ، وفلسفة البلاغة والجمال ، وصناعة الأشعار والألحان .

وكان من همى ألا أعتمد على الأمثلة المأثورة ، فوشحتها بما يربى على الحصر من شعر القداى والمحدثين والعصرين استكمالاً للفائدة ، وتبياناً للتسلسل الأدبى والفنى في هذه العصور المتعاقبة .

ولست أدعى في ظل هذا الجهد العنيف المتصل أننى راض عما صنعت ، ولكنى محاولة التخلص ، والعصمة لله وحده والكمال قصر عليه .

الفصل الأول

الجناس

تسميته — اشتقاقه — تعريفه

سمي جناسا لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة .
ولا يشترط تماثل جميع الحروف ، بل يكفي في التماثل ما تقرب به
المجانسة (١) .

وقد اشتهر على ألسنة العامة بالفتح ، وصححه بعض المتأخرين بالكسر
على أنه مصدر جانس (٢) .

وقد اختلف العلماء في صحته لغويا :

ففي الأساس : هو بجانس لهذا ، وهما متجانسان ، ومع التجانس التؤانس ،
وكيف يؤانسك من لا يجانسك .

وفي المصباح : حكى الخليل : هذا يجانس هذا : أى يشاكاه .
ونص عليه في التهذيب أيضا .

وعن بعضهم : فلان لا يجانس الناس : إذا لم يكن له تمييز ولا عقل .
ومن الناس من يقول فيه : التجنيس ؛ وهو تفعيل من الجنس مصدر جنس
ومنهم من يقول : المجانسة ؛ وهي المفاعلة من الجنس أيضا ؛ لأن إحدى
الكلمتين إذا شابهت الأخرى فقد وقع بينهما مفاعلة في الجنسية .

ومنهم من يقول : التجانس ، وهو التفاعل من الجنس أيضا مصدر

(١) المثل السائر — ٩٩ — جنان الجناس — ١٠ — ١١

(٢) شفاء القليل — ٦١ — ٦٦

تجانس الشيطان : إذا دخلا في جنس واحد ، كما تقول : تحارب الرجلان تحاربا^(١) .

وعلى هذا لجميع أسمائه مشتقة من ، الجنس ، لأن كلا من اللفظين المتجانسين من جنس الآخر^(٢) .

ويرى بعضهم : أنه لم يسمع من العرب ولم يشتقوا من الجنس .
فقد حكى ابن جني عن الأصمعي : أنه كان يردّ قول العامة : هذا مجانس لهذا : إذا كان من شكله ، ويقول : ليس بعربي محض .
وحكاه عنه ابن دريد كما جاء في المصباح ، وكذا في ذيل الفصح للموفق البغدادي .

وقد ردّ صاحب القاموس على ابن دريد ما نقله عن الأصمعي : بأنه —
أي الأصمعي — واضع كتاب الأجناس وأول من جاء بهذا اللقب .

وقد عجب الخفاجي من رد صاحب القاموس ، وقال : إن الأصمعي لم ينكر لفظ الجنس ولا جمعه ، وإنما أنكر تصرفه ، وبجرد التسمية لا يقتضى صحته .
وفي التكملة لعبد اللطيف البغدادي : أن لفظ التجنيس والمجانسة مولد لم تتكلم به العرب ، وجماعة من نقلة اللغة القاصرين عن درجة القياس ينكرون هذه اللغة ونحوها بما اشتقّ قياسا على كلام العرب ، وهذه الألفاظ بما تجوز قياسا لأسماء ، وهو مشتق من لفظ الجنس كالتنويح من النوع^(٣) .
وقول المتكلمين : تجانس الشيطان ليس بعربي أيضا ، إنما هو توسع .
والمجانسة عند أرباب المعقول : الاتحاد في الجنس كالإنسان والفرس ، فإنهما متحدان في الحيوانية التي هي جنسهما القريب أيضا^(٤) .

(١) جنان الجناس — ١٠ — كليات أبي البقاء — ١١٢

(٢) عروس الأفراس — ٤١ — ٤١٣ — المرشدي على عقود الجمان — ٢ — ١٣٩

(٣) العمدة — ١ — ٢٢٧ — جنان الجناس — ١١ — خزانة الأدب للحموي

— ٢٥ — شفاء الفليل — ٦١ — ٦٦ — ٦٧

(٤) المرشدي على العقود — ٢ — ١٣٩

مادة الجنس :

ومن العجيب أن مادة الجنس في تصرف حروفها من حيث تقديم بعضها على بعض وما ينجم عن ذلك من التركيب لا تخرج عن ستة أقسام بطريق الحصر .

واحد منها مهمل وهو : ج س ن لم تضع العرب له معنى ألبتة ، ولا استعملته .

وخمسة مستعملة وهي ج ن س . ن ج س . س ج ن . ن ش ج . س ن ج وهي كيفما وجدت لا يخرج معناها عن انضمام الشيء إلى ما يشاكله ويتحد به ويميل إليه ويقرب منه ، فكلها قريب بعضها من بعض .

أما الأول جنس ، فهو الجنس ، وهو في اللغة : الضرب .
والضرب أعم من النوع ؛ تقول هذا النوع من ضرب هذا : أى من جنسه .
فالجنس من كل شيء : ما ترجع الأنواع إليه .

وأما الثاني نجس ؛ فالنابس والنجس : داء يأخذ الإنسان لا يبرأ منه .
سمى بذلك لما كان ينضم إلى جسم الإنسان ويتحد به ؛ حتى كأنه جزء من حقيقته فليس له زوال .

والتنجيس : شيء كانت العرب تفعله كالعودة تدفع بها العين ، كأنهم يجعلون الصحة إلى من يفعلون به ذلك ؛ كالذي يضم الشيء إلى أخيه ويجمع بينهما .

وأما الثالث سجن ، فإنه السجن وهو الحبس ؛ سمي بذلك لأنه لما كان الذي يحبس فيه يضطر إلى مكان يلزمه ولا يفارقه ، ويمنع من التحول عنه والخروج منه ، كان المحبوس كالنوع الذي لا يخرج عن نفسه ، كما أن الإنسان لا يخرج عن الحيوانية التي هي جنسه .

وأما الرابع نسج فإنه النسج ، وهو ضم خيوط الغزل من الحرير والكتان وغير ذلك بعضها إلى بعض إلى أن تلتحم تلك الأجزاء وتعود كالشيء الواحد وتلتئم بعد الافتراق ، ولهذا قالوا : فلان نسج وحده ؛ إذا انفرد في فنه

حتى كأنه ليس من أضرابه فيما امتاز به عنهم ، بل هو منظم بعضه إلى بعض كالذى نسج على حدة وحده .

وأما الخامس منج ، فن السناج وهو أثر الدخان من السراج في الحائط وذلك أن الدخان لما كان في حال صعوده من الشعلة يرى أسود ، فإذا أثر السواد في الحائط وعلق به ، عاد كأنه قد جعل تلك البقعة من جنسه في السواد والكمودة (١) .

ومثل هذا يسمى عندهم : الاشتقاق الكبير ، وهو أن تأخذ أصلا من الأصول فتحقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها ، وإن تباعد شيء من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل إليها . وإذا سقط من تراكيب الكلمة شيء ففائز ذلك في الاشتقاق ، لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة ، بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها ، أدت إلى معنى واحد يجمعها مثل لفظة وسق ، فإن لها خمسة تراكيب وهي وسق . وقس . سوق . قسو . قوس .

وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة .

فالوسق من قولهم : استوسق الأمر : اجتمع وقوى .

والوقس : ابتداء الحرب ؛ وفي ذلك شدة على من يصيبه وبلاء .

والسوق : متابعة السير ، وفي هذا عناء وشدة على السائق والمسوق .

والقسوة : شدة القلب وغلظه .

والقوس : معروفة ؛ وفيها نوع من الشدة والقوة لنزع السهم وإحراجه إلى ذلك المرمى المتباعد .

وسقط من جملة التراكيب قسم واحد وهو سقو .

وليس هذا يطرد في جميع اللغة بل قد جاء شيء منها كذلك . وسدايدل

على شرفها وحكمتها ؛ لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التكاليف وهي مع ذلك دالة على معنى واحد .

وهذا من أعجب الأسرار التي توجد في لغة العرب وأغربها ، إلا أن الاستعمال في النظم والنثر إنما يقع في الاشتقاق الصغير دون الكبير ؛ وسبب ذلك : أن الاشتقاق الصغير تكثر الألفاظ الواردة عليه ، والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد في اللغة إلا قليلا .

وأیضا فإن الحسن اللفظي الذي هو الفصاحة ، إنما يقع في الاشتقاق الصغير ولا يقع في الاشتقاق الكبير (١) .

ويقول ابن جنى في مادة قول وكلم : إن معنى قول — أينما وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخرها عنه — إنما هو للخفوف والحركة .

وجهة تراكيبها الستة ، وهي قول . قلو . وقل . ولق . لقو . لوق مستعملة كلها لم يهمل شيء منها .

وأما كلم فهذه أيضا حالها ، وذلك أنها حيث تقلبت فعناها الدلالة على القوة والشدة ، والمستعمل منها أصول خمسة وهي كلم . كل . لكم . مكل . ملك ، وأهملت منه ملك فلم تأت منه في ثبت .

فهذه أحكام هذين الأصلين على تصرفهما وتقلب حروفهما ، ومنه يرى غور هذه اللغة الشريفة السكرية اللطيفة ، ويعجب من وسيع مذاهبها ، وبديع ما أمد به واضعها ومبتدئها (٢) .

ويقول أيضا تحت عنوان «تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني» : هذا فصل من فصول العربية حسن كثير المنفعة قوى الدلالة على شرف هذه اللغة ؛ وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحث عن كل اسم منها فتجده مفضى المعنى إلى معنى صاحبه .

(١) المثل السائر — ٣٠٣ — ٣٠٤

(٢) الخصائص — ج ١ — ص ٤ — ١٢ — ١٥

وكذا تجد أيضا معنى المسك ؛ وذلك أنه فعّل من أمسكت الشيء ، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه ، ولا يعدل بها صاحبها عنه .
ومنه عندي قولهم للجلد : مسك بفتح الميم ، فهو فعّل من هذا الموضع ألا ترى أنه يمسك ما تحت جسم الإنسان وغيره من الحيوان ، ولو لا الجلد لم يتماسك ما في الجسم من اللحم والشحم والدم وبقية الأمشاج وغيرها^(١) .
ولا شك أن ما حاولوه من إيجاد روابط بين أصوات الكلمات ومعانيها لا يمكن أن يتحقق في كل المواد ، بل إن الكلمات التي وفّقوا للعشور على وجود صلات بينها وبين ما تدل عليه لا يصعب على المدقق الفاحص أن يزيّف بعضها ، ولكن ذلك على كل حال يهدينا إلى أن كثير من الكلمات المتجانسة المتباينة في معانيها والتي يجمعها أصل واحد كما في الاشتقاق الكبير ، أو تتقارب في الشكل كما في جناس القلب ، بينها روابط وثيقة تتجاوز أحيانا التشاكل في النغم الموسيقي إلى لمحة القرابة في المعنى .

تعريفه :

عرفه أرباب البديع بعبارات مختلفة اللفظ متفقة المعنى :
قال ابن المعتز : هو أن تجمّع الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام :
أي أن تشبهها في تأليف حروفها^(٢) .
وقال قدامة : هو أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة^(٣) .

وقال العسكري : أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبها في تأليف حروفها على حسب ألف الأصمى في كتاب الأجناس^(٤) .
وقال ابن الأثير : حقيقته أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا^(٥) .
وقال ابن سنان الخفاجي : هو أن يكون بعض الألفاظ مشتق من

(٢) البديع — ١٧

(٤) الصنائع — ٣٠٨

(١) الخصائص — ٥٠٧

(٣) نقد الشعر — ٩٦ — ٩٧

(٥) اللؤلؤ السائر — ٩٩

بعض إن كان معناهما واحدا ، أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفا ، أو
توافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى^(١) .

وقال بدر الدين بن النحوية في ضوء المصباح : هو أن يؤتى بمتماثلين في
الحروف أو بعضها ، متغايرين في أصل المعنى في غير رد العجز على الصدر ،
وقال الرماني : هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد
من اللغة^(٢) .

ولم يرض الصلاح الصفدي كل هذه التعاريف فقال : أما حد الرماني
فإنه أسهلها لكنه غير جامع ؛ لأنه يخرج عنه جناس التصحيف والتصريف ،
والجناس المركب ، وجناس المعنى ، والجناس المطمع .

وأما حد قدامة فإنه عرف الشيء بنفسه ، وهذا غير جائز لأن قوله :
في ألفاظ متجانسة يفضى إلى الدور ، لأننا لا نعرف المتجانس إلا بعد معرفة
الجناس ، فأدى ذلك إلى الدور وهو محال .

ويمكن الجواب عن ذلك بأن يقال : إنه ما أراد المتجانس في الاصطلاح
بل المتجانس في اللغة : أى في الألفاظ المتشابهة .

وعلى كل حال فهو حد مضطرب إذ فيه لفظ موهم والحدود يتجنب
فيها مثل ذلك .

وقوله : « على جهة الاشتقاق » يخرج عنه جميع أنواع الجناس إلا
الجناس المشتق .

وأما حد ابن المعتز فهو أيضاً تعريف دورى وذلك غير جائز في صناعة
الحدود والرسوم .

وأما حد ابن الأثير فهو أيضاً غير جامع ، لأنه يخرج عنه مثل الجناس
المزدوج والخطي والمعنوي .

وأما حد بدر الدين بن النحوية ؛ فإن قوله : « متماثلين » يشمل المائل
مطلقاً سواء أكان لفظاً أو معنى .

(١) أسرار الفصاحة — ١٨٣ (٢) جنان الجناس — ١٥

وقوله : « في الحروف ، فصل يخرج به المائل معنى .
وقوله : « أو بعضها ، مدخل للجناس المطمع والمخالف والاشتقاق .
وقوله « متغايرين في أصل المعنى ، لافائدة فيه ، لأن هذا معلوم من
قوله متماثلين في الحروف . أى دون معناهما لكن فيه زيادة بيان .
وقوله : « في غير رد العجز على الصدر ، لاجابة إليه ؛ لأن تلك
الأحرف التي رددتها من عجزها على صدرها في الآية أو السجعة أو البيت
معناها باق لم يتغير ، فلافائدة في هذا الاحتراس كما سيظهر في التمثيل .
ولو زاد على قوله : « بمتماثلين في الحروف أو بعضها ، أن يقول : أو
صورتها لكان أجود ، ليدخل فيه الجنس الخطى ، لأنه إن كان ركنا
الجناس متماثلين فيه فإن ذلك إنما هو في الصورة لا في الحقيقة ؛ لأن الحروف
المهملة مغايرة للحروف المعجمة وصورتها واحدة .
ثم زاد الصفدى على ذلك : بأنه لا دخول لجناس المعنى في حد ابن
النحوية ولا فيما حده الباقون ^(١) .

وقد لفق الصفدى تعريفاً للجناس قال فيه : والذي أختره أنا في رسم
الجناس أن أقول : هو الإتيان بمتماثلين في الحروف أو في بعضها ، أو في
الصورة ، أو زيادة في أحدهما ، أو بمتخالفين في الترتيب أو الحركات ، أو
بماثل يرادف معناه مماثلاً آخر نظماً .
وعقب على ذلك يحمله بقوله :

فقولى : « متماثلين ، : جنس يشمل المائل لفظاً ومعنى .

وقولى : « في الحروف ، : فصل أخرج المائل معنى كقولك : زيد وزيد
وأدخل الجنس التام كقولك : يحيا يحيى ، والجناس المركب كقولك : نعمته
ذاهية ، إن لم يكن ذاهية .

وقولى « أو بعضها ، أدخل الجنس المطمع كقولك الأمواه والأموال
والجناس المقارب كقولك : الهموم على قدر الهم .

(١) جنان الجنس - ١٩

وقولى : « أو فى الصورة ، أدخل الجنس الخطى كقولك : لا تضع
يومك فى نومك .

وقولى : « أو زيادة فى أحدهما ، أدخل الجنس المزدوج كقولك : الماء
من الأحجار جار .

وقولى : « أو بمتخالفين فى الترتيب ، أدخل الجنس المخالف كقولك :
بيض الصفائف والصفائح .

وقولى : « أو الحركات ، أدخل الجنس المغاير كقولك : اغتم
هبات الهبات .

وقولى : « أو بمائل يرادف معناه بمائلا آخر ، أدخل الجنس المعنوى
كقول المتنبي :

حاولن تفديتي وخفن مراقبا فوضعن أيديهن فوق ترابيا
أراد أن يقول : فوضعن أيديهن فوق أفئدتهم ، ليجانس بينها وبين
تفديتي فلم يستقم له الوزن ، فعدل إلى ما يجاور الأفئدة وهى الترائب .
وقولى : « نظما » : لإعلام بأن هذا النوع من الجنس « المعنوى » ، إنما يحى
فى النظم دون النثر (١) .

وتعريف الصفدى الذى باهى به عما يستعاذ بالله منه : فهو سلسلة طويلة
من المعطوفات ملة متوعدة معقدة ، والذى دعاه إلى ذلك حرصه الشديد
على أن يأتى به جامعا مانعا فوقع فى أقبح مما فر منه ، ولو كان التعريف يأتى
على هذه الصورة لكان من الخير أن تترك الأشياء غفلا من التعريف !
وقد عرفه السكاكى تعريفنا موجزا وهو : تشابه الكلمتين فى اللفظ (٢) .
وعرفه الخطيب : بأنه تشابه اللفظين فى اللفظ (٣) .
وبمثل هذا عرفه السيوطى أيضا (٤) .

والمراد باللفظ : النطق ، وباللفظين : ما لفظ به ، وهو أعم من أن

(١) جناس الجنس — ١٩ — ٢٠ (٢) الفتح — ٢٢٧
(٣) الإيضاح — ٢٨٢ (٤) الإيمان — ٢ — ١٥٣

يكون كل منهما كلمة واحدة أو أكثر ليدخل الجنس المركب .
 والتشابه في اللفظ يخرج به التشابه في المعنى نحو أسد وسبع ، أو في
 مجرد عدد الحروف نحو ضرب وعلم ، أو في مجرد الوزن نحو ضرب وقتل ،
 وتكرار اللفظ نحو رجل رجل ؛ فإن التشابه يقتضى التباين بين المتشابهين .
 ولكن هذا التعريف لم يستلم من المؤاخذه أيضا ؛ فقد اعترض عليه
 ابن السبكي : بأنه يدخل في هذا الرسم ، التأكيد اللفظي ، هذا إلى أنه غير
 جامع لخروج نحو : يحيا يحيى ؛ أحدهما اسم والآخر فعل ، فإنهما في اللفظ
 متحدان لامتشابهان بل شيء واحد .

ثم إن مطلق المشابهة في اللفظ تصدق بما ليس بجناس ، كما إذا كانا
 متفقين في لام الكلمة فقط أو عينها أو فائها (١) .

ولعل أحسن تعريف له وأيسره وأدناه إلى الكمال قول العلوى : هو
 اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما (٢) .

على أن بعض البديعيين فر من تعريف الجنس الشامل لأنواعه جميعا
 لعدم توفيقه إلى حد يكون جامعا مانعا مع الوجازة والسهولة والإصابة ؛
 فاكفى بتعريف كل نوع منه على حدة ، ولا شك أن تعريف النوع الواحد
 ساذج يسير لأنه محدود .

فقال ابن رشيق (٣) : التجنيس : ضروب كثيرة ، منها المائلة ، وهى أن
 تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى ، إلى آخر ما قال في بقية الأنواع .

وقال الرازى : المتجانسان : إما أن يكونا كذا وكذا (٤) . . .

وقال الحموى : وأما حدود أنواع الجنس ، فقد اختلفت فيها عبارات
 البديعيين ، ولكن نأتى بحد كل واحد من الأنواع في موضعه (٥) .

(١) عروس الأفراح — ٤ — ٤١٣ (٢) الطراز — ٣ — ٢٥١

(٣) السدة — ١ — ٢٢٠ (٤) نهاية الإيجاز — ٢٨

(٥) خزنة الأدب — ٣٧

الفصل الثاني

أصالة الجنس

عده ابن المعتز^(١) الجنس من أنواع البديع الخمسة التي تحل الصدارة ؛
وهي الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها
والمذهب الكلامي .

وقد عرض لتعريف التجنيس ، وشرح كيفية مجانسة الكلمة للكلمة ،
وساق له أمثلة نثرية من القرآن الكريم والحديث النبوي وأقوال الصحابة
والأعراب وبلغاء المحدثين ، وأمثلة شعرية من آثار الجاهليين والإسلاميين
والمولدين ، كما عرض لبعض أقسامه بالتعريف ول بعضها بالتمثيل ، ولم ينس
أن يورد أنواعاً للتجنيس المعيب .

وقد أشار ابن المعتز إلى أن الجنس مع ما ذكره من أنواع البديع قد
سبق إليها المتقدمون ، وأن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقلبهم وسلك
سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثّر في أشعارهم فعرف في زمانهم
حتى سمي بهذا الاسم ، فأعرب عنه ودل عليه .

وقد ذكر ابن رشيق : أن ابن المعتز هو أول من نحا هذا النحو في
الجناس وجمعه ، ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب ؛ يدل ذلك على ذلك
ما حكى عن رؤبة بن العجاج وأبيه : وذلك أنه قال له يوماً : أنا أشعر منك !
قال : وكيف تكون أشعر مني وأنا علمت أنك عطف الرجز !

قال : وما عطف الرجز ؟

قال : عاصم . يا عاصم . لو اعتصم .

(١) البديع ١ — ١٧

قال : يا أبت ، أنا شاعر ابن شاعر ، وأنت شاعر ابن مفحّص !
فغلبه !

فأنت ترى كيف سماه عطفًا ولم يسمه تجانسًا (١) .

ويقول ابن السبكي : هو استعمال اصطلاحى يدل عليه أن ابن سيده
قال فى المحكم : الجنس : الضرب من كل شيء وجمعه أجناس وجنوس (٢) .
ويشير الدكتور إبراهيم سلامة : إلى أن أرسطو فى الفصل الحادى عشر
من الكتاب الثالث فى الخطابة فكّر فى الجنس حيث يقول : إن معظم
النسك البلاغى التى نلحها فى الصورة والنقل ، بلاغتها فى المخاتلة التى يلجأ
إليها الأديب ، فإذا انتظرنا من الأديب معنى نخاتلنا عليه لىأتى بمعنى آخر
مضاد له ، تأثرنا به وتأثرنا بكلامه أكثر من غيره ، وكأننا من أثر هذه
الدهشة وتلك المخاتلة نقول : ما أحق ما يقول وما أصدق ، إننا نحن الذين
أخطأنا الفهم لا الأديب .

ثم يقابل الدكتور بين هذه الفقرة وبين ما قاله عبد القاهر فى سر جمال
التجنيس : قد أعاد الأديب عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد
أعطاه ، ويوهمك كأنه لم يزد شيئًا وقد أحسن الزيادة ووفاه ، فهذه
السريرة صار التجنيس من حلى الشعر ومذكورا فى أقسام البديع .
وقد خرج من هذه المقابلة على أن عبد القاهر تأثر خطأ المعلم الأول .
ثم يقرر زيادة على ذلك : أنه ليس للجناس معنى إلا التلاعب بالالفاظ
المشتركة المعنى أو قريبته .

وهذا التلاعب يعلق أرسطو عليه كثيرا ويذكره كثيرا ، وإن كانت
دلالاته عند أرسطو أعم وأشمل من دلالاته عند العرب ، إلا أن الجنس فى
نظره من هذا التلاعب ؛ استمع إليه يقول — عند تحليله لإحدى خطب
« فلبس » — : إن هذه الكلمة لم يحفظ بمعناها الأول ولكنها تحملت معنى
آخر عند إعادتها .

(٢) عروس الأفراح — ٤ — ٤١٢

(١) العمدة — ١ — ٣٣٧

ويقول أرسطو في موضع آخر : إن الكلمة المشتركة في المعنى مع كلمة أخرى إذا اقتيدت بمهارة إلى معنى آخر مغاير لمعناها الأصلي ، فذلك كل ما نرجو للبلاغة .

ثم يتساءل الدكتور بعد هذا : أكان الجنس منقولاً عن البلاغة اليونانية؟ وقد أجاب عن ذلك : بأن أغلب الظن أنه كذلك ، بل وكل الشواهد تدل على أنه كذلك .

وطبيعي أنه يقصد بالجنس المنقول : القواعد العامة وتطبيقها على البيان العربي .

ومع هذا يصرح الدكتور : بأنه بقي للعرب فضلان : أولهما : الدقة العلمية في التقسيم والتحديد ؛ لأن بعض فقرات أرسطو لا يعبر عن الجنس وحده ، بل تشمل الاستعارة والطباق والمقابلة . وثانيها : إيراد العرب شواهد مستمدة استمداداً مباشراً من أدبهم ومن كتبهم وآثارهم^(١) .

ونحن لا ننكر تأثر العرب بآثار أرسطو بعد ترجمتها ، وبخاصة عبد القاهر حتى لقد قال الدكتور طه حسين : لم يكن عند ما وضع كتابه أسرار البلاغة في القرن الخامس إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه^(٢) .

ولسكننا مع ذلك نميل إلى اعتقاد أن الجنس فن عربي خالص لا شوب فيه من البيان اليوناني ، لأسباب نذكرها فيما يلي :

١ — يعد الجنس في جملته من البلاغات الفطرية التي تجري على الألسنة بلاكد ولا تعمل ولا روية ، وآية ذلك أننا نجد الدهماء والحشوة والنساء والعامة والصبية يأتون به في أحاديثهم ومناقلاتهم وأغانيتهم وبخاصة جناس الاشتقاق والملحق به دون أن يفطنوا إلى ذلك .

فهم يقولون مثلاً : الله يسلمك رداً على قولك : سلامات .

(١) كتاب الخطابة — ٧٦ — ٧٧ — ٧٨

(٢) مسائل فلسفة الفن المعاصرة — ١٤١

ويقولون : نعمة ترفضك — في حالة الغضب — ردا على قولك : نعم
ويقولون : حضر الله لك الخير ردا على قولك : حاضر .
وهكذا .

٢ — غزارة شواهد في الأدب العربي قديمه وحديثه حتى لتكاد تجل
عن الحصر مما يدل على حب العرب لهذا اللون من الكلام .

٣ — اللغات القديمة كالعربية واليونانية أكثر توقيعا وغناء من اللغات
الحديثة بكثير .

٤ — اللغة العربية مثرية بالألفاظ المشتركة في الصيغ والمختلفة في المعنى
وهذا يساعد على اصطناع الجنس .

٥ — اللغة العربية لغة أناقة وزخرف ومبالغة وتهويل ، والنغم والوزن
والموسيقية والرنين من عناصرها الرئيسة ، وفيها من القوافي المتناسبة
ما يتعذر وجود نظيره في سائر اللغات كما يقول البستاني (١) .

وذلك يجعلنا نحكم بأن هذه اللغة في طاقاتها أن ترقد الجنس بالكسر
بأدوات التجنيس ، وتعينه على بلوغ الشأ وفيه .

٦ — شغف العرب بالغناء والإيقاع ، والجناس شعبة من ذلك بسبب
مجاورة المتماثلين من الكلمات ، حتى لتأق الكلمة الثانية خلوا من المعنى حينما
كقولهم : ذو حصاة وأصاة .

فالحصاة العقل والرزانة ، والأصاة لم يسمع لها اشتقاق (٢) .

وهذا يدلنا دلالة قوية على أن العرب كانوا يهتمون بالتسجيع والتجنيس
إلى الحد الذي لا يرون معه بأسا أن يتعموا بنيته بألفاظ لا معنى لها (٣) .

٧ — لم نعثر على شاهد واحد من الجنس اليوناني فيما وصلنا من كلام
العرب على حين نجد شيئا من ذلك في التشبيه والمجاز مثلا ؛ فعندما يقرر
أرسطو : أن المجاز يقوم على التشبيه يقول : عندما يقول : هو ميروس في
حديثه عن أخيل : كر كالأسد ، فهذا تشبيه ، وعندما يقول : كر هذا الأسد

(٢) فن الأسجاع — ١ — ١٢ .

(١) مقدمة الإلياذة — ٩٥ .

(٣) الإتياع والمزاوجة — ٢٤ .

فهذا مجاز ؛ لأنه لما كان الرجل والحيوان في هذا المثال ممتلئين شجاعة صح أن يسمى أخيل أسدا على سبيل المجاز .

خذ أى كتاب من كتب البيان العربى فستجد فيه هذا المثال ، سوى أنه قد استعمل فيه لفظ « زيد » المألوف فى شواهد البلاغة والنحو بدلا من « أخيل »^(١) .

فلو أن الجنس كان منقولا عن اليونان لعثرنا على أثر هذا النقل ولو فى مثال واحد .

٨ — تعريف الجنس وتقسيمه من صنع ابن المعتز ، والقائلون بالنقل عن اليونانية معترفون بأنه لم يطلع على آثار أرسطو .

٩ — بقيت شبهة المشابهة بين ما قاله أرسطو وما قاله عبد القاهر فى سر جمال الجنس ونكشفها فيما يأتى :

(أ) ليس لما قاله أرسطو فى سر جمال الجنس قيمة عظيمة حتى يصح أن يقال : إنه مما ينبغى أن يستأثر به المعلم الأول من الأفكار الدقيقة العميقة التى عرف بها .

(ب) بعض ما قاله أرسطو فى الجنس لا يتسم بالدقة والتحديد الذى قاله العرب فيه ؛ فعبارة أرسطو عامة تشمل الاستعارة والطباق والمقابلة أيضا كما يصرح الدكتور سلامة .

(ح) لم يعرض أرسطو فى التحدث عن سر جمال الجنس لغير النوع التام منه ، على حين ذكر بلغاء العرب أسباب سر الجمال فى كثير من أنواعه .

(د) الحكم بأن ما قاله عبد القاهر فى هذا السبيل مأخوذ من كلام أرسطو فيه حجر على الأفكار والأذواق ، وقضاء صارم بعدم توافق الخواطر وهى كثيرا ما تتوافق !

وأشهد أتى قبل الاطلاع على ما قاله أرسطو وغيره استطعت أن أعلل سر جمال الجنس بالذوق ، فما الظن بمثل عبد القاهر الموسوم بسلامة الفطرة وخصب القرينة وذقة الفكر وعمق الغوص وحسن التعليل !

(١) مقدمة نقد النثر — ١٢

الفصل الثالث

قيمة الجناس

اختلف البديعون في قيمة الجناس ، ولعلمهم لم يختلفوا في شيء إفراطا وتقرىطا كما اختلفوا فيه .

قال العلوى : هو عظيم الموقع في البلاغة جليل القدر في الفصاحة ، ولولا ذلك ما أنزل الله كتابه المجيد على هذا الأسلوب ، ولا اختاره له كغيره من سائر أساليب الفصاحة .

وهو من أطف مجارى الكلام ومن محاسن مداخله ، وهو من الكلام كالخبرة في الفرس ^(١) .

ولا ندرى معنى لاحتجاج العلوى بأسلوب القرآن على قيمة الجناس ، فالجناس أقل أنواع الحلى ورودا في القرآن الكريم ، ويكون كلامه هذا من المبالغات السمجة ، فإن كان يعنى بذلك : البديع جملة بما فيه الجناس فلا معنى لأن يفرد الجناس بهذه المزية من بين إخوته وكان قادرا أن يحسن التعبير عما يريد .

وقال الأندلسى : إن الجناس أشرف الأنواع اللفظية ^(٢)

وقال ابن السبكي : وكفى التجنيس نفرا قوله — عبه الصلاة والسلام — و غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله ، وعصيه عصت الله . ،

وقال نقلا عن صاحب كنوز البلاغة — . ولم أر من ذكر فائدته ، وخطر لي أنها الميل إلى الإصغاء إليه ، فإن بمناسبة اللفظ تحدث ميلا إليها

(٢) شرح عقود الجمان ١٢٩

(١) الطراز ٣ — ٣٥١

ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء — والمراد به معنى آخر —
كان للنفس تشوف إليه^(١) .

وذكر بعض أهل الأدب والكلام : أن البلاغة على عشرة أقسام :
الإيجاز والتشبيه والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين
والمبالغة وحسن البيان^(٢) .
فعده من أقسام البلاغة .

وأكثر البلاغيين مدحا له صلاح الدين الصفدى ، وقد ألف فيه كتابه
« جنان الجناس » .

وقد جاء فى مقدمته — يذكر فضل البديع — : خصوصاً نوع
التجنيس الذى هو ركن شريعته وبيان شرعته ، وديباجة صنعائه فى صنعته
وآية سجدته ، وغاية سجعته ، وغياث نجدته ، تشهد الخطباء له بفضل جماعته
وجمعته ، وتعترف الشعراء برفع محله ومحل رفعته ، وتدخل به الألفاظ
الفصيحة الأذن بخير إذن لشفاعة حقه وحق شفيعته ، فله فى كل خلوة
جلوة ، وفى كل خطوة حظوة ، إن دخل فى خطبة توجها ، أو قصيدة دجها
أو شبهة روجها ، أو وضع فى الطروس نغمها ، أو نسخ كلمة جاء بخير منها
وحققها ، فهو فى البديع غال خده وطراز برده ، وفص غاتمه ، وجود
حاتمه ، وسجع حمامه ، وسح غمامه ، وزهر كمامه ، وقر تمامه ، متى عد فى
القصيدة يديت كان الجناس طرازه ، ومتى طاف بالبلاغة متكلم كانت أركانه
كعبته ، وحجابه حجازه ، ومتى كان للسحر الحلال باب كان فى الحقيقة
إليه مجازه ، قد أخذت أفراد محاسنه بمجامع القلب ، ودخلت على كل أب
بهمزة السلب ، فهو نوع فيه على الحسن عون يكسب اللفظ رونقا وطلاوة
وبه لا تزال حور المعانى فى حلى وحلة وحلاوة . .

وفى هذا الكلام ما يدل على إشار الصفدى لهذا اللون البديعى ومبلغ
تعميقه له .

(١) عروس الأفراح — ٤ — ٤١٣ — الإيقان — ٢ — ١٥٣ .

(٢) إيجاز القرآن للباقلانى — ٢٠٢ — (٣) جنان الجناس — ٨ .

ولم يقصر ابن الأثير في مدحه فقال : اعلم أن التجنيس غرة شاذخة في
في وجه الكلام^(١) .

وقال في الفصل الذي سماه « في آلات علم البيان وأدواته » : يحتاج
البيان إلى معرفة الأسماء المشتركة ، ليستعين بها على استعمال التجنيس في
كلامه ، وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات كالعين فإنها تطلق على العين
الناظرة ، وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر وغيره^(٢) .

ويقول : فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين ، فالبيان يحصل بالألفاظ
المتباينة التي هي كافية في الإفهام .

وأما التحسين فإن الواضع لهذه اللغة العربية التي هي أحسن اللغات ،
نظر إلى ما يحتاج إليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر
ورأى أن من مهبات ذلك : التجنيس ، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة التي
هي كل اسم واحد دل على مسميين فصاعدا^(٣) .

وتابعه العلوي في مدح الاشتراك فقال : يرد الاشتراك من أجل
الاختصار لاشتغال الكلمة الواحدة على معان كثيرة ، ويرد من أجل
التجنيس والازدواج في أعجاز الكلم العربية ، ويرد لمقاصد عظيمة ليس
من همتنا ذكرها ، وفيه معان بدیعة ومقاصد للفصحاء باللغة ، يدركها من
رسخت قدمه في هذه الصناعة^(٤) .

والغلو واضح في قول ابن الأثير ، فلا يرتفع الجنس إلى هذه المكانة
التي وضعه فيها ، بل لا يرتفع نوع بلاغی إلى الحد الذي يضع الواضع
الألفاظ من أجله وتصبح اللغة خادمة له .

وكثيرا ما ينساق ابن الأثير مع المبالغة فيما يميل إليه حتى يجاوز
الغاية المحمودة .

وقد رد عليه ابن أبي الحديد ردا مفحما فقال : لا نسلم بأن تقدير انعدام

(١) المثل السائر — ٩٩ (٢) المصدر للتقدم — ٨

(٣) المصدر المتقدم — ١١ — ١٢ — ١٣ (٤) الطراز — ١ — ٢٨

الألفاظ المشتركة يذهب التجنيس من الكلام ، ويزيل رونقه وبهاءه كما
زعم هذا الرجل .

وبيانه أن التجنيس يحصل بتشابه لفظتين في الحروف الأصلية وإن
كانت في إحداها زوائد ليست في الأخرى مثل قول أبي تمام :
مضى أنت عن ذهيلة الحى ذاهل
وقوله :

تسطل الطلول الدمع في كل موقف
وقوله :

منازل لم يُخف الربيع ربوعها
فذهلية : منسوبة إلى ذهل اسم رجل ، وذاهل : فاعل من ذهل عن
الأمر يذهل .

ويطل الطلول كذلك ؛ لأن يطل مضارع طل دمه : أى أهدره ،
والطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار .

وكذلك الربيع وهو العشب ، والربوع : جمع ربع وهو المنزل .
فهذه كلها تنضمن التجنيس وليست من المشتركات ؛ لأنها ليست لفظتين
متماثلتين داليتين على مسميين مختلفين كلغة العين ، وأكثر التجنيس في الشعر
والرسائل مثل هذا ، ولا يستعمل فيه التجنيس بالمشارك إلا في النادر .
وأيضاً فلو كان كل تجنيس في الذهن بالمشارك فقط ، لم يكن ذلك من
المقصودات الأصلية التي تقتضى وضع المشارك ، مع ما فيه من تردد فهم
السامع وعدم معرفته ؛ فإن محذور ذلك أعظم من تزويق اللفظ بالمشاركات ،
خصوصاً ويمكن استدراك غير اللفظ بغير التجنيس كالمطابقة والمقابلة
وغيرهما من أنواع البديع .

والعجب من قول هذا الرجل : إن عدم التجنيس يذهب حسن الكلام ،
وقوله : إن واضع اللغة نظر إلى ما تحتاج إليه الفصاحة والبلاغة ، فوجد
من مهمات ذلك : التجنيس الذى لا يقوم إلا بالاسماء المشتركة ، وهو يرى

القرآن عارياً عن التجنيس وهو أحسن الكلام وأفصح وأبلغه كما قال - تعالى -
« الله نزل أحسن الحديث . . . » .

وليت شعري كيف تحتاج البلاغة إلى التجنيس ! أتراه يعلم ما البلاغة ؟
ألم يسمع كلام عبد الحميد بن يحيى وابن المقفع ومن جاء بعدهما من
الكتاب ، ومن كان قبلهما من فصحاء العرب الذين كلامهم محض البلاغة ،
فهل يرى لأحد منهم تجنيساً في كلامه ؟ اللهم إلا أن يقع ذلك اتفاقاً غير
مقصود (١) .

وقد استهجنه قوم منهم الشيخ زين الدين عمر بن الوردي فقال :
إذا أحببت نظم الشعر فاختر لنظمتك كل سهل ذى امتناع
ولا تقصد مجانسة ومكّن قوافية وكأنه إلى الطبع
وكان الأسعد بن يثاق لا يصطنعه في نظمه ، وقد هجا المجنّسين بقوله :
طبع المجنّس فيه نوع قيادة أو ما ترى تأليفه للأحرف (٢)
وقد عابه من النقاد العصريين الدكتور مندور فوصفه : بأنه إما عبث
لفظي يعتمد على الاشتقاق ولا يستند إلى غير التداعي الشكلي كقول
الشاعر : . . . خلّجت على الخليج نفوسهم
ولما لعب بالمعاني ومهارة في استخدام مفردات اللغة المتحدة أو المتقاربة
في اللفظ والمختلفة في المعنى كقول الآخر :
إن لوم العاشق اللوم
أو :

جلا ظلمات الظالم عن وجه أمة (٣) .

وأكبر من حمل لواء ذمه ابن حجة الجوى ، وتعصبه عليه يساوى تعصب
الصقدي له .

(١) الفلك الدائر على المثل السائر — ١٣

(٢) كشف الثام عن وجه التورية والاستخدام — ٤

(٣) النقد المنهجي عند العرب — ٣٦

يقول في التورية - وكان من عشاقها - ولكن رأيت جماعة من القاصرين
قد عدلوا عنها إلى الجناس وهو سافل بالنسبة إلى علو مقامها في البديع
ويقول : والجناس غير مذهبي ومذهب من فسجت على منواله من أهل
الأدب ، وكذلك اشتقاق الألفاظ ؛ فإن كلامهما يؤدي إلى العقادة والتقييد
من إطلاق أعنة البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة .

ويقول في موضع آخر : ولا بأس به في مطلع القصائد إن تعذر على
الناظم أن يركبه تورية ؛ فإنه نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوّه من أنواع
البديع - كما قرر مشايخه - مثل التورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه ؛
وما قارب ذلك من أنواع البديع .

ويقول في موضع ثالث : ولم يحتج إليه بكثرة استعماله إلا من قصرت
همته عن اختراع المعاني التي هي كالنجوم الزاهرة في أفق الألفاظ ، وإذا
خلت بيوت الألفاظ من سُكان المعاني تزلت منزلة الأطلال البالية ؛ وما
أحلى قول القاضي الفاضل :

إنما الدار قبلُ بالسكان ثم بعد السكان بالجيران (١)
فإذا ما الأرواح شرذها الخنف م فإذا يراد بالآبدان
وقد انبرى الحموى للصفدى يسفه رأيه في استحسان الجناس فقال :
وكان الشيخ صلاح الدين الصفدى يستحسن ورمه ويظنه شحماً ، فيشبع
أفكاره منه ويملاً بطون دفاتره ، ويأتى فيه بتراكيب تخف عندها جلاميد
الصخور كقوله - غفر الله له - :

وأين إذا كان الفراق معاندى مطالع ناء في مكان عناء
وكم شمت لما قست مقدار ودكم بوارق ياس في بوار قياس
وقوله في الراح :

وكم لبست نفس الفتى بعد نورها مدارع قار في مدار عطار

(١) خزائن الأدب - ٢٥ - ٢٦

وقوله :

ومر على غيرى سقام وصحة ولم يُرقانٍ مثل ذى يرقان
قال الحموى : ورأيت بخط الشيخ بدر الدين البشتكى تحت هذا البيت
والذى قبله : وهو الضعيف باليرقان ، وإن من ذلك مبلغه من النظم لجدير
أن يقعد مع صغار المتأدين .

وقال : وما أظرف ما وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباته ، وذلك
أنه لما وقف على كتابه المسمى « جنان الجناس » - وقد اشتمل على كثير
من هذا النوع - قرأه : « جنان الجناس » ،

وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه
وهذا مما يؤيد قولى : إنه - أى الجناس - غير مذهبي ومذهب من
نسجت على منواله .

ثم واصل الحموى حملته عليه فقال : ومن غريب ما يحكى : أن الشيخ
صلاح الدين الصفدى مع تهافته على الجناس والتزامه بما صنعه فى جنسه
وأنواعه زاحم ابن عماتى فى لفظ بيته ومعناه :
طبع المجنس فيه نوع قيادة أو ترى تأليفه للأحرف
فقال :

ألا إن من عانى القريض بطبعه يقود فأرسله لمن صدد واحتشم
ألم تره إن قال شعراً بجانسا يؤلف ما بين الحروف إذا نظم
فانظر كيف أخذ المعنى وغالب الألفاظ ، ولم يتمكن من نظم ذلك إلا
فى بيتين أتى فيهما بكثرة الحشو مع قلة الأدب على أهله ، فإن الأسعد
أثبت القيادة لطبع المجنس ، والشيخ صلاح الدين أثبت الحكم المذكور لمن
يعانى نظم الشعر (١) .

ويقول ابن رشيق - فى بعض أنواعه - : وهذا أسهل معنى لمن
حاوله وأقرب شيء من تناوله من أبواب الفراغ وقلة الفائدة ، وهو بما لا

(١) خزانة الأدب - ٢٧

يشك في تكلفه ، وقد أكثر منه هؤلاء الساقية المتعقبون في ثرهم ونظمهم
حتى بردوا بل تدرءوا ، فأين هذا العمل من قول أبي نواس :
سكرت من لحظه لا من مدامته ومال بالنوم عن عيني تمايله
وما السلاف ذهني بل سوافه ولا الشمول أذهنتي بل شمائله
ألوى بصبري أصداغ لوين له وغلّ صدرى ما تحوى غلائله
فما كان من التجنيس هكذا فهو الجيد المستحسن ، وما ظهرت فيه الكلفة
فلا فائدة فيه ^(١) .

وهناك رأى وسط بين الرأيين يدور مع حسن الجناس كيفما دار ، وهو
أعدل الآراء وأصوبها .

يقول عبد القاهر . . . تبين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر
لا يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان مستحسن ، ولما
وجد فيه إلا معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك
أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه إذ الألفاظ خدم
المعاني والمصرفة في حكمها وكانت المعاني هي المالكه سياستها المستحقة
طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن
طبيعته ، وذلك مظنة من الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض
للشبه ^(٢) .

ويقول الخفاجي : والمحمود منه ما قل ووقع تابعا للمعنى غير مقصود
في نفسه .

ويقول : وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلا غير متكلف
ولا مقصودا في نفسه .

وقد استعمله العرب المتقدمون في أشعارهم ، ثم جاء المحدثون فلهج
به مسلم بن الوليد الأنصاري ، وأكثر منه ومن استعمال المطابق والمخالف
وهذه الفنون المذكورة في صناعة الشعر ، حتى قيل : إنه أول من أفسد

(٢) أسرار البلاغة — هـ

(١) المدة — ١ — ٢٣٦

الشعر ، وجاء أبو تمام فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه حتى وقع له الجيد والردى الذى لا غاية وراءه فى القبح^(١) .

ويقول التنوخي : وهو من أقسام البديع ويتعلق بتحسين الألفاظ ؛ فإذا تكلفه المتكلم — غير مغل باليان — اجتمع الحسن واليان ، وهو أشرف من اليان ولا حسن ، وإن أخل متكلفه باليان كان اليان أشرف منه^(٢) .

ويقول ابن السبكي : كل ما يستحسن من البديع إذا كثر سمج كالتجنيس والمطابقة^(٣) .

ويقول الشهاب محمود : إنما يحسن الجنس إذا قل وأق فى الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل إلى جانب الركة^(٤) .

ويقول السيوطي : نهت من زيادتي على أن الجنس نوع متوسط فى البديع ليس كالتورية والاستخدام والطباق ونحوها ، واتفقوا على أنه يحسن إذا قل ، فإن كثر سمج وخرج إلى حد النزول^(٥) .

ويقول المرشدي : لا ينبغي أن يقع الصنف الواحد بين أكثر من لفظين وألا يحدو الثالث إلا حيث يكون المعنى يقتضى اقترانات أشياء يصدق عليها لفظه باشتراك وتواطؤ ، فيكون فى اقتران تلك الأشياء — على وجوه من التعلق — تحسين للمعنى ، فيعبر عن تلك الأشياء على جهة تحسين أو ترديد ونحوه ، فأما ما فوق ذلك ففكره عندهم ، وأما مقدار ما يستعمل فى القصيدة من أصناف التجنيس فينبغى أن لا يعتنى بكثرة كل العناية ، وأحق التجنيس أن يحتمل تكراره المشتق والملحق به ، وأحقها بالإقلال المركب والمصحف^(٦) .

ويقول العباس^(٧) : ثم إن التجنيس إنما يستحسن إذا كان سهلا لا أثر

(١) أسرار الفصاحة — ١٨٣ — ١٨٧ (٢) الأقصى القريب — ١١١ — ١١٢

(٣) عروس الأفراح — ٤ — ٤٣٣ (٤) خزانة الأدب للحموى — ٢٥

(٥) عقود الجمان — ٢ — ١٥١ (٦) المرشدي على العقود — ٢ — ١٤٨

(٧) معاهد التنصيص — ٨٢

للكلفة عليه ، وأما إن خرج عن هذا الحد فإنه معيب عند أهل النقد ،
ويذهب بهجة الشعر وحسنه ، وهذا وقع في أكثر شعر المتأخرين .

وقد حكى صاحب الحديقة : أن ابن حنيس أخبره أن عبد الله بن
مالك القرطبي عمل قصيدة يقول فيها :

وحيت إذا حييت حادى عيسهم فكان عيسى من حداة العيس
فقال فيه بعض الشعراء :

ثقلت بالتجنيس خفة روحها ما كان أغناها عن التجنيس
ولحبك التجنيس جئت بيدعة فجعلت عيسى من حداة العيس
وقد حمل ابن خلدون حملة شعواء على كتاب المشرق وشعرائه في عهده
لكلفهم بهذا التصنيع .

وعلى ذلك باستيلاء العجمة على ألسنتهم وقصورهم عن إعطاء الكلام
حقه في مطابقة مقتضى الحال وعجزهم عن الكلام المرسل لبعده أمداه
في البلاغة .

ورما هم بأنهم لا يبالون أن يخلوا بالأعراب في الكلمات والتصريف إذا
دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان معاً ، فيرجحون ذلك الصنف
من التجنيس ويدعون الإعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادق
التجنيس^(١) .

ويرى الحموى : أن الجناس يمكن لإضفاء الحسن عليه إذا تضمن تورية
وقد فصل رأيه بقوله . . . غير أن هنا بحثاً لطيفاً ، وهو أنه قد تقرر أن
ركنى الجناس يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى ، لأنه نوع لفظي لا معنوي
وهو نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع ، والتورية من
أعز أنواعه وأعلاها رتبة ، فإذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان في
ركن واحد وخلصت من عقادة الجناس وحركت الإذواق ، وأبهجت
خواطر السامع بما أتخفته من بديع تركيبها وتأهيله بغريبها .

(١) المقسة — ٦٦٤

ومثل لذلك بما كتبه القاضى بدر الدين بن الدماينى إلى الحافظ
شهاب الدين بن حجر الشافعى :

حمى ابن على حوزة المجد والعلا ومن رام أشات المعالى وحازها
وكم مشكلات فى البيان بفهمه تيسنها من غير عجب ومازها
مازها : أى عزلها وفرزها من قولك : ماز فلان كذا عن كذا .
أو مازها من الزهو : أى لم يزه ولم يتكبر .

وقد أجابه ابن حجر :

بروحى بدر فى الندى ما أطاع من نهاه وقد حاز المعالى فزاتها
يسائل أن ينهى عن الجود نفسه وما هو قد برّ العُفّة وما نها
مانها من المثونة تقول : مانه يمونه .
أو من النهى : نهاه ينهاه وما : نافية .

ويعقب على ذلك بقوله : إن جميع من نهلت من شراهم الصافى لم يرض
بالجناس التام إذا أمكن استدراك التورية من ركنيه ، لعلمهم بعلو رتبها
عنه ، والتفات الأذواق الصحيحة السليمة إلى حسن موقعها .
وإذا راجعت النظر فى كلامهم وجدت غالب ما نظموا من التورية
جناساً (١) .

ويقول السيوطى (٢) أيضاً : فإن جعل الجنس تورية وانحصر المعنيان
فى ركن واحد ، فقد علت رتبته وارتفعت وصارت تسمى بالتورية التامة
كقول ابن مكّان :

أقول لجي قم وميس يا معذبى كيسة خود حرك السكر راسها
ولا تسنه عن شيء إذا ما حكيتها فقام كخصن البان ليناً وما سها
من الميس وهو التبخر ، أو من السهو .

والحق أن كلا الشيخين : الصفدى والحموى ركبا متن الشطط ، وجانبا
القصد فى التعصب للجناس والتعصب عليه ، وأن المذهب الوسط هو المختار ؛

(١) خزائن الأدب — ٤١

(٢) عقود الجمان — ٢٥١

فالجناس لا يستحسن على إطلاقه ولا يستقيح كذلك ، وإنما هو حلية كسائر
الحلى البديعية تحمد إن وقعت موقعها وجاءت قليلة غير متكلفة وكان الكلام
في حاجة إليها وإن شئت فقل لا ينبو عنها .

وآية ذلك مجيئه في القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة
والأعراب الأقحاح الذين يمرق الكلام من ألسنتهم مروق السهم ولا يتأق
لأحد أن ينسب إليهم التنوُّق والتزويق ، وكذا في شعر الشعراء الفصحاء
البلغاء جاهلية وإسلاماً .

وإذا أنعمنا النظر في جمال الجناس حين يقع جميلاً ، أمكن أن نرجعه
إلى ثلاثة أسباب :

١ — تناسب الألفاظ في الصورة كلها أو بعضها ؛ وبما لاشك فيه أن
التوافق في الزى والهندام ، واقتران الأشباه والنظائر بعضها ببعض تميل إليه
النفوس بالفطرة وتأنس به وتغبط ، ويطمئن إليه الذوق ويسكن ؛ لأنه
نظام وانسجام وائتلاف ، وهى أشياء مركوز حبا في الفرائز لخلعها على
النفوس راحة وبشاشة وهدوءاً وقراراً .

٢ — التجاوب الموسيقى الصادر من تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً ؛
فيطرب الأذن ويوتق النفس ويهز أوتار القلوب .

ويلاحظ أن التناغم هنا أوسع وأشمل منه في السجع ؛ لأنه في الجناس
لا بد أن يصدر عن عدة حروف فيكون أشبه شيء بتخت موسيقى تام
مختلف الأدوات متناسق الأصوات .

٣ — هذا التلاعب الأخاذ الذي يلجأ إليه المجنس «بالكسر» لاختلاب
الأذهان واختداع الأفكار .

فبينما هو يريك أنه سيعرض عليك معنى مكرراً ولفظاً مردداً لا تجنى
منه غير التطويل والانقباض والسآمة ، إذا هو يروغ منك فيجلو عليك
معنى مستحدثاً يغير ماسبقه كل المغايرة وإن حكاه في نفس الصورة وذات
المعرّض ، فنأخذك الدهشة لهذه المفاجأة السارة اللذيذة التي أجدت عليك

جديداً مفيداً لم يقع في حسابك ، ولا ريبة أن كل طريف يفجأ النفس
ويبين ما كانت تنتظره تنزّي له وتفتح وتستقبله بالبشر والفرح ، وفي
هذا ورد قوله - تعالى - في أهل الجنة : «كلما رُزِقوا منها من ثمرة رزقاً
قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبل وأتوا به متشابهاً» .

فقد قال المفسرون : إنما كانت ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا في اللون دون
الطعم ؛ لأن الإنسان إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له
معه إلف ، ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة ثابتة وتفاوتاً بينه وبين ما عُهد
بليغاً ، أفرط ابتهاجه واغتيباطه ، وطال استعجابه واستغرابه ، وتبين كنه
النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به (١) .

وفي ذلك يقول أرسطو : إن معظم النكت البلاغية التي نلم بها في الصورة
وفي النقل ، بلاغتها في المخاتلة التي يلجأ إليها الأديب ، فإذا انتظرنا من
الأديب معنى نخاتلنا عليه ليأتي بمعنى آخر مضاد له تأثرنا به وتأثرنا بكلامه
أكثر من غيره ، وكأننا من أثر هذه الدهشة وتلك المخاتلة نقول : ما أحق
مايقول وما أصدق نحن الذين أخطأنا الفهم لا الأديب (٢) .

وقد أتى عبد القاهر بهذا المعنى في قوله : قد أعاد عليك اللفظة كأنه
يخدعك عن الفائدة وقد أعطاه ، ويوهمك كأنه لم يزدك شيئاً وقد أحسن
الزيادة ووفاه (٣) .

هذا إلى أن الجناس نفسه قد يحوى معنى طريفاً شريفاً يضاف إلى
ما تقدم من هذه المزايا .

ومعنى ذلك أن الجناس الجيد يثير إعجابنا من نواح عدة : ناحية التماثل
في الصورة ، وناحية الجرس الموسيقي ، وناحية التآلف والتخالف بين ركنيه
لفظاً ومعنى ، وناحية ما يحويه كل ركن من المعنى الأصلي .
وليس هذا بالشئ القليل .

(١) الكشف ١ - ٣

(٢) بلاغة أرسطويين العرب واليونان - ١٧٠

(٣) أسرار البلاغة - ٥

الفضل الرابع

الجناس بين الطبع والصنعة

الجناس ككل الحلى البديعية عماده الطبع الموافى الذى يقذف به
سهوا رهوا فى حالات الصفاء والتسامى واعتدال المزاج.
أى حينما يكون الخاطر مستعداً لتلقى النفحات العلوية من سماء
الوحي البىانى .

وكل ما يروقنا من أنواع الجناس قد أتى على هذه الشاكلة واتسم بهذه
الصفة ، ولا يعوزنا كثير من التأمل إلى معرفة هذا الضرب الممتاز ، لأنه
ينادى على نفسه بنفسه ، ولا يحتاج إلى الفحص والتدقيق .

ولا مرية أننا نحس فى هذا الضرب جمالا تسكن إليه نفوسنا وتنفرج
به صدورنا ، منشؤه هذا التعاطف الموسيقى الذى أضفاه الجناس على حروف
الألفاظ المتجانسة كلها أو بعضها بطريقة من هذه الطرق التى تدخل فى
فنون المخاتلة والتخدير والاستدراج .

وكثيراً ما يكون الكلام محتوياً على معنى عادى لا يوصف بابتكار
ولا دقة ، ولكنه بتأثير الإيقاع والتنغيم والتلاحم الموسيقى يملك عليك
نفسك ، فلا يسعك إلا أن تعجب به وتنزله منزلة رفيعة وتعدده من
القلائد والعيون .

خذ مثلاً قول البارودى :

زمزمى الكأس وهات واسقنيها يا مهات

أى معنى طريف وعميق تحت هذا البيت ؟

ولكنك — لاشك — تشعر بحلاوة ونداوة لهذا التجانس بين هات

ومهاق ، بدليل أنك لو قلت : واسقنيها يا حبيتي أو معشوقتي أو غليتي
لذهب كل هذا الجمال الصوتي .

ثم انظر إلى قول حافظ — يداعب السيد البلاوي في معاتبة — :
لو أتى جئت ، للبابا ، لا كرمي وكان يكرمني لو جئت ، الباب ،
وقوله :

لى كساء أنعم به من كساء أنا فيه أتيه مثل الكسائي
ففى البيت الأول لم يزد حافظ على أن يفهمنا أن نقيب الأشراف لم
يكرمه ، وأنه لو كان جاء رئيس الديانة الكاثوليكية أو البهائية لأكرماه !
ولكن الجمال كله والحسن أجمعه والبلاغة بحذافيرها فى هذا الانسجام
الذى يقرط آذاننا ، ويرف على أكبادنا من انتظام البابا والباب فى
سلك واحد .

وآية ذلك أنك لو بدلت بإحدى الكلمتين كلمة لا يتحقق بها التجانس
مع الاتفاق فى المعنى ، فقلت مثلاً رئيس الفاتكان أو رئيس البهائية .
أو مع الاختلاف فى المعنى فقلت : شيخ الإسلام أو مفتى الديار بدل
البابا والباب ، لبطل السحر والساحر ، وصار البيت إلى منزلة دون الوسط .
وقل أكثر من ذلك فى بيته الثانى ، فإننا لا نعرف أن الكسائي كان
تياها مختالاً كما يصفه البيت ، وليس هناك من رابطة قرينة أو بعيدة تصل
بين حافظ الشاعر المصرى ، والكسائي شيخ نحاة الكوفة وأحد القراء
السبع حتى يستعير لنفسه منه هذا التيه المزعوم !

ولكن لا خلاف أن هذا التناغم بين الكسامين — وإن كان أحدهما
ثوباً والآخر شخصاً — قد سكر أبصارنا وخدر عقولنا وخدعنا عن
الحقيقة الناصعة ، فاعتسلنا فى ظل هذه الإغفاءة اللذيذة إلى الوهم والباطل .
واعتبر هذا فى كل الآيات ذات المعانى الأوساط والتجئيس البارع
الفائق ، فإنك واجد أن هذا النغم الشاجى بصرفك إلا عن حسنه
والاستمتاع بنشوته ، مكتفياً من المعنى بأن يكون صحيحاً سليماً من الاحالة

والتناقص ، ومالى ذلك من وجوه الفساد التى لا تغطى على اختلالها حلية
مها جلت وكلت .

فأما حين يكون الجناس من عمل التصنيع واعتصار الفكر واستكراه
القريحة ، فإنه يثقل على السمع ويسمج فى النفس ، ولا تشفع له هذه الطنطنة
المجلوبة لأنها خلّت من ومضات الوحي وعبقات الإلهام ولمسات العبقرية !
وهذا النوع كثير فى أشعار المولدين وبخاصة الذين نشئوا فى عصور
التقهقر البياني .

وقد جاء منه فى أشعار المتقدمين نبذ يسير (١) .

فمن ذلك قول الأعشى :

وقد غدوت إلى الخانوت يتبعنى شاورٍ مشل شلولٍ شلشُل شل شل
قال أبو بكر الوزير : الشاوى : الذى شوى ، والمشل : المطرد ، والشلول
الخفيف ، والشلشل ، والشلول : الخفيف القليل ، والألفاظ متقاربة أريد
بذكرها والجمع بينها المبالغة .

ويقول قدامة : وكلها بمعنى واحد ، وهو الرجل الخفيف فى الحاجة ،
الحسن ، للصحبة الطيب النفس (٢) .

ويقول الأمدى : وهو عند أهل العلم من جنون الشعر !
ثم يقول : قرأ هذه القصيدة على أبي الحسن على بن سليمان النحوى
قارىء ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن : صرع والله الرجل (٣) .
ويقول ابن قتيبة : وهذه الألفاظ الأربعة فى معنى واحد ، وقد كان
يستطيع أن يستغنى بأحدها عن جميعها (٤) .

وقول أبي تمام :

وأهل موقان إذ ماقوا فلاوزر أنجاهم منك فى الهيجا ولا سند (٥)

(١) الصناعتين — ٣٢٣

(٢) نقد الشعر — ٨٩

(٣) الموازنة — ٢٥٥

(٤) الشعر والفراء — ١٢

(٥) موقان بالضم : كور بأرمينية ، وبق : حق فى غباوة .

وقوله :

إن من علق والديه للمعو ن ومن علق منزلا بالعقيق
وقوله :

خشنت عليه أخت بني خشين وأنجح فيك قول العاذلين
فهذا تجنيس في غاية الشناعة والركاكة والهجانة كما يقول الأمدى ، ولا
يزيد زيادة على قبح قوله :

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت سلام سلمي ومهما أورك السلم^(١)
فإن هذا كله من كلام المبرسمين ، وقد عابه عبد الله بن المعتز^(٢) .
ويقول الأمدى في موضع آخر : فأما قوله :
خشنت عليه

فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة ، وعهدت مجان البغداديين يقولون :
قليل ثوره^(٣) ، يذهب بالخشونة^(٤) .
وقوله :

لينا بالرقتين وأهلنا سقى العهد منك العهد والعهد والعهد
سحاب متى يسحب على التبت ذيله فلا رجل ينبوعليه ولا جعد^(٥)
قل العهد الأول المسقى : الوقت ، والثاني : الحفاظ من قولهم : فلان
ماله عهد ، والثالث : الوصية من قولهم : عهد إلى فلان وعهدت إليه : أى
وصاتى ووصيته . والرابع : المطر .
وقيل : أراد بالعهد المكرر : مطر بعد مطر بعد مطر ، وفسره
بالييت الثاني .

(١) السلام بالكسر : المجارة ، وسلمى أحد جبل طيء ، والسلام بفتح السين
واللام : شجر .

(٢) الموازنة — ٢٥٤

(٣) النورة بالغيم : طلاء يذهب الشعر .

(٤) الموازنة — ٤٣٧

(٥) رجل كفهد وجبل وكثف : بين السبوطه والمجودة .

(٦) الصاعين — ٢٢١ (٧) الموشح — ٢٢٣

وقيل : أراد سقى أيامنا التي عهدناك عليها : عهد الوصال ، وعهد اليمين
التي حلفنا ، والعهد الأخير : المطر وجمعه عهاد .

ويقول انعمسكرى : وقد استثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم .
وقوله في وصف الفرس :

بحوافر حُفْشَر و صلب صُلب وأشاعر شُعر وحلق أحلق
وقد جعل البيت كله تجنيسا ولعله لم يسبق إليه
وقد عابه الآمدى : بأن الحوافر لا تحفر الأرض ، وأكثر ما في ذلك
أنها تثير الغبار .

ثم قال : وهو استقصاء للمعنى .

ويقول العسكرى : وبعضهم يستحسن ذلك وبعضهم يكرهه (١) .
ومثله قوله :

لسلى سُلَمان وعَمرة عامر وهند بنى هند وسعدى بنى سعد
وبما جنس فيه تجنيسين قوله :
ففصلان منه كل بجمع مَفْصَل وفعلان فاقرة بكل فَسْطَار (٢)
وقوله :

ومها من مها الخُندور وآجال ظباء يُسرعن في الآجال
وقد روى عنه أنه قال : وددت أن لى بنصف شعري نصف بيت
أبي سعد الخنزومي :

حدَقَ الآجال آجال

ولم يزل يحول في نفسه حتى قال البيت المتقدم .

قال علي بن هارون (٣) : وهذا مما غلط فيه أبو تمام ؛ لأن الآجال جمع
لجثل وهو القطيع من البقر ، يقال : سرب من قطاء ، وسرب من نساء ،
وسرب من ظباء ؛ قال عمر بن أبي ربيعة :

(١) ديوان المعاني ٢ — ١١٥ .

(٢) الفاقرة : الداهية التي تسكسر الفقار ، وهو عمود الظهر .

(٣) الموشح — ٣٢٩ .

فلم تر عيني مثل سرب رأيتَه خرجن علينا من زقاق ابن واقف
ويلاحظ أن أبا تمام : أشد شعراء العباسيين ولوعا بالجناس وبخاصة
جناس الاشتقاق وشبه الاشتقاق .

وقد أدّى هذا الإفراط إلى كثرة وقوع الجناس القبيح في شعره مما
أخذ عليه !

قال الأمدى : ورأى أبو تمام أيضاً المجانس من الألفاظ شرفاً في أشعار
الأوائل — وهو ما اشتق بعضه من بعض — ومثل هذا في أشعار الأوائل
موجود ، لكن إنما يأتي منه في القصيدة البيت والبيتان على حسب ما يتفق
للشاعر ويحضر في خاطره ، وفي الأكثر لا يعتمد ، وربما خلا ديوان الشاعر
المسكّر منه فلا ترى فيه لفظة واحدة ، فاعتمده الطائي وجعله غرضه وبنى
أكثر شعره عليه ، فلو كان قلل منه واقتصر على مثل قوله :

ياربع لو ربّعوا على ابن هموم

وقوله :

أرامة كنت مالف كل ريم

وقوله :

يا بعد غاية دمع العين لو بعدوا

وأشبه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى ، لكن قل
أتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب^(١) .

ويقول — في معرض الجناس القبيح — : وهذا إنما جاء عن هؤلاء
مقلدا نادرا ، لأنك لو اجتهدت أن ترى لواحد منهم حرفا ما وجدته ،
والطائي استفرغ وسعه في هذا الباب ، وجدّه في طلبه واستكثر منه ، وجعله
غرضه ، فكانت إسماءه فيه أكثر من إحسانه ، وصوابه أقل من خطائه^(٢) .
ويقول ابن الأثير : وقد أكثر أبو تمام من التجنيس في شعره ، فنه

(٢) المصدر السابق — ٢٥٥

(١) الموازنة — ٢٤٨ — ٢٥٢

ما أغرب فيه وأحسن ، ومنه ما أتى به كريها مستقلا ، وله من هذا الغث
البارد شيء كثير لا حاجة إلى استقصائه ، بل قد أوردنا منه قليلا يستدل به
على أمثاله (١) .

وإذا كان أبو تمام بطل الجنس المشتق ، فإن صاحب بن عباد بطل
الجنس الناقص .

ومن هذا النوع المعيب قول أبي الغمر الطهسوى — يصف السحاب — :
نسجته الجنوب وهى صناع فترقى كأنه حبشى
وقرى كل قرية كان يقرروها قرى لا يحف منه قرى (٢)
وقد وصفه العسكرى : بأنه مستهجن لا يجوز لتأخر أن يجعله حجة في
إتيان مثله ، لأن هذا وأمثاله شاذ معيب ، وإنما الاقتداء في الصواب
لا في الخطأ (٣) .

وقول الحريرى فى مقاماته :

وازوراً من كان له زائراً وعاف عافى العرف عرفانه
وقد وقع فيه التنافر .

وقول بعض الوعاظ فى جملة كلامه : جنى جنات وجنات الحبيب ا
وقد قيل : إن رجلاً كان فى مجلسه ، فلما سمع منه ذلك ماد وتغاشى ، فقال له
رجل كان إلى جانبه : ما الذى سمعت حتى حدث بك هذا ؟
فقال : سمعت جيماً فى جيم فى جيم فصحت .

وهذا من أقبح عيوب الألفاظ (٤) .

وقول بعضهم :

لقد راعنى بدر الدجى بهدوده ووكل أجناسى برعى كواكبه
فيا عاذلى دعنى عساه يعود لى ويامهجتى صبرا على ما كواك به

(١) المثل السائر — ١٠٠

(٢) قرى الضيف : أحسن ضيافته ، ويقروه : يقصده ، والقرى على وزن فاعل :
مسيل الماء .

(٤) المثل السائر — ١١٨

(٣) الصناعتين — ٣٢٤

وقول آخر :

فها تني قهوة قشرية فضحت بكر المدام وشنف لي الفناجينا
تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو دعت إلى نحو ما فيه الفناجينا
لو أن ألفاً حاطوا حول ساحتها قصد النجاة رأيت الألف ناجينا
وقد ذيله بهذا البيت زين العابدين الطبري الحسني (١) :

ياربة الأنس حُلينا حماك فإن نطلب فجودي وإن نسأل فناجينا
وقول وجيه الدين الحنفي :

من كان صاحب قدر أو كان صاحب قدرة
فليتخذ من نضار لطابة الأنس قدره
فالشيء يزداد ظرفاً إن نامب الشيء قدره
ولا يقع مرء في أن مثل هذا التجنيس غاية ما يصل إليه التعمل والتكلف ،
وأن سماعه مفسدة للذوق ، ومجلية للاشمئزاز ، وخذش للحاسة الفنية .

وقد أورد العسكري (٢) طرّفاً من التجنيس القبيح وعقب على ذلك : « بأن
بعض المتأخرين — يعني المتنبي ، — قال ما هو أقبح من جميع ما مر في قوله —
وليس من التجنيس — :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه

ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وهو من قصيدة يمدح بها أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي .
وقبله :

ولا واحداً في ذا الوري من جماعة ولا البعض من كل ولكنك الضعف
أى لست واحداً من جماعة الناس ولا بعضاً من كلهم ، ولكنك ضعف
جميعهم لأنك تنوب عنهم .

ثم يقول : لا توزن بضعف الخلق حتى يزداد عليهم ضعف آخر فيصيروا
ضعف ضعفه ، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف .

(١) سلافة العصر — ٥٧

(٢) الصناعتين — ٣٢٤

ثم عدل عن ذلك فقال : لا يكفي هذا بل أنت ألف ضعف من مثل
هذا الضعف .

وليس في استطاعة ناقد أن يجد من ألفاظ اللغة ما يسعفه في ذم هذا
البيت ورمى صاحبه بالسخف !
ومن الشعر الحديث عرض الدكتور طه حسين لقول شوقي في
هزيمة اليونان :

ما كان نهر سقاريا سوى سقر طفت فأغرقت الإغريق في اللهب
فقال : وكنت تقول : كان البديع في عصر أبي تمام يعجب جمهرة
المتأدين ، فأخذ منه أبو تمام بحظ لا يخلو من إسراف وهو لا يعجبنا ، فما
اضطرار شوقي إليه لولا التقليد السخيف !
وأى جمال في قوله :
ما كان نهر سقاريا ...

لو أنه وضع اليونان موضع الإغريق لاجتنب هذا الجنس الثاني ،
ولاحتفظ لبيته بشيء من الجمال الشعري ، فالصورة لا بأس بها ولكن
جناسان خليقان أن يفسدا أجمل الصور وأروعها^(١) .

وأحسب أن الدكتور متأثر في هذا النقد إلى حد ما بقول الأمدى في
بيت أبي تمام :

سلم على الربع من سلمى بذى سلم عليه وسم من الأيام والقدم
فالأمدى يذكر : أن هذا الابتداء ليس بالجيد ، لأنه جاء بالتجنيس في
ثلاثة ألفاظ وإنما يحسن إذا كان بلفظين ، وقد جاء مثله في أشعار الناس
والرديء لا يؤثر به .

وآنا أخالف الأستاذ العميد في رأيه ، فليس كل اجتماع لجناسين مما
يستتبع ، وأخلق — إذا صح هذا — أن يكون الجناسان من نوع واحد :

(١) حافظ وشوقي ٤٣ — ٤٤ (٢) الموازنة — ٤٠٧

أى أن يكونا متفقين في النوع والحروف على شريطة التصنيع كقول أبي تمام :
ويوم أرشق والهيجاء قد رشقت من المنية رشقاً وابلاً قصفاً^(١)
وقوله :

خان الصفاء أخا خان الزمان له أخا فلم يتخون جسمه الكمد^(٢)
وقول أبي الفتح البستي في السلطان عين الدولة :

سما وحى بنى سام وحام فليس كئله سام وحام
ولكن هنا في بيت شوقي جناسان مختلفان في الحروف كل واحد
منهما يحتل شطرا من البيت .

ثم إن كلمة « أغرقت » تلمحنا أن تأتي بكلمة « الإغريق » وجمالها في أنها
اسم لليونان فلا اجتلاب لها ولا تكلف فيها .
هذا إلى أن معناها — وهو سقاريا — يغرق فيه الإغريق حيث
دارت المعركة على ضفافه .

وأحسب أن هذا الجناس متعين ليوازن في المصراع الثاني أخاه في المصراع
الأول — سقاريا وسقر — حتى لا تشيل كفته .

وحسبك أن تضع اليونان موضع الإغريق لتشعر شعورا قويا أن
هذا الشطر قد خف عن أخيه في ميزان الموسيقى والنغم .
وإنك لتحس بالحسن والفتخامة في قول أبي تمام الآتي ، مما اجتمع فيه
أكثر من جناس مع الاستعارة :

راحت لأربعك الرياح مريضة وأصاب مغناك الغمام الصيب
وقوله :

إذا ألجت يوماً لـُجَيم وحوها بنو الحصن نجل المحصنات النجائب
فإن المنايا والصوارم والقنا أقاربكم في الرّوع دون الأقارب
وهو مثل بيت شوقي تماماً .

(١) أرشق : اسم مكان ، والرشق : الرمي ، والقصف : الشديد الصوت .

(٢) يتخون : يتنفس .

كما نستحسن قوله — وإن عابه الأمدى — :
مُلَيْتِكَ الأحساب أى حياة وحيا أزمة وحية وادى (١)
فالعسيرة عندنا بالتكلف وعدمه ، وهو المعيار الدقيق فى الحكم
بالحسن والقبح .

والآن وقد مضى قولنا فى الجنس المعيب نأخذ فى بيان النوع الجيد منه
وقد أسلفنا أن قوامه الطبع وترك الخاطر يقذف به من غير استكراه
واجتناب ، فإن كانت هناك صناعة فهى فى مساندة الطبيعة على تحسين
القالب ، وتجميل الصورة ، وصقل الهندام ، دون أن يكون لها عمل أساسى
فى الجوهر واللباب .

وفى ظل هذا القانون العام نجدنا مسوقين إلى استحسان قول بعض
الأعراب — يذم رجلا — : إذا سأل الحف ، وإن سئل سوف ، يحسد
على الفضل ، ويزهى فى الإفضال .

وقول جرير : لولا ما شغلنى من هذه الكلاب ، لشببت تشيباً تحن منه
العجوز إلى شبابها .

وفى رواية : لشببت شباباً .

والشباب : الغزل ، والجناس على هذه الرواية أحكم وأجمل .
وكتب العتابي إلى مالك بن طوق : أما بعد فاكْتَسَب أدباً تجنى نسباً ،
واعلم أن قريبك من قرب منك خيره ، وأن ابن عمك من عمك نفعه ، وأن
أحب الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك .

وكتب آخر : العذر مع التعذر واجب .

وقال آخر : اللها تفتتح اللها .

وقال آخر : عليك بالصبر ، فإنه سبب النصر ، ولا تخض الغمر ، حتى

تعرف الغور .

وقال آخر : راش سهامه بالعقوق ، ولوى ماله عن الحقوق .

(١) ملىك : تمتع بك .

وزار إبراهيم بن المهدي صديقاله فوجده سكران ، فترك عند رأسه
رقعة كتب فيها ، رحنا إليك وقد راحت بك الراح .
وقال آخر : قد رخصت الضرورة في الإلحاح ، وأرجو أن تحسن النظر
كما أحسنت الانتظار .

وقال بعض العلماء : ربما أسفر السفر عن الظفر ، وتعذر في الوطن الوطن .
ومن الشعر قول الشنفرى :

وبتنا كأن البيت حجر فوقنا . بريحانة ريحت عشاء ومطلت
وقول أوس بن حجر :

غرث غرائر أبكار نشان معا خشن الخلائق عما يتقى زور^(١)
وقول الخطيئة :

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وقول النعمان بن بشير لمعاوية :

ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا ، وليلك عما ناب قومك نائم
وقول حيان بن ربيعة الطائي :

لقد علم القبائل أن قومي لهم حد إذا لبس الحديد
وقول زياد الأعجم - وفيه استعارة - .

ونبتنهم يستنصرون بكاهل وللؤم منهم كاهل وسنام^(٢)
وقول سعيد بن حميد الكاتب :

طلعت أوائل للربيع فبشرت نور الربيع بجدة وشباب
وغدا السحاب يكاد يسحب في الربا أذيال أسحم حالك الجلباب
وقول أبي تمام :

ولم أر كالأشعار تدعى حقوقها مغارم في الأقوام وهى مغانم
وقول ابن هرمة :

وأطعن للقرن يوم الوغى وأطعم في الزمن الساحل .

(١) الزور : المثلث .

(٢) كامل الأول : اسم قبيلة .

وقول عبد الله بن طاهر :

وإني للثغر المخوف لكالم وللثغر يجرى ظلّنه لرشوف
وقد زعم الحاتمي : أنه أفضل تجنيس وقع لمحدث^(١).

وقول البحتري :

فقف مسعدافيهن إن كنت عاذرا وسر مبعدا عنهن إن كنت عاذلا

وقوله :

من كل ساجي الطرف أغيد أجيد ومهفف الكشحين أحوى أحور

وقوله :

يذكرنيك والذكرى عنام مشابه فيك طيبة الشكول
نسيم الروض في ريح شمال وصبوب المزن في ريح شمول
وقد ذكر العسكري : أنه من أحسن ما قيل في هذا الباب^(٢).

وقوله :

كل عذر من كل ذنب ولكن أعوز العذر من بياض العذار

وقوله :

ما بعيني هذا الغزال الغرير من فتون مستجلب من فتور

وقول علي بن جبلة :

وكم لك من يوم رفعت بناءه بذات جفون أم بذات جفان^(٣).

وقول شوقي :

ولا أكذب الباري بنى الله هيكلي صنعة إحسان ورق حسان
أدين إذا اقتاد الجمال أزمتي وأعنو إذا اقتاد الجميل عنائي.

وقوله :

وطنى لديك وأنت سمح مفضل تنسى الذنوب وتذكر الأعذار
تاب الزمان إليك من هفواته بوزارة تمحى بها الأوزار.

(١) العمدة — ١ — ٢٢١ (٢) الصناعتين — ٣١٧

(٣) ذات الجفون : الكتيبة ، وذات الجفان : الوليمة .

ولو أنعمت النظر في سر استملاح ما تقدم كله ، لبدالك أنه البراءة من
التكلف والسلامة من التعسف :

وتسبح النفس به بلاكد وتعجب .

وقد يحدث أحيانا أن يأتي الجنس غير مقصود قطعاً ، ولا نشك أن من
ذلك ما حكاه ابن المعتز : من أنه قدم في بعض المجالس إلى صديق لنا بخور ،
فقال له غلام صاحب المنزل : تبخر فإنه ندّ .

فلما ألقاه على النار لم يستطبه فقال : هذا ندّ عن الندّ ! (١)

وقول اعتماد جارية المعتمد بن عباد له في بعض مرضه : ياسيدي نحن
لا نقدر على مرضاتك في مرضاتك !

وقول رجل من قريش لخالد بن صفوان : ما اسمك ؟

فقال : خالد بن صفوان بن الأهم .

فقال الرجل : إن اسمك لكذب ! ما خلد أحد ، وإن أباك لصفوان

وهو حجر ، وإن جدك لأهم وإن الصحيح خير من الأهم .

فقال خالد : من أي قريش أنت ؟

قال : من بني عبد الدار .

فقال خالد : مثلك يشتم تمياً في عزها وحسبها ، وقد هشمتك هاشم ،

وأمتك أمية (٢) ، وجمحت بك جمع ، وخزمتك مخزوم ، وأقصتك قصي

فجعلتك عبداً دارها وموضع شئها ، تفتح لهم الأبواب إذا دخلوا

وتغلقها إذا خرجوا !

فهذا من الردود المفحمة التي لا تسعف إلا شديد العارضة ، حاضر

البديهة ، سريع الخاطر ، لمّااح الذكاء ، لأن الرد الذي لا يجيء في حينه يعد

عبثاً ولا يعتد به ، وفي ذلك يقول مسلمة بن عبد الملك : ما شيء يؤتاه العبد

بعد الإيمان بالله أحب إلى من جواب حاضر ، فإن الجواب إذا تعقب لم
يك شيئاً .

(١) الند : عود يتبخر به ، وند : نفر وشرذ .

(٢) أمه : أصاب أم رأسه .

ولا شك أن للبصادفة هنا دخلا في هذا الجنس ، فقد هيأه لخالد — على
بلاغته المأثورة — أنه كان في الإمكان أن يشتق من هذه الأسماء ما يفهم
به خصمه .

وأحسبه نظر في ذلك الاشتقاق إلى قول الرسول — صلوات الله عليه —
« عَصِيَّةٌ عصت الله ، وغفار غفر الله لها » (١) .

وفي رواية : « وأسلم سالمها الله » (٢) .

وفي رواية أخرى : « وتجب أجابت الله ورسوله » (٣) .

ومن هذا النوع قول جرير :

تقاعس حتى فاته المجد فقعس وأعيا بنو أعيا وضل المضلل

وقول المعري :

أرى ابن أبي إسحاق أسحقه الردى وأدرك عمر الدهر نفس أبي عمرو (٤)

وقول رجل إلى المأمون يتظلم من عامل له : يا أمير المؤمنين ، ما ترك

لي فضة إلا فضها ، ولا ذهبا إلا ذهب به ، ولا غلة إلا غلها ، ولا ضيعة إلا

أضاعها ، ولا علقا إلا علقه ، ولا عرضا إلا عرض له ، ولا ماشية إلا امتشها (٥)

ولا جليلا إلا أجلاه ، ولا دقيقا إلا أدقه .

فمجب من فصاحته وقضى حاجته (٦) .

واقندى به البديع الهمداني ، فكتب إلى سعيد الإسماعيلي — يصف نهب

المنصوص له في أثناء رحيله من جرجان إلى نيسابور — : ... أحمد الله إلى الشيخ

وأذم الدهر ، فما ترك لي فضة إلا فضها ، ولا ذهبا إلا ذهب به ، ولا علقا

إلا علقه ، ولا عقارا إلا عقره ، ولا ضيعة إلا أضاعها ، ولا مالا إلا مال

إليه ، ولا حالا إلا حال عليه (٧) ، ولا فرسا إلا أفرسه ، ولا سبدا إلا

(١) البديع — ٥١

(٢) الصنائع — ٣١١

(٣) المرشدي — ٢ — ١٤٢

(٤) ابن أبي إسحاق : ابن مرار الشيباني للسكوفي ، وأبو عمرو : ابن العلاء .

(٥) امتشها : أخذ كل ما في ضرعها .. (٦) زهر الآداب — ٢ — ٢٠٨

(٧) حال عليه : أتى عليه .

استبد به ، ولا لبدا إلا لبديفه (١) . ولا بزة إلا بزها ، ولا عارية إلا ارتجعبها
ولا وديعة إلا انتزعها ، ولا خلعة إلا خلعها .

وأنا داخل نيسابور ولا حلية إلا الجلدة ، ولا بردة إلا القشرة . (٢)
ومن الأجوبة الملهمة التي هي بسبب وثيق من قول خالد بن صفوان
المتقدم : أن معاوية قال لابن عباس أو لعقيل بن أبي طالب : مالكم يا بني
هاشم تصابون في أبصاركم !

فقال عقيل : كما تصابون في بصائركم يا بني أمية !
فهذا مما لا يشاكل حسناً وجوده ، وهو أولى بني هاشم المقاول الأبيناء
فإن العمى كما يصيب الأبصار يصيب البصائر ، بل هو في الأبصار أشد ! قال
تعالى : « فإنها لا تعى الأبصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور » .
ولعل المجيب أخذه من الآية الكريمة .

ومن ذلك : أن رجلاً من بني هاشم يسمى عبد الصمد رفع صوته في
مجلس المأمون ، فقال له : لا ترفع صوتك يا عبد الصمد ، إن الصواب في
الأسد ، لا في الأشد .

وعما يعد من الإلهام ما جرى به لسان « صدقة بن عامر » فقد مات له
بنون سبعة ، فلما رآهم سجوا قال : اللهم إني مسلم مسلم !
فهذا كلام خرج من قلب مثقل بالهم ! يعسر على صاحبه معه أن ينطق
بكلام عادي فضلاً عن التعبير والتنميق ، والهموم قيد الحواس كما يقول الحكماء .
ولذلك عدوا من بلاغة ابن زيدون : أنه مات له بنت ، فلما وقف لتلقي
العزاء شاكراً للبعزين كان يرد على كل معز بغير ما يرد على الآخر .

ويقول الصفدي (٣) معلقاً على ذلك : بأنه من التوسع في العبارة ،
والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب للغاية ، وأرى أنه
أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء في تجنب الرأه !

(١) السبد : القليل من الشعر ، واللبد : الصوف .

(٢) رسائل البديع على هامش خزافة الحموى — ١١٢

(٣) نفح الطيب — ٢ — ٣٣٣

ثم يقول : وأقول في حقه : أقل ما كان في تلك الجنازة ، وهو وزير .
ألف رئيس مما يتعين عليه أن يتشكر له ويضطر إلى ذلك ، فيحتاج في هذا
المقام إلى ألف عبارة مضمونها الشكر ، وهذا كثير إلى الغاية لا سيما من
محزون فقد قطعة من كبده !

ولكنه صوب العقول إذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحائب
ومن ذلك أن عياش بن الزبرقان بن بدر قاذخا وعشرين فرسا إلى
عبد الملك بن مروان ، فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع
آبائه وأمهاته ، وحلف على كل فرس يسمين غير اليمين التي حلف بها على
الفرس الآخر !

فقال عبد الملك : عجب من اختلاف أيمانه أشد من عجب بمعرفته
بأنساب الخيل (١) !

وفي مثل هذا التجنيس غير المقصود يقول عبد القاهر : ومن ههنا كان
أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد
من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملائمتيه وإن
كان مطلوباً بهذه المنزلة وفي هذه الصورة ، وذلك كما يمثلون به أقدام من قول
الشافعي رحمه الله ، وقد سئل عن النبيذ : أجمع أهل الحرمين على تحريمه (٢) .
ورواية ابن المعتز - وهي الصواب - أنه عبد الله بن إدريس ، وهو غير
الإمام الشافعي (٣) .

ونص جوابه : جل أمره عن المسألة ! أجمع أهل الحرمين على تحريمه
وقد علق على ذلك ابن المعتز بقوله : ولم يقصده - أي الجواب - فيما
أظن ولكن كما تنبأ له في الكلام .

ومن ذلك : أن أبا الفتح البستي قال يوماً : لأبي نصر العتبي :
يا شيخ ما تقول في السكرنب .

(١) البيان والتبيين ١ - ٢٤٥ (٢) أسرار البلاغة ٧

(٣) البديع ٧١ -

فقال العتيبي على الفور :

أطعمه إن لم يكن كرى بي (١) .

ومن أمارات الجناس المطبوع عندي :

١ — أن ينبذ به القائل من غير تمهل ولا تفكير كما ينبذ بكلام التخاطب لا يتردد ولا يتلصكأ ولا يفكر ، بل كأنه يغترف من غدير صاف رقراق وقد مرت الأمثلة الكثيرة على ذلك .

٢ — أن يكون الكلام في حاجة إليه ، بحيث إذا حذف منه لم يكن له من الروتق والماء والبهاء ما كان له من قبل ، كقول ذى القرنين : السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه ؛ لأننا إذا عرفناه أطلنا يومه ، وأطرننا نومه .
وقول الإمام علي : كل شيء يعز حين ينزر ، والعلم يعز حين يغزر .
« فنومه » في كلام الإسكندر : و « يغزر » في كلام الإمام وقعا موقعهما الذي لا يحيد عنه إذا حرص على تمام المعنى ، زيادة على ما فيهما من حلاوة الإيقاع وجمال التنعيم .

وقول زهير بن أبي سلمى :

كأن عيني وقد سال السليل بهم وجيرة ما هم لو أنهم أمم (٢)
فالشاعر لم يجمع بين سال والليل اعتباطا ، ولم يكن من همه أن يوفر الموسيقى للشعر فقط ، ولكن لأن المعنى فوق ذلك يستوجب « سال » بالذات فالسليل واد بعينه ، ومن شأن الوادي أن يمتلىء بالليل فيسيل به .
ثم إن لفظة « سال » تفيد أن السير كان حثيثا في غاية السرعة كأنه مرور السيل على وجه الأرض ، ثم هو مع ذلك فيه لين وسهولة .

ولا شك أن السيل السريع من الأحباب فيه إيلام للحبين ؛ لأنه يزجهم عن الوداع ، ويحرمهم التعال برؤية المفارقين ولو بهض الوقت ، وقد جاء في ذلك قول الشاعر :

(١) الكرب بفتح الكاف والراء : لغة في الكرب .

(٢) في بعض الروايات : وعبرة ما هم ، وأم : قريب .

وإن لم يكن إلا تعطل ساعة قليلا فإنى نافع لى قليلها
فأنت ترى أن « سال » متعينة هنا لهذه الأغراض كلها ، وأن التجنيس
ليس أحق بها من المعنى نفسه .

ويقول ابن الأثير فى « سال » من قول كثير :
وسالت بأعناق المطى الأباطح .

إن هؤلاء القوم لما تحدثوا ، وهم سائرون على المطايا ، شغلتهم لذة
الحديث عن إمساك الأزيمة فاسترخت فى أيديهم ، وكذلك شأن من يشره
وتغلبه الشهوة فى أمر من الأمور .

ولما كان الأمر كذلك وارتخت الأزيمة عن الأيدى ، أسرعت المطايا فى
المسير ، فشبهت أعناقها بمرور السيل على وجه الأرض فى سرعته .

وهذا موضع كريم حسن لا مزيد على حسنه ، والذي لا ينعم نظره
فيه لا يعلم ما اشتمل عليه من المعنى ، فالعرب إنما تحسن ألفاظها وتزخر بها
عناية منها بالمعاني التى تحتها ، فالألفاظ إذا خدم للبعانى ، والمخدوم لا شك
أشرف من الخادم فاعرف ذلك (١) .

وقول أبى تمام يمدح المعتصم بعد فتح عمورية :

عداك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور وعن سلساتها الخصب
يريد أن تشميره فى إنقاذ الثغور التى أذلها العدو وداس حماها ، شغله
عن تقييل ثغور الحسان ورشف رضاها البارد .

وإنما حسن ذلك ، لأن المحارب المتفانى يجب ألا يلقى باله إلى شىء من
ألوان الترف والنعيم وضروب المتع واللذات كما قال الأخطل فى بنى أمية :
قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأظهار
وكما قال ابن عمار يمدح المعتضد الأندلسى :

فأكثر ما يلهيك عن كأسها الوغى وعن نغبات العود نغمة مستجد

ومثله قول البحتري :

ورمى بشعرته الثغور فسدّها طلق اليدين مؤملاً وهو با
فالثغور تقتضى حمايتها شجاعة وإقداماً وإطراحاً للخوف حتى لا يبالي
من يقوم بذلك أوقع على الموت أم وقع عليه الموت !
وقد جرت العادة أن يقال : إن فلاناً يتلقى الرماح بشجرة نحره - وهي
نقرته - إذا كان محارباً بأسلاً ، مبالغاً في وصفه بالجرأة والإقدام على
الهلكة بدون تهيب ولا وجل كما قال الشاعر :

يلقى الرماح بصدّره وبنحره ويقيم هامته مقام الميخفر
فالتجنيس بين ثغور البلاد وثغور الحسان في بيت أبي تمام :

عداك حر الثغور

وبين الشجرة والثغور في بيت البحتري :

ورمى بشعرته الثغور

لم يأت عبثاً وإنما حدا إليه المعنى أولاً ، فالفارس المغوار يصرفه حفظ
الثغور عن رشف الثغور ، وثغور الخفاقة لاتسد إلا بثغرات النحور !
وبما جاء غاية الغايات في ذلك قول أبي الحسن :

ما ترى الساقى كشمس طلعت تحمّل المريح في برج الحمل
والشاهد في «تحمّل» و«الحمل» .

فبهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه ، إذ كان برج الحمل بيت المريح
وموضع شرف الشمس ، فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ، مظهر الخفي
محاسنه ، وحصل التجنيس فضلة على المعنى ، لأنه لو قال في وزن موضع
«الحمل» : الكبش ، لكان كلامه مستقيماً .

فهذا التجنيس - كما ترى - وقع من غير تكلف ولا قصد ، ولكن الأكثر
أن يكون التجنيس مقصوداً إليه ، مأخوذاً منه ما ساحت به القريحة وأعان
عليه الطبع ^(١) .

فأين هذا من قول منصور بن الفرّج :
أكابد منك أليم الألم فقد أنحل الجسم بعد الجسم
الجسم بفتح الجيم والسين : العظم بكسر العين وفتح الظاء .
وهي كلمة ثقيلة غريبة نائية في موضعها ، جرى بها لامية ولكن قصداً
للجناس فقط ، وقد كان في الإمكان أن يقول : بعد السمن ، فيخلص من
هذا العيب .

وقول أبي سعيد الخزومي في طاهر بن الحسين :
ولو رأى هرم معشار نائله لقل في هرم قد جن أو هرما
أراد أن يجانس بين هرم بن سنان المرى المعروف بالجدود ، وبين
الفعل الماضي «هرم» فجاء بهذا الجناس الهرم المتداعى مبنى ومعنى
وقول أبي تمام في مدح ابن الزيات :

ترى حبله عريان من كل غدرة وقد نصبت تحت الحبال الحبال
جنس تجنيس اشتقاق بين حبال وحبال ، وقد ارتكب من أجل ذلك
استعارة غير معقولة من أجل هذا التجنيس حين جعل الحبل يتصف
بالعري : يريد أنهم غادرون .

والعجيب : أن خياله صور له أن تحت الحبال حبال منصوبة ، وهذا
يحتاج إلى فضاء واسع وحيز كبير ، ويقتضى أن يكون للحبال عرضاً (١) .
وقوله :

قرت بقسران عين الدين وانشرت بالاشترين عيون الشرك فاصطلمها (٢)
قران : اسم موضع كانت به معركة ، وانشتار العين : انشقاقها واسترخاؤها
والأشتران : قائدان للبعثم أبليا في ذلك اليوم بلاء حسنا .

والشاعر قصد التجنيس بين انشتار العين والأشترين فسار في التعسف

إلى المدى المستطيل !

(١) هامش هبة الأيام للأستاذ محمود مصطفى .

(٢) رواية الديوان : اشترت ، واصطلم : استنصل .

فانشطار عيون الشرك غاية في الغثاثة والقباحة ، وأيضاً فإن انشتار العين ليس بموجب الاصطلام^(١)

ذلك لأن الاصطلام : قطع الشيء من أصله ، والانشطار لا يترتب عليه هذا الاستئصال الكلي ، فالنتيجة التي رتبها على هذا الانشتار المزعوم باطلة . ومن هذا النوع الرذل قول منصور بن الفرغ :

إن كان يوم صائراً لمنية إلفا فيوم تفرق الإلفين والنسج ردىء والمعنى مستغلق ، وقد عبر عن ذلك المتنبي بعبارة واضحة سهلة رصينة حيث يقول :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا
وقول آخر وفيه طباق مع التجنيس :

كم رأس رأس بكى من غير إيمقلته دما وتحسبه بالقاع مبتسما
الرأس الثانية : الرجل العظيم ، وأهل الحبشة يشيع بينهم هذا الاستعمال . يريد : كم رأس رجل عظيم تدفق الدم منه فوق الأرض المستوية التي يحارب عليها ، ويظن أنه يتسم لا أنه يبكي دما من فمه المفتوح . فهذا البيت الحبشى لا يقل عن سابقه قول منصور بن الفرغ سوء صياغة وشدة غموض ، مع فسوله المعنى .

وقول أبي القاسم بن إدريس الرندي في عبد المؤمن من أول قصيدة :
ما الفخر إلا نخر عبد المؤمن أتى عليه كل عبد مؤمن
وفيه يقول جعفر بن سعيد : دعاه التجنيس إلى الضعف والخروج عن المقصود ، والأولى لو قال :

شاد الخلافة وهو أول مبتنى^(٢)

ومثل هذه التجنيسات ، هي التي يقول فيها أبو الفتح البستي :
في الناس من تجنيسه تجنيس أبدأ كما تدرسه تدريس^(٣)

(١) الموازنة — ٢٥٢ (٢) قفح الطيب — ٢ — ٤٤٦

(٣) لعل تجنيس الثانية من الجنس بالفتح وهو الجود ، وتدرس من الدرس بإسكان الراء . وهو الجرب .

وهكذا لا تجد تجنيسا حسنا إلا وجدت المعنى يناصر اللفظ في هذا الحسن ويساوقه ، وأنهما توافيا على أذنك وعقلك في وقت معا ، وأن المزية لهما جميعا ، وأنهما متآخيان مترابطان لا يؤثر أحدهما أن ينفرد بالافضلية دون صاحبه .

ولذلك كان المجانس عند قدامة داخل في باب ائتلاف اللفظ والمعنى^(١) وقد قرر عبد القاهر ذلك بقوله : فأما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا .

أترك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذهبت بمذهبه السباحة فالتوت فيه الظنون أم مذهب^(٢)
واستحسن تجنيس القائل :

حتى نجا من خوفه وما نجا

وقول المحدث — هو الفتح البستي — :

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أودعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ وحده ، أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني ، ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا بجهولة منكرة ، وزأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأن لم يزد . وقد أحسن في الزيادة ووفاه^(٣) .

والمعنى : تحيرت الظنون في تحليل جوده المتجاوز الحد ، أهو طريقة خاصة ، أم هو جنون السكرم الذي اعتراه .

(١) نقد الشعر — ٩٦

(٢) المذهب بفتح الميم : الطريقة والأصل والمعتقد ، وبالضم : شيطان الوضوء والجنون وإلى الأخير ذهب الصولي .

(٣) أسرار البلاغة — ٥

ويرى الدكتور سلامة : أن الشاعر يريد أن العظيم أحياء مذهب السباحة
والكرم ، فلما مات مات بموته الكرم ، وماتت السباحة ، فيحار أبو تمام
أمام كلية مذهب : هل الميت هو مذهب السباحة ، أو هو مذهب السباحة
بعينها ^(١) .

ولهذا نرى الجناس يترك إذا كان وجوده يضعف المعنى كما في قوله
تعالى : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » .

فلم يقل : بمصدق لنا ، وبه يؤدي المعنى مع رعاية التجنيس .
والسر في ذلك : أن في مؤمن لنا من المعنى ما ليس في مصدق ؛ لأن
معنى قولك : فلان مصدق لي : قال لي : صدقت .

وأما مؤمن فعنايه مع رعاية التصديق : إعطاء الأمن .
ومقصودهم : التصديق وزيادة طلب الأمن ؛ فلذلك عبر به .
وقوله — تعالى — : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » .
قال أحد الأدباء . لو قال : أتدعون بعلا ، وتدعون أحسن الخالقين
لكان فيه مراعاة تجنيس .

وقد أجاب الرازي : بأن فصاحة القرآن ليست لرعاية هذه التكاليف ،
بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ .

وأجاب غيره : بأن مراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ ، ولو قال :
أتدعون وتدعون لوقع الالتباس على القارئ فيجعلها بمعنى واحد تصحيفا .
ويعلق السيوطي على ذلك : بأن الجواب غير ناضج .

وأجاب ابن الزمكاني : بأن التجنيس تحسين ، وإنما يستعمل في مقام
الوعد والإحسان لا في مقام التهويل .

ولا يعجبني هذا التعليل الذي يجعل الجناس خاصا بمقام دون مقام ،
ويكفي في الرد عليه أنه جاء في مقام التهويل حيث يقول تعالى . « ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » .

(١) بلاغة أرسطو — ٧٠

(٢) بل : من كان لقوم إلياس عليه السلام .

وأجاب الخويبي : بأن « تدع » ، أخص من « تذر » ، لأن تدع بمعنى ترك الشيء مع الاعتناء به بشهادة الاشتقاق نحو الايداع ، فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها ، ولهذا يختار لها من هو مؤتمن عليها ، ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة .

وأما « تذر » ، فعناها : الترك مطلقا ، أو الترك مع الإعراض والرفض الكلى ، قال الراغب يقال : فلان يذر الشيء : أى يقذفه لقلة الاعتداد به ، ومنه الوزرة : قطعة من اللحم ، سميت بذلك لقلة الاعتداد بها .

ويقول السيوطى : ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول ، فأريد هنا تبشيع حالهم فى الإعراض عن ربهم ، وأنهم بلغوا الغاية فى الإعراض^(١) .

٣ — أن يحقق الجنس — بعد استكمال جمال اللفظ وصواب المعنى — نوعاً من الجرس الرخيم والموسيقية الشاجية تكون نافلة محمودة لا يضام لها واحد من اللفظ والمعنى .

وذلك كقول محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدى الكوفى^(٢) — يرثى ابنا له اسمه يحيى — :

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل
تيممت فيه الفأل حين رزقته ولم أدر أن الفأل فيه يفيل
وفى بعض الروايات^(٣) :

تفاءلت لو يغنى النفاؤل باسمه وما خلت فالاً قبل ذاك يفيل
ففى البيت نوعان من الجنس :

الأول : جناس تام مستوف بين يحيى : الاسم ، ويحيا : الفعل .
والآخر : شبه جناس الاشتقاق بين الفأل : ضد الطيرة ، ويفيل :

بمعنى : يخيب .

(١) الإتيان — ٢ — ١٥٤ — ١٥٥ (٢) هو ابن أخت ابن آدم الصوفى المشهور -

(٣) الصناعتين — ٣١٧

ولا مرية أن الأذن تستروح إلى التثغيم في هذين الجناسين وتجد لها
طرباً ونشوة ، وإنك لو اجد مثل ذلك في قول والبة يرئى أخاه :
وكنـت لى مألـفـا إذا نفر من بعض إخوان ودهم نفروا
وقول أبى تمام — وهو من الابتداءات المليحة — :
سعدت غربة النوى بسعاد فهى طوع الإتهام والإنجاد
ولو أنت مثلاً قلت : سميته يـمـي ليعيش أو ليعمر ، ولم أدر أن الفأل
فيه يـخـيب .

وقلت : إذا نفر من بعض إخوان ودهم بعدوا .
وقلت : نـعمـت غـرـبـة النوى بسعاد ، أو سعدت غربة النوى بنـشـعـم ،
لاحسست أن الكلام قد هبط دون الدرجة التى كان فيها ، وأن قسطاً عظيماً
من الصدى المتجاوب بين الألفاظ قد ذهب ، وأن غير قليل من الإيقاع
المطرب قد تلاشى ، وأن قدراً وافراً من النشوة المرقصة قد فارقت عطفك
مع أن المعنى لم يتغير والبيت لا يزال محتفظاً بوزنه .

الفصل الخامس

قسم ابن المعتز الجناس إلى قسمين (١) .

١ - أن تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها
ويشتق منها ، مثل قول الشاعر (٢) .

يوماً خلجت على الخليج نفوسهم (٣) .

٢ - أن يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول
الشاعر (٤) .

إن لوم العاشق اللوم (٥) .

ولم يتعرض ابن المعتز لتسمية هذين القسمين ، والأول : يسميه
البديعيون : جناس الاشتقاق ، والآخر : شبه جناس الاشتقاق ، أو الجناس
المطلق كما يأتي .

ولسنا نجد في الأمثلة الكثيرة التي أوردناها ما يشمل غير هذين القسمين
كالجناس التام المستوفى مثل قول محمد بن كناسة المتقدم :

وسميته يحيا ليحيا . . .

وكالجناس المحرف مثل قول أبي العيلاء : وكيف أظهرتم حب النساء
وبكم عرق النساء !

غير أن ذلك قليل فمعظم أمثله منصبة على القسمين السابقين ، ولا
غرامة في ذلك لجناس الاشتقاق وشبهه أكثر الأنواع لسهولة مسلكه
وقربه من الفطرة .

(١) البدیع — ••

(٢) هو إسحاق بن حسان الحريري .

(٣) خليج : جذب ، والخليج : بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير .

(٤) اللوم : اللؤم .

(٥) هو مسلم بن الوليد .

هذا إلى أن الشعراء إذ ذاك لم يكونوا أوغلوا في الجنس وشققوه
أنواعاً كثيرة ، ومارسوه صناعة عتيقة تقصد لذاتها كما فعل المتأخرون.
في عصور تقهقر الشعر .

وذهب قدامة إلى أن الجنس التام المائل : من المطابقة ، فأما الجنس
عنده فهو: اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق (١) .

ويؤخذ من أمثاله أن الاشتقاق يشمل المطلق ، وعلى هذا يكون متفقاً
مع ابن المعتز في تقسيمه الجنس إلى هذين الأصلين ، ومخالفاً له في غيرهما:
فما مثل له ابن المعتز ولم يذكره باسمه .

وقسمه أبو هلال العسكري (٢) ابتداءً إلى قسمين كما صنع ابن المعتز
تماماً ، وأخذ تعريفه لهما مع زيادة شرح بها ماهيتهما .

ولكنه زاد عليه بالتمثيل لأنواع أخرى من الجنس كالناقص
والمعكوس والمضارع واللاحق وإن لم يسمها بأسمائها التي عرفت بها فيما بعد.
اكتفاء بتعريفها .

ويظهر فضله في كثرة ما أورده من الأمثلة الثرية والشعرية ، وإن كان
بعضها مأخوذاً من كتاب البديع لابن المعتز .

كما أنه لم ينس أن يمزجها بشيء من النقد يبين به وجوه الحسن والقبح فيها ..
ولكن يؤخذ عليه أنه ساق الأمثلة فوضى بلا ترتيب ولا نظام ، فاختلط
بعضها ببعض اختلاطاً غريباً يصعب معه رد كل مثال إلى نوعه من الجنس .
هذا إلى أن الأمر انتشر عليه في تمييز بعض الأقسام من بعض كالجناس
الناقص والمضارع .

غير أن ذلك يغتفر له ، فقد كانت هذه الفنون في طفولتها ، ولم يكن
التأليف قد وضحت سمته واستقامت طريقته .

(٢) الصنائع — ٣٠٨

(١) قد الشعر — ٩٧

وذكر القاضى الجرجاني^(١) من أنواع الجنس : المطلق والتام المستوفى .
والناقص والمصحف .

وعرض انواع آخر سماه المضاف سنتكلم عنه فى موضعه .
وعرض ابن رشيق^(٢) للجناس فقال : إنه ضروب كثيرة ذكر منها
المائلة والمحقق والمضارع والناقص والمصحف والقلب والاشتقاق والمطلق .
ولكنه أورد هذه الأنواع على غير تنسيق فدخل بعضها فى بعض ،
وساق لها الأمثلة الكثيرة على غير هدى فسادها التناقض !
فتلا عرف المائلة : بأن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى كثنية

بمعنى عقبة ، وثنية بمعنى ناقة .

وهذا هو الجنس التام .

ثم عاد فقال : هذا وما شاكله يسمى التجنيس : المحقق ، وقد عرفه :
بأنه ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجوع إلى الاشتقاق أو لم يرجع مثل
الأنف والأنف والهيم والهيم .

نلاحظ كما ترى الجنس التام بجناس الاشتقاق وشبهه !

فابن رشيق كالعسكري فى تصنيفه تعوزه الدقة والضبط والنظام والترتيب .
ولكنه يزيد عنه فى الإكثار من النقصد والتوسع فى الموازنة ،
والاستطراد إلى ذكر أشياء لا تخلو من الفائدة .

وقسم رشيد الدين الوطواط التجنيسات إلى سبعة أقسام ، وهى التجنيس
التام والناقص والزائد والمركب والمكرر والمطرف والخط^(٣) .

وقسمه ابن الأثير^(٤) إلى قسمين :

١ — تجنيس على الحقيقة وهو ما يعرف بالجناس التام .

٢ — وتجنيس بالمشابهة ، وهو ما عدا ذلك .

ولم ينس أن يفاخر بنفسه وينوه بفضله فى هذا التقسيم ؛ فذكر : أن .

(٢) العمدة — ١ — ٢٢٠

(٤) اللؤلؤ السائر — ٩٩

(١) الوساطة — ٤٢

(٣) حقائق السحر — ٩٤

العلماء من أرباب هذه الصناعة قد تصرفوا فيه فغربوا وشرقوا ولا سيما المحدثون منهم ، وأن الناس قد صنفوا فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة واختلفوا في ذلك وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض ، فمنهم عبد الله ابن المعتز وأبو علي الحاتمي والقاضي الجرجاني وقدامة بن جعفر الكاتب وغيرهم .

وقد كنا نظن أنه سيختصر هذه التقاسيم ، ولكن رأيناه يقسم الجنس سبعة أقسام ، أولها القسم الذي عده جنساً حقيقياً ، ثم أتبعه بذكر الستة الباقية المشبهة له .

ويلاحظ أنه لم يذكر من أسمائها غير نوعين : المنجب — وهو نوع من الجنس الناقص — ، والمعكوس : وهو جناس القلب .
وأما الباقي فقد مثل له ووصفه ولم يسمه ، وزاد على ذلك أنه خلط بعضها ببعض ، فأدخل في القسم الذي عده ثانياً : الجنس اللفظي والمضارع والناقص .

فبخالفته لمن سبقه لم تأت نتيجة غير زيادة العدد وتشويش الذهن ، وإن امتاز بلمحاته الفنية الدقيقة واستقلاله برأيه ، وتحكيمة الذوق الخالص في شئون البيان .

وعد السكاكي^(١) الأنواع المعتمدة منه في باب الاستحسان : التام والناقص والمذيل ، والمضارع أو المطرف ، واللاحق ، والمزدوج أو المكرر أو المزدد ، والمشوش .

وفرع عن اللاحق : التصحيف ، وعن التام : المتشابه والمفروق .
والحق بالتجنيس : الاشتقاق وشبهه وهو المطلق .

وذكر الحلبي^(٢) من أنواعه : المستوفي التام ، والناقص والمذيل والمركب والمزدوج والمصحف والمضارع والمشوش والاشتقاق وشبهه والتصريف والمخالف وتجنيس المعنى .

(٢) حسن التوسل — ٤٢

(١) الفتح — ٢٢٧ — ٢٢٨

وذكر الجوى (١) : الجنس المركب والمطلق والملفق والمذيل واللاحق والتام والمطرف والمصحف والمحرف واللفظي والمقلوب والمعنوي .

وذكر الصفدي (٢) : أن الجنس جنس تحت أنواع ، وهي : التام والمغاير والمركب والمزدوج والمطمع والخطي والمخالف والمقارب والمعنوي .

وهذه الأنواع أيضا أجناس لما تنوع إليه .

والمطمع عنده يشمل المضارع واللاحق .

وأطلق على الاشتقاق وشبهه : اسم الجنس المقارب والاشتقاق والاقتضاب .

وذكر الخطيب (٣) : التام والمحرف والناقص ، وما يشمل المضارع واللاحق والقلب .

والحق بالجناس : الاشتقاق وشبهه كما فعل السكاكي .

وهذا الاختلاف مرجعه إلى زيادة في بعض الأنواع عند نهر من العلماء كالمشوش والمصحف والمعنوي .

أو إلى عد بعض الفروع أصلا بذاته كالمركب والملفق ، فبعض العلماء جعلهما من أقسام التام : وبعضهم عد هما قسمين مستقلين .

أو إلى التنويع في التسمية ، فقد يطلق بعضهم على أحد هذه الأنواع اسما ويطلق عليه غيره اسما آخر .

وبمقارنة ما كتب عن الجنس وإنعام النظر فيما ورد منه في الشعر ، يتبين لنا أن تقسيم الخطيب أحمد هذه التقسيمات جميعا وأبعدها عن الإسراف ، فالأنواع التي ذكرها كثيرة الورد قوية الصلة بالطبع .

ولهذا يمكن أن نعدّها أصول الجنس .

والآن نشرع في بيان الجنس على جهة التفصيل .

(٢) جنان الجنس — ١٣

(١) خزائن الأدب — ٢٥

(٣) الإيضاح — ٢٧٢

الفصل السادس

الجناس التام

هو ما اتفق ركناه لفظاً واختلفا معنى بلا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما .

والاتفاق اللفظي يشمل أربعة أنواع :

١ - نوع الحروف .

٢ - عدد الحروف .

ولا عبرة باللام التعريفية ، لأنها في حكم الانفصال لزيادتها على الكلمة كقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين نازعوا جرير بن عبد الله البجلي زمام ناقته : دخلوا بين جرير والجرير، ^(١) .

وقول ابن الخازن من شعراء وفيات الأعيان فيمن أضافه وأدخله بستانه وحمامه :

وافيت منزله فلم أر حاجباً	إلا تلقاني بسن ضاحك
والبشر في وجه الغلام أماره	لمقدمات حياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمة	فشكرت «رضوانا» ورأفة «مالك» ^(٢)
والشاهد في المالك ومالك .	
ومثله قول أبي نصر العتبي :	
يا ذا الذي فتن الورى وبوجهه	أحيا رسوما للبحاسن عافيه
يحكى محياه خلال عذاره	علم السلامة في طراز العافيه

(١) الجرير : الجبل .

(٢) رضوان : خازن الجنة ، ومالك : خازن النار .

ومن الشعر الحديث قول الأسمر :

محمود والمحمود أنت صنعت ما تبقى مآثره على الأجيال
وقول محمود غنيم :

سفسلك يوما سبيل الجدود فلسنا بأسعد منهم جدودا
ولا عبرة كذلك بأن يكون أحدهما مضافا والثاني معرفا كقول أبي تمام :
فأصبحت غرر الأيام مشرقة بالنصر تضحك عن أيامك الغرر
وقول إسماعيل صبرى :

عذابي به عذب كبرد رضا به وعذرى أضحي وأضحأ فى الهوى العذرى
٣ - هيئة الحروف .

والمراد بها حركات الكلمة وسكناتها ، ولا تعتبر حركة الحرف الأخير
ولا سكونه ؛ لأنه عرضة للتغير إذ هو محل الإعراب والوقف ، فلا
يشترط اتفاق الكلمتين فى هيئته ، كقول أبى جعفر محمد بن العباس
الوزير يهجو :

من احتاج إلى السيف	فما فى فىك يكفىك
وما جارحة فىك	لنا أرح من فىك
وأطراف المساويك	لتنبى عن مساويك
والشاهد فى البيت الأخير .	

وقول أبى الفتح البسى :

وغزال كل من شبهه	بهلال أو بيدر ظله
قلت إذ قبلت وهما فه	قد تعديت وأسرفت فه ^(١)

وقول آخر :

وسكنت قلبا خافقا	ياسا كنا فى غير ساكن
------------------	----------------------

وقول الأسمر :

لم يفرق ما بين بيض وسمر	لم يجرد للبنى بيضا وسمرا
-------------------------	--------------------------

(١) اسم فعل أمر بمعنى انكف .

٤ — ترتيب الحروف كما في الأمثال السابقة جميعها .
ومن هنا يظهر وجه تسميته بالتام .
ومن البديعيين من يسميه : الكامل ^(١) .
ومنهم من يسميه : المستوفى ^(٢) .
ومنهم من يسميه : المستوفى والكامل ^(٣) .
ومنهم من يسميه : المستوفى التام ^(٤) .
ومنهم من يسميه : المائل ، أخذ له من المائلة أو التماثل ، وكلاهما الاتحاد
في النوع جرياً على اصطلاح المتكلمين ^(٥) .
واستبعده العِصام واستظهر أنه من المائلة بمعنى المشابهة .
ولنما يسمى التشابه الكامل بالتماثل اكماله ؛ فكأنه بلغ في الكمال إلى حد
قام به تماثل كما يقال : جل جلاله ^(٦) .
وبعض البغداديين يسمى تساوى اللفظتين في الصفة مع اختلاف المعنى :
المائل ؛ كهوجل وهوجل في قول الأوفى الأودى :
وأقطع الهوجل مستأنسا بهوجل عيرانة عنتريس
لأن لفظة الهوجل واحدة ، والمراد بالاولى : الأرض البعيدة ،
وبالثانية : الناقة العظيمة .
ويسمى المجانس : ما توافقت فيه اللفظتان بعض الاتفاق ^(٧) .
والجناس التام أكثر ما يقع في الألفاظ المشتركة .
وهو وحده التجنيس الحقيقي عند ابن الأثير ، وما عداه فليس منه في
شيء وإنما يسمى تجنيساً بالمشابهة ^(٨) .

(١) جنان الجناس — ٢٠
(٢) أسرار البلاغة — ٥ — العمد — ١ — ٢٢١ — حسن التوسل — ٤٣
(٣) الطراز — ٢ — ٣٥٦ (٤) حسن التوسل — ٤٣
(٥) مواهب الفتاح — ٤ — ٤١٥ (٦) المرشدي — ٢ — ١٤٠
(٧) سر الفصاحة — ١٨٥ (٨) المثل السائر — ٩٩

والجناس التام عند الجمهور أربعة أنواع :
١ - التام المائل أو المتماثل ؛ وهو ما اتفق ركناه في الاسمية أو الفعلية أو الحرفية .

مثال الاتفاق في الاسمية قول الجاحظ - يعاتب صديقا له - : يعاتب
في حرف ، ويعبد المودة على حرف .

وقول بعضهم : زائر السلطان كزائر الليث الزائر
وقول آخر : المرأة السليطة حية تسعى ، مادامت حية تسعى
وقول الميكالي : است مني بوائيل ، ولو كنت كليب وائل .
وقول البحتري :

إذا العين راحت وهي عين على الجوى
فليس بسر ما تُسر الأضالع
العين الثانية : الجاسوس .

وقول ابن الرومي - وهو من ملحه - :
للسود في السود آثار تركن بها وقعا من البيض يثنى أعين البيض
السود الأولى : اللبالي ، والآخرى : شعرات الرأس واللحية ، والبيض
الأولى : الشيبات ، والآخرى : النساء الحسان .
وقول المتنبي :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرن أنت ومنك أو اهل
وقول الثعالبى :
وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل
الأولى : جمع بلبل وهو الطائر المعروف ، والثانية : جمع بلبال بالفتح
وهو شدة الهم والوسواس ، والثالثة جمع بلبله وهي : الإبريق يشرب منه
الخمر فأطلق اسم البلبله عليها .
وقول أحمد بن أبي بكر الكاتب :

قطعت من آمل المفازة قطعاً به آمل المفازة (١)
وقول النامى :

لشئون عينك فى البكاء شئون وجفون عينك للبلاء جفون
وقول المطرانى من شعراء اليتيمة :

تزهو علينا بقوس حاجبها زهو تيم بقوس حاجبها
الحاجب الأول : حاجب العين ، والآخر : حاجب بن زرارمة سيد
بنى تيم ، وكان رهن قوسه عند كسرى فى قصة معروفة .
وقول الأستاذ عبد المطلب :

بين القدود الهيف والمران نسب به يحلو لك المران
وقوله : برئى الأستاذ اللواتى :
أعنى أين أدمعك اللواتى جرّين دماغداة قضى اللواتى
وقول الحريرى :

وذى ذمام وفّت بالعهد ذمته ولا ذمام له فى مذهب العرب
الذمام الأول : الحرمة ، والآخر : جمع ذمة بفتح الذال ، وهى البستر
قليلة الماء أو غزيرته .

وبلاحظ فيما تقدم من الأمثلة : أن الاتفاق فى التسمية لا فرق فيه بين
أن يكون الركنان مفردين أو جمعين أو مختلفين كالمثال الأخير .

ومثال الاتفاق فى الفعلية قول شعبة بن عبد الملك من شعراء اليتيمة :
فديت من زارنى على حذر من الأعادى وقلبه يجب
فلو خلعت الدنيا عليه لما قضيت من حقه الذى يجب
وقد جاء هذا التجنيس عينه فى شعر آخر :

يا إخوتى مذبذبات النجب وجب الفؤاد وكان لا يجب
فارقتكم وبقيت بعدكم ما هكذا كان الذى يجب

(١) آمل : اسم بلد .

وقول أبي محمد الخازن من شعراء اليتيمة أيضا :

لا يحسن الشعر ما لم يسترَقَّ له حر الكلام وتستخدم له الفكر
انظر تجد صور الأشياء واحدة وإنما لمعان تعشق الصور
والمعدمون من الإبداع قد كثروا وهم قليلون إن عُدَّوا وإن حصروا
قوم لو أنهم ارتاضوا لما قرضوا أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا
والشاهد في البيت الأخير .

ولم يمثل شُراح التلخيص لهذا النوع .

وقد أورد ابن السبكي هذا المثال له : تربت يمين المسلم ، وتربت يمين الكافر .
أى استغنت الأولى وافترقت الثانية .

وقد ذكر قبله : أنهم لم يمثلوا للفظين من نوعي «الفعل» وهو كثير^(١) .
والحق : أن هذا النوع قليل ، ويضاف إلى ذلك أن مثال ابن السبكي
لا يستقيم ، لأن الوارد في اللغة : ترب كفرح : خسر وافترق ، وأُترب :
قل ماله وكثر ، ضد .

تقول : ترب فلان بعدما أُترب : أى افتقر بعد غنى ، ومن المجاز : تربت
يداك : إذا دعوت عليه كأنك قلت : تبست وخسرت ا
فلو أنه قال : أُتربت يمين المؤمن ، وأُتربت يمين الكافر لثم له ما أراد .
ومثال الاتفاق في الحرفية قولهم : قد يجود الكريم وقد ييخل الجواد .
فإن الأولى للتكثير والآخرى للتقليل ، فالمعنى مختلف مع اتفاق اللفظين
في نوع الحروف^(٢) .

وقولهم : مامنهم من قائم .

فإن الأولى تبعية والآخرى زائدة^(٣) .

والحق أن هذا إغراق في التكلف والتعمل يأباه الطبع السمع والفطرة
السليمة والذوق الروحاني .

(١) عروس الأفراح — ٤ — ٤١٦

(٢) المرشدي — ٢ — ١٤٠

(٣) حاشية الدسوقي — ٤ — ٤١٦

فليس من الضروري أن نوجد جناس الحروف بالقوة ، فلا تكسب.
 البلاغة بهذا شرفاً أو تزداد ثروة ، ولا يعدو الأمر أن يكون احتيالا على
 إيجاد ما ليس بموجود ، وبعض العدم خير من الوجود .
 وقد فطن إلى ذلك بعض البلغاء فقال ابن يعقوب : وأما مثاله في الحرفين
 فلم يوجد إلا أن يكون في حرف بالنسبة لحقيقته ومجازه إن صح^(١) .
 وقال الصفدي : وهذا القسم لا يمكن تصويره ، لأن الحروف معلومة
 الصيغ مضبوطة ، فلا يتفق ورود كلمتين قد تساوت حروفهما وصيغتهما
 في الكلام العربي كما تقدم في اتفاق الاسم والاسم ، والفعل والفعل .
 وقد يتصور في مثل إنَّ إنَّ زيدا قائم .
 بمعنى : نعم إن زيدا قائم - على لغة من قاله - وإنما ذكرته لكون
 القسمة العقلية اقتضته^(٢) .

ومن أمثلة الجناس التام المائل في القرآن الكريم : « ويوم تقوم الساعة
 يُنقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » .
 الساعة الأولى : القيامة ، والثانية : يحتمل أن يراد بها هذه الساعة
 الاصطلاحية : أى التى هى جزء من أربعة وعشرين جزءا ينقسم إليها
 الليل والنهار .
 ويحتمل أن يراد بها : الساعة اللغوية ، وهى اللحظة من الزمان وهذا
 هو الأقرب .
 على أن ذلك موضع خلاف بينهم ، فابن الأثير يقول ، وقد استعمل
 المشترك في الكلام العزيز ، قال - سبحانه - : « ويوم تقوم الساعة . . . » .
 فالساعة الأولى : هى القيامة ، والساعة الثانية : هى المقدار المخصوص
 من الزمان .

وقد رد عليه ابن أبي الحديد بقوله : إذا ذهب أن يذهب إلى أن الساعة
 في الموضعين بمعنى واحد ، هو هذا المقدار المعين من الزمان .

(١) .واهب الفتاح — ٤ — ٤١٦ (٢) جناس الجناس — ٣

وسميت القيامة : ساعة لما يجرى فيها من الأحوال والأموال الشاقة ،
وهذه عادتهم إذا استعظموا أمرا يقع في زمان مخصوص اكتفوا بذكر
ذلك الزمان ، فمن الدلالة عليه قولهم : يوم الجمل ، ويوم ذى قار ، وليلة
الحرير ، وقوله - سبحانه - : « هذا يومكم الذى كنتم توعدون » .

ولم يقل أحد : إن لفظة يوم مشتركة ، وأنها في هذا الموضع بمعنى
القيامة ، وفي غيره بمعنى الزمان المخصوص ، وعلى هذا يكون معنى قوله :
تقوم الساعة : تحضر الساعة التى وعدوا بالمجازاة فيها ، فلا تكون اللفظة
مشتركة كما زعمه هذا المصنف .

أو يكون مجازا في القيامة ، حقيقة في الوقت المخصوص ، فلا يتم أيضا
ما يريد من الاشتراك .

ويؤكد بطلان الاشتراك : أن العرب لم تكن تعرف القيامة فيضعوا
لها لفظة الساعة ، كما وضعوا لفظة الفرس لهذا الحيوان المخصوص ، اللهم
إلا أن يقال : إنها حقيقة شرعية فيكون ذلك تسليما لما يقوله المعترض ،
لأن الحقيقة الشرعية مجاز حقيقى في أصل الوضع ^(١) .

وقيل أيضا : إنه لاجتناس في الآية أصلا ، لأن استعمال لفظ الساعة
في القيامة مجاز لوقوعها في لحظة ، فسميت القيامة ساعة ملائمتها للساعة .
واللفظ الحقيقى مع مجازيه لا يكون من التجنيس كما لو قيل : رأيت
أسدا في الحمام وأسدا في الغابة .

وكما لو قلت : ركبت حمارا ورأيت حمارا : تعنى باليدا .
ويقول الدسوقي : وقد يحجب على تقدير تسليم أنه لاجتناس بين اللفظ
الحقيقى ومجازيه : بأن الساعة صارت حقيقة عرفية في القيامة .
أى : إن الاجتناس بين لفظين حقيقيين لا بين لفظ حقيقى ومجازى .
وقد اعتمد الصفدى الاجتناس في مثل هذا فقال : ومن منع أن هذا
النوع ليس من التجنيس فليس من التحقيق في شيء .

(١) الفلك الدائر — ٣

ويرى بعض الباحثين : أنه لم يقع في التزبل الحكيم جناس تام غير هذه الآية (١) .

ولكن ابن حجر قد استنبط جناسا آخر تاما ، وهو قوله - تعالى - :
« يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » ، بقلب الله الليل والنهار إن في ذلك
لعبرة لأولى الأبصار (٢) .

وبما جاء في الحديث الشريف : « دعوا جريرا والجريير » .
وقد تقدم .

ويقول السيوطي : لم أقف على هذا الحديث ، ولكن وجدت قوله -
صلى الله عليه وسلم - : « من تعلم صرف الكلام ليسخر به قلوب الناس لم
يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » .

الصرف الأول : فضل الكلام كما فسرهُ أبو عبيدة ، والآخر : النافلة
أو التوبة (٣) .

وفي القاموس : الصرف في الحديث : التوبة ، والعدل : الفدية .

أو الصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة أو بالعكس .

أو الصرف : الوزن ، والعدل : الكيل .

ومن الحديث قوله - صلى الله عليه وسلم - : « من أمر بمعروف فليكن
أمره ذلك بمعروف » .

وقوله : « أول من يدخل النار سلطان لم يعدل في سلطانه » .

٢ — التام المستو في بصيغة اسم المفعول .

وهو أن يكون ركناه من نوعين مختلفين كاسم وفعل ، واسم وحرف ،
وفعل وحرف .

والمستو في لغة : ما أعطى حقه وافيا ؛ وقد سمي هذا النوع بذلك إذا نا

(١) الصناعتين — ٤١٠ — المثل السائر — ٩٩

(٢) الإقنان — ٢ — ١٥٣ — خزانة الأدب للحموي — ٣٧

(٣) شرح عقود الجمان — ٢ — ١٤٩

بانه - وإن اختلف اللفظان نوعاً ما - لم ينتقص شيء من حق الجنس .
أو سمي بذلك لاستيفاء كل من اللفظين أوصاف الآخر وإن اختلفا
في النوع^(١) .

أو لأن حروف كل منهما مستوفاة في الآخر^(٢) .
مثاله في الاسم والفعل - وهو كثير - قول أبي تمام - يمدح يحيى بن
عبدالله البرمكي من رجالات الدولة العباسية - :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبدالله
وإنما عد في هذا الباب لاختلاف المعنيين ؛ لأن أحدهما فعل والآخرا اسم ،
ولو اتفق المعنيان لم يعد تجنيساً وإنما لفظة مكررة كقول امرئ القيس :
فلما دنوت تسديتها فتوباً لبست وثوباً أجراً^(٣)
فقد تكرر في هذا البيت ذكر الثوب كما تكرر ذكر يحيى في بيت أبي تمام ،
إلا أن هذين اتفق معناهما واختلف ذانك المعنيان فعده الأول من البديع^(٤) .
وقول المعري :

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ونحن في حفر الأجداث أحيانا
وقول ابن السيد البطليوسي :

هم سلبوني حسن صبرى إذ بانوا بأقار أطواق مطالعها بان
وقول أبي الفتح البستي في السلطان عين الدولة :

قلت لطرف الطبع لما وفي ولم يطع أمرى ولا زجرى^(٥)
مالك لا تجرى وأنت الذى تجرى مدى العلياء إذ تجرى
فقال لى دعنى ولا تؤذنى إلى متى أجزى بلا أجر
وقوله :

رضيت بعيش كفاف حلال وبعث المدام بماء زلال

(١) حاشية الدسوقي - ٢ - ٤١٦ (٢) الوساطة - ٤١

(٣) التسدى : الركوب . (٤) الوساطة - ٤

(٥) الطرف بالكسر : الفرس

فن يك يحملو له ما يصيب حراما فإن حلالى حلالى
وقوله :

صدف الحبيب بوصله فجفا رقادى إذ صدف
ونثرت لؤلؤ أدمع أضحى لها جفنى صدف
وقول الميكالى :

شافه كفى رشأ بقبلة ما شفت
فقلت إذ قبّلتها ياليت كفى شفتى
وقول أبى سعد الهروى :

يامن تذكرنى شمائله ريح الشمال تنفّست سحرا
وإذا امتطى قلم أنامله سحر الأنام به وما سحرا
وقول داود الأنطاكى :

هواك مازج روحى قبل تكوينى وأنت ظلما بنار الهجر تكوينى
صبرت فيك على أشياء أيسرها ذهاب نفسى وقوم عنك تلوينى
وقول آخر :

دهرنا أمسى ضنيننا باللقا حتى ضنيننا
ياللى الوصل عودى واجمعينا أجمعينا

ومثاله فى الاسم والحرف : ما جاء فى الحديث الشريف : « إنك لن
تُنفق نفقة تبتهى بها وجه الله - تعالى - إلا أجّرت بها حتى ما تجعل فى
فى امرأتك ، .
رواه الشيخان .

ب فى ، الأولى : حرف ، والآخرى : الفم .

وقول المتنّى :

يرى أن ما بان منك لضارب بأقتلَ مما بان منك لعائب
ما الأولى : عاملة عمل ليس ، وما الثانية : اسم موصول ، واسم إن ضمير
الشان محذوف .

يريد : أن هذا الممدوح — وهو طاهر بن الحسين العلوى — بلغ من كمال مروءته : أنه يرى أن مظهر من مقاتل الإنسان للضارب كالعنق والرأس . مثلاً ، ليس بأقتل له مما ظهر للطاعن في عرضه ، لأن العيب عنده أشد من القتل كما يقول بعضهم :

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول
وقد أخذ المتنبى من قول أبي تمام :

فنى لا يرى أن الفريضة مقتل ولكن يرى أن العيوب مقاتل^(١)
فمنحه من صورة حسنة إلى صورة قبيحة ، ومثاله في ذلك كمن أودع
الوشى شمالاً وأعطى الورد جُملاً ، وهذا من أرذل السرقات^(٢) .
وقد تكلف المتأخرون لهذا النوع مثالين جاءا بغيرين ثقلين كما يجيء
بكل متكلف ، وهما قولهم :

ماما فعلت قبيح^(٣) !

ما الأولى : نافية ، والآخرى موصولة .

أى ما الذى فعلت قبيح .

وهو احتذاء لقول المتنبى السابق في التعسف والهجنة والسخف !

وقولهم : رُبَّ رجل شرب رُبَّ رجل آخر^(٤) !

رب الأولى : حرف جر ، والآخرى : العصير المستخرج من العنب .

أى رب رجل شرب عصير عنب رجل آخر !

وهو أسخف وأثقل وأبرد من المثل السابق .

ويعترف الصفدى : بأنه لم يقف على شاهد لهذا النوع ، ولكنه لم يشأ

أن يعترف بالعجز فقال : ولكن يمكن أن يتصور في مثل قولك : بلغنى

أن أن زيد مثل عمرو !

(١) الفريضة : الودج . (٢) المثل السائر — ٣٣٤

(٣) عروس الأفراح — ٤ — ٤١٧

(٤) مواهب المتاح — ٤ — ٤١٧ — حاشية الدسوقي — ٤ — ٤٧

ثم انبرى يشرح هذا المثال الغريب فقال : إن ، أن ، الأولى : حرف توكيد ونصب .

و ، أن ، الثانية : مصدر أن يئن أنا وهو الآنين .

كأنك قلت : بلغنى أن أنين زيد مثل أنين عمرو !

وليس بعد هذا غاية في البرود والتفاهة !

ومثاله في الحرف والفعل - وهو مما تعمله المتأخرون أيضاً - قولهم :

علا زيد على جميع أهله ، أو علا على رأس الجبل .

وقد عثر له الصفدى على مثال جاء مقبولا في جملته وهو :

ولو أنّ وصلا علّوه بقربه لما أنّ من حمل الصباية والجوى^(١)

ولعل السر في خفة هذا البيت - مع ظهور التصنيع فيه عما مرّ من

الأمثلة - تباعد ركنى الجنس : أى ، أنّ ، ، و ، أن ، الفعل .

والحق أن هذا النوع - فيما عدا الاتفاق في الاسم والفعل - يعد نادرا

لا يصح احتذاؤه ؛ لأن الطبع لا يسمح به عن طوعية ، وحسبنا أن ابن

السبكي يقول : ولم يثل البلغاء لغيره^(٢) .

يعنى الجنس المتفق في الاسمية والفعلية .

ومما يخطر بالبال هنا : أن عكس التسمية بين المائل والمستوفى كان

أولى ، لأن الأول وقع فيه استيفاء التشابه بين اللفظين بخلاف الأخير ،

فكان يحسن أن يسمى المستوفى لا المائل .

ولكن لعلمهم لاحظوا في التماثل حصول الاستواء من كل وجه ؛ لأن

التماثل عند المتكلمين لا يكون إلا عند التساوى من كل وجه لا مابه الاختلاف .

٣ - التام المركب ، أو جناس التركيب .

وقد صدر به صفي الدين الحلبي بديعته هو والجناس المطلق ، واقتدى

به في ذلك الحموى وحده .

(٢) مروس الأفراح - ٤ - ٤٧

(١) جنان الجنس - ٢

(٣) المرشدى - ٢ - ٤٠

وقد عده الخطيب وشراح التلخيص من الجنس التام .
وعده الصفدي وغيره جنسا مستقلا .
وهو ما كان أحد ركنيه مركبا والثاني بسيطا : أى مفردا .
سمى بذلك لتركب أحد لفظيه .
والمراد بكونه مركبا : أن يكون مؤلفا من كلمتين مستقلتين : أو كلمة
وجزء كلمة ، أو جزأين من كلمتين .
والمراد بكونه مفردا : أن يكون كلمة واحدة .
وقد يكون الإفراد حقيقة ، وقد يكون تنزيلا كما فى قولك : جاملنا ؛
لأنهم عدو الضمير المنصوب المتصل بمنزلة جزء من الكلمة ، فصار المجموع
فى حكم المفرد .

مثاله قول أبى الفتح البستى :
إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبه
فالاول مركب من ذا . بمعنى صاحب ، وهبة : بمعنى العطية .
والآخر : اسم فاعل مؤنث من الفعل وهب .
وقول لسان الدين بن الخطيب .

بتنا نكابد هم القحط ليلتنا وأيد الهم والسهد البراغشا
وكان يحمل ما كنا نكابده من المشقة لو أن البراغشا
البرى بفتح الباء : التراب ، ورسمت بالالف ليم التجانس .
وغيث : فعل مبنى للجهول : أى أصابه الغيث .
والركن الأول كلمة ، والثانى كلمتان .

وقول السراج القارىء البغدادى :
ياساكنى الدير حلولا به تُطربهم فيه النواقيس
قيسوا لنا القرب وكم بينه وبين أيام النوى قيسوا

وجناس التركيب قسمان :

أ - ملفوف .

وهو ما كان ركنه المركب مؤلفاً من كلمتين تامتين كقول طاهر البصري:
ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أودعاني
والشاهد في الشطر الثاني ؛ فإن الركن المركب وهو «أودعاني» . مركب
من «أو» العاطفة و «دعاني» فعل الأمر .

وقول الشاب الظريف :

أسرع وسرّ طالب المعالي بكل واد وكل مَرَهْمَة^(١)
وإن لحا عاذل جهول فقل له يا عذول مه مه

ب - مرفوء .

وهو ما كان ركنه المركب مؤلفاً من كلمة وبعض أخرى ، أو من كلمة
وحرف من حروف المعاني .

سمى بذلك أخذاً من قولهم رفا الثوب . إذا جمع ما تقطع منه بالخيطة
فكأنه ببعض الكلمة رفاً^(٢) .

وذلك مثل قول الحريري :

ولاتله عن تذكر ذنبك وابك
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة مَلَقَاه ومطعم صابه
فالأول مفرد ، والثاني مركب من كلمة وبعض أخرى ، وهي : «صاب»
و «ميم مطعم» الأخيرة .

وقول^(٣) أبي القاسم الموازيني الحلبي — في الخطيب بن هاشم لما تولى
خطابة حلب — :

قد زها المنبر عجباً إذ ترقيت خطيباً

(١) المهمة : القفر .

(٢) حاشية الدسوقي — ٤ — ٤١٩ (٣) وفيات الأعيان — ٢ — ٢٢

أُتْرَى ضَمَّ خَطِيْبَا أَمْنَكَ م ضُمُّ شَخ طِيْبَا
ومثال ما رُفِيَ بِحَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْمَعَانِي وَوَقَعَ الْحَرْفُ مُقَدِّمًا قَوْلُ
أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

عَدُوُّكَ إِمَّا مُّـمَلَّنٌ أَوْ مَكَاتِمٌ وَكَلَّ بِأَنْ يَخْشَى وَأَنْ يَتَّقَى قَنْ
فَكَنْ حَذْرًا تَمَّنْ يَكَاتِمُ سِرَّهُ فَلَيْسَ الَّذِي يَرْمِيكَ جَهْرًا كَنْ كَيْنِ
ومثال ما وَقَعَ فِيهِ الْحَرْفُ مُؤَخَّرًا قَوْلُ الْقَاضِي الْأَرْجَانِيِّ :
وَبِيضُ الْهِنْدِ مِنْ وَجْدِي هَوَازٍ بِإِحْدَى الْبِيضِ مِنْ عُـلْيَا هَوَازِنِ
لأنَّ التَّنْوِينَ يَقَعُ آخِرًا ، وَهُوَ نُونٌ سَاكِنَةٌ زَائِدَةٌ فِي النُّطْقِ .
ثُمَّ إِنَّ كَلَامًا مِنَ الْمَلْفُوفِ وَالْمَرْفُوعِ إِنْ تَوَافَقَ رَكْنَاهُمَا خَطَا فَهُوَ الْمُتَشَابَهُ .
سَمِيَ بِذَلِكَ لِتَشَابَهِ اللَّفْظَيْنِ فِي الْكِتَابَةِ .
وَلَمْ يَذْكُرِ الْحَلِي فِي بَدِيعَتِهِ الْمَرْكَبَ الْمُتَشَابَهَ .
وَإِنْ اخْتَلَفَا خَطَا فَهُوَ الْمَفْرُوقُ لِاقْتِرَاقِهِمَا فِي الْكِتَابَةِ .
وَقَدْ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ الْحَلِي فِي بَدِيعَتِهِ .

وَلَمْ يَفَرِّقِ الصَّفْدِيُّ بَيْنَ الْمَفْرُوقِ وَبَيْنَ الْمُتَشَابَهِ ، بَلْ أَدْخَلَهَا تَحْتَ نَوْعِ
وَاحِدٍ وَهُوَ الْمَفْرُوقُ ، وَسَاقَ أَمْثَلَهُمَا مَعًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ^(١) .

مِثَالُ الْمَرْكَبِ الْمَلْفُوفِ الْمُتَشَابَهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
عَضْنَا الدَّهْرَ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ
مَرْكَبٌ ، لِأَنَّ أَحَدَ رَكْنَيْهِ مَرْكَبٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَالْآخَرُ مُفْرَدٌ .
وَمَلْفُوفٌ ، لِأَنَّ رَكْنَهُ الْمَرْكَبَ مُؤَلَّفٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ تَامَتَيْنِ وَهُمَا : «بَنَّا» وَ«دَبَّ» ،
وَمُتَشَابَهُ ، لِتَوَافُقِ الرُّكْنَيْنِ خَطَا .
وَقَوْلُ الصَّفْدِيِّ .

يَا مَنْ إِذَا مَا أَتَاهُ أَهْلُ الْمَوَدَّةِ أَوْ لَمْ
أَنَا مَجْبُوكٌ حَقًّا إِنْ كُنْتُ فِي الْقَوْمِ أَوَّلُ

(١) جَنَّانُ الْجَنَاسِ — ٢٤

والشاهد في البيت الثاني .

ومثله ما أورده الحموي^(١) قال : حفظت من شيخنا العلامة شمس الدين
الهيقي الحسن النحوي — وأنا في مبادئ العمر والاشتغال — من الجنس
المركب المتشابه قول القائل من «دوبيت» ، وكان يقول : لا أعرف لها ناظرا :
في مصر قاض من القضاة وله في أكل مواريث اليتامى وله
إن رمت عدالة فقل مجتهدا من عدل له دراهم عدله

ومثال المركب الملفوف المفروق قول الشاب الظريف :

إن الذي منزله من سحب عيني أمرعا
لم أدر من بعدى هل ضييع عهدي أم رعا^(٢)
مركب ، لأن أحد ركنيه مركب «أم رعا» والآخر مفرد «أمرعا» ،
وملفوف ، لأن ركنه المركب مؤلف من كلمتين تامتين .
ومفروق ، لتخالف ركناه في الكتابة .

وقول لسان الدين بن الخطيب :

مالي أهدب نفسي في مطامعها والنفس تأنف تهذي وتهذي بي
إذا سبقت على دهرى بتجربة تأبي المقادير تجري وتجري بي
وقول شاعر :

وشادن من بنى الكتاب مقتدر على البلاغة أحلى الناس لإنشاء
فلا يجاريه في ميدانه أحد يُريك سبحانه في الإنشاء إن شاء
وقول ابن الوردي :

وشادن قلت له هل لك في المنادمة
فقال كم من عاشق سفكت في المنى دمه

وقول قاضي القضاة تقي الدين الحنفي :

قلت للعاذل الملح على الدمع م وإجرائه على الخد نبلا
سل سيلا إلى النجاة ودع دمع م عيوني يجري لهم سلسيلا

(١) خزانة الأدب — ٢٨ (٢) أمرع : أنصب .

وقول الميكالي :

كتبت إليه أستهدى وصالا فعللني بوعد في الجواب
ألا ليت الجواب يكون خيرا فيطفيء ما أحاط من الجوى بي
وقول ابن أسد الفارقي :

يا من "تدلل" بمقـلة وأنا مل من عندم
كفى جعلت لك الفدا الحاظ جفئك عن دمي
ومن المطبوع الطريف (١) : أن اعتماد جارية المعتمد بن عباد قالت
له - وهما في سجن أغمت بمرآكش زمن محنته - : يا مولاي لقد هُنتاهنا !
فأعجبه كلامها وقال يحكيه :

قالت لقد هُنتاهنا مولاي أين جاهنا
قلت لها إلهنا صيرنا إلى هنا

والشاهد في البيت الثاني .

ورواية الصفدي : (٢)

قلت لها إلى هنا صيرنا إلهنا

ومثال المركب المرفوء المتشابه قول القاضي الأرجاني :

أملتهم ثم تأملتهم فلاح لي أن ليس فيهم فلاح
مركب ، لأن أحد ركنيه مركب وهو "فلاح" ، الفعل ، والآخر مفرد
وهو "فلاح" ، الاسم .

ومرفوء ، لأن الركن المركب مؤلف من كلمة وهي الفعل "لاح" ،
وحرف من حروف المعاني وهو الفاء .
ومتشابه ، لتشابه الركنين في الخط .

وقول الميكالي :

يا مبتلى بضناه يـرجو رحمة من مالك يشفيه من أوصابه
اصبر على مضض الهوى فلربما تحكى مرارة صبره أوصابه

(١) قح الطيب - ٢ - ٤٥١ (٢) جنان الجناس - ٢٣

وقول السيوطي :

وكلما ملكت نحو حَبٍّ لا بدَّ لي فيه من رقيب
وليس ينأى فواعنائى وليس ينفك قدر قيب^(١)
وهو مثل سابقه إلا أنه مرفوع هنا لتألف ركنه المركب من كلمة وهي
«قيب» وبعض أخرى وهي الراء من «قدر» .

ومثال المركب المرفوع المقروق قول الحريري :

والمكرمها اسطعت لاتأته لتقتنى السؤدد والمكرم^{مه}
مركب ، لأن أحد ركنيه مركب والآخر مفرد .
ومرفوع ، لأن الركن المركب مؤلف من كلمة وبعض أخرى .
ومفروق ، لتخالف الركنين في الخط «المكرم» — «المكرم^{مه}»
وقد سلك الحلبي^(٢) في التام المركب سبيلا قصداً قسمه ابتداء إلى ضربين :
١ — ما هو متشابه لفظاً وخطاً كقول شمس الدين بن عبد الوهاب :
طار قلبي يوم ساروا فرقا وسواء فاض دمعى أو رقا
حار في سقمى من بعدهم كل من في الحى داوى أو رقا
بعدهم لا طل وادى المنحنى وكذا بان الحى لا أو رقا
والشاهد في «أورقا» بمعنى : أو سكن ، وفي «أورقا» : من الرقية ، وفي
«أورقا» : ظهر ورقة .

ب — ما هو متشابه لفظاً لا خطاً ، ويسمى التجنيس المفروق كقولك :
كنت أطمع في تجريبك ، ومطايا الجهل تجرى بك .

وقول الشاعر :

لا تعرضن على الرواة تصيدة ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فإذا عرضت القول غير مهذب عدوه منك وساوساً تهذى بها
ثم يقول : ومن أنواع المركب : المرفوع ، وهو أن يجمع بين كلمتين

(١) القيب : لعله أراد به قاب القوس ولكن الوارد أن القيب : المقدار .

(٢) حن التوسل — ٤٤ — ٤٥

إحداهما أقصر من الأخرى فتضم إلى القصيرة حرفاً من حروف المعاني ،
أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركننا التجنيس كقولهم :
يا مغرور أمسك ، وقس يومك بأمسك .

ويقرب منه قول البديع الحمذاق : إن لم يكن لنا حظ في درك درك ،
نخلصنا من شرك شرك .

وقول الحريري : إن أخليت منّا مَبَارِكَ مَبَارِك ، نخلصنا من
مَعَارِك مَعَارِك .

وقول الميكالي :

تفرّق قلبي في هواها فعندها فريق وعندي شعبة وفريق
إذا ظمئت نفسي أقول لها اسقني وإن لم يكن ماء لديك فريق
وقول آخر :

بنيسابور سادات كرام ترى أحلامهم أحلام عاد
إذا بدموا بعُرف تمّمّوه وعادوا بعده أحلى معاد
ويلاحظ أننا أشبعنا القول في الجنس المركب ، وتوسّعنا في إيراد
الأمثلة وتبسّطنا في شرحها ، لأننا أردنا أن نرفع عن القارئ متونة
البحث والمقارنة .

فهو نوع منشعب النواحي دقيق المسالك ، تعزّز الإحاطة به إلا بعد
دراسة وتدبر .

ومهما يكن فليس كل ما جاء منه مقبولا تهفو إليه النفوس وتطرب له
الأسماع ، ويكفي أنه لم يأت منه شيء في القرآن الكريم والحديث الشريف .
وبعض أنواعه لا تتحقق إلا بالتكلف الواضح ، ثم هي - إلى ذلك -
تخدش الحاسة الفنية ، وقد لاحظ ذلك الحموي في النوع المرفوع منه فقال :
وهذا النوع لا يخلو من تعسف وعقادة في التركيب ^(١) .

(١) خزانة الأدب - ٢٩

ويقول ابن رشيق : وقد أحدث المولدون جناسا منفصلا يظهر أيضا في الخط كقول أبي تمام :

رغدوك في يوم الكلاب وشقّقوا فيه المزاد بحففل كاللاب^(١)
وليس بتجانس صحيح على ما شرطه المتقدمون ، ولكنه استظرف
فأدخل في هذا الباب تملّحا ، وأكثر ما يستعمله الميكالي وقابوس بن
وشمكير وأبو الفتح البستي .

فمن ذلك قوله :

عارضاه بما جنى عارضاه أو دعاني أمت بما أو دعاني

وقوله :

وإن أقرّ على رقّ أنامله أقرّ بالرقّ كتاب الأنامله
وربما صنفوا مثل هذا في القوافي فتأتى كالإيطاء وليس بإيطاء إلا في
اللفظ مجازا ، وليس بتجنيس إلا كذلك كقول عمر بن علي المطوعي :
أمير كله كرم وسعد بأخذ المجد منه واقتباسه
يحاكى النيل حين يُسام نَيْلا ويحكي بأسلا في وقت بأسه
لجأت القافيتان كما ترى في اللفظ ، وليس بينهما في الخط إلا مجاورة
الحرف^(٢) .

٤ — التام الملقق :

وهو أن يكون كل من ركنيه مركبا من كلمتين أو من كلمة وبعض أخرى .
وباشتراك التركيب في الركنين يتميز من المركب ؛ فإنه ما ركّب أحد
ركنيه فقط .

وغالب المؤلفين لم يفرقوا بينهما^(٣) .

وقد عده وابن رشيق وبعض أصحاب البديعيات نوعا آخر .

(١) الكلاب بالضم : ماء كان عليه يوم من أيام العرب : واللاب : جمع لابة وهي الحرة
بفتح الحاء .

(٢) العمدة — ١ — ١١٥ (٣) نفع الطيب — ٣ — ٨٦٣

وفيه يقول ابن حجة الحموى : وهو صعب المسلك عزيز الوقوع ، ولكن
له رونق وموقع في الذوق ؛ لطلاوة تركيبه وغرابة أسلوبه .
وهو نوعان :

(١) ملفق موافق .

وهو ما توافق ركناه خطأ مثل قول أبي علي بن أبي الحصين — وقد
جلى قضاء المعرة وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام في الحكم خمس سنين — :
وليت الحكم خمسا بعد خمس لعمرى والصبا في العنفوان
فلم تضع الاعادى قدر شانى ولا قالوا فلان قدر شانى
(ب) ملفق مفارق .

وهو ما يخالف ركناه خطأ كقول شرف الدين بن عنين :

خبروها بأنه ما تصدى لسو عنها ولو مات صدا
وقول أبي الفتح البستي :

إلى حتى سعى قدمى أرى قدمى أراق دى
وقول أبي الفضل الميكالى :

لنا صديق يجيد لقا راحتنا فى أذى قفاه
ما ذاق من كسبه ولكن أذى قفاه أذاق فاه

وقوله :

إذا تغديت صدر يومى ثم تأذيت بالغداة
أقول إذ مسنى أذاه أرى غدائى أراغ دائى^(١)

وقوله يمدح والده :

ولما تنازع صرف الزمان فزينا إلى سيد نابه
إذا كشر الدهر عن نابه كشفنا الحوادث عنا به
والشاهد فى البيت الأخير .

(١) أراغ : طلب .

وقول حاتم بن أحمد الحسيني :

لآلى ثغور أم بدور تشيف عن لآلى بحور أم بروق نحور
سما لثما عني فيالهي على فوات نحور من فواتن حور
وقوله :

مقاتل يهدي عرف معروفه إلى مجال سعود في مجالس عود
وكم مُقعد قد قام مذ شد سمعه مناطق عود من مناط قعود
وقد أولع الناس بهذا النمط كثيرا .

وأول من نظمه المطوعى من شعراء اليتيمة في قوله :
أرى مجلس السلطان تفضى عفته إلى روض مجد بالسباح تجود^(١)
وكم لجباه الراغبين لديه من مجال سجد في مجالس جود
وفي جنان الجناس جاء صدر البيت الأول :
أخو كرم يفضى الورى من بساطة

وأكثر منه الصلاح الصفدى فجاء بالغث والسمين^(٢) .
وقد أوضحه بقوله : بأن يقع ركنا الجناس مركبين وكل ركن مركب من
جزأين مستقلين ، لكن يكون الجزء الواحد في هذا الركن أزيد منه
في الآخر .

ثم يقول : وهذا النوع عزيز الوقوع جامد ينبوع^(٣) .
ويقول الحموى : ولم يلم بالملفق أحد من أصحاب البديعيات غير صفي الدين
الحلى ؛ وما ذاك إلا لأنه قال في خطبة بديعته : إنها نتيجة سبعين كتاباً
في هذا الفن .

وأما العميان فإنهم عدوه في بديعيتهم من المركب .
وللحموى ملاحظة دقيقة نقلها عنه غير واحد من أهل البديع ، وهى
أنهم : لو سمّوا الملفق مركباً والمركب ملفقاً لكان أقرب إلى المطابقة فى

(٢) سلانة النصر — ٤٥٤

(١) المجود : المطور .

(٣) جنان الجناس — ٥٦

التسمية ؛ لأن الملقق مركب في الركنين ، والمركب ركن واحد منه كلمة مفردة ، والثاني مركب من كلمتين وهذا هو التلقيق^(١) .

وهي ملاحظة سديدة تذكرنا بما قيل في تسمية المائل والمستوفى ، ولكن هناك وجدوا الجواب ولم يجدوه هنا .

ويقول الخفاجي في هذا النوع : ومن المجانس : فن ورد في شعر أبي العلاء وسماء لنا مجانس التركيب ، لأنه يركب من الكلمتين ما يتجانس به الصيغتان كقوله :

مطايا مطايا وجدكن مَنازل مَنازل عنها ليس غنى بمقلع
ثم يقول : وما أحفظ لأحد من الشعراء شيئاً من قبيله .

وهو عندي غير حسن ولا مختار ، ولا داخل في وصف من أوصاف الفصاحة والبلاغة^(٢) .

قيمة الجناس التام :

هذا وللبلغاء أقوال تكشف عن منزلة الجناس التام في نفوسهم ، وتبين مبلغ شأنه في البلاغة وسر جماله وحسنه .

يقول عبد القاهر — عند تكلمه على مزية الجناس المطبوع — : فهذه السريرة همار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة ، من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع^(٣) .

ويقول : واعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجنيس ، وجعلتها العلة في استجابة الفضيحة ، وهي حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه إلا في المستوفى المتفق الصورة منه كقوله :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله
أو المرفو الجارى هذا المجرى كقوله :

(١) خزانة الأدب — ٣٣

(٢) سر الفصاحة — ١٨٨ (٣) أسرار البلاغة — ٥

أودعاني أمت بما أودعاني
فقد يتصور في غير ذلك من أقسامه أيضاً^(١) .
ويقول الصفدي : هو أعلى الجناس مرتبة^(٢) .
ويقول الحموي — على كراهته للجناس جملة — : هو أكل الأنواع
إبداعاً ، وأسماء مرتبة ، وأولها في الترتيب^(٣) .
ويقول ابن يعقوب والدسوقي : ووجه حسنه مطلقاً : أن صورته
صورة الإعادة ، وهو في الحقيقة للإفادة^(٤) .
ويقول المرشدي : وهو أحسنها^(٥) .
يعنى أنواع الجناس .



(١) أسرار البلاغة — ١١ (٢) جنان الجناس — ٢٠
(٣) خزانة الأدب — ٣٧ (٤) مواهب الفتاح وحاشية الدسوقي — ٤ — ٤١٩
(٥) المرشدي على العقود — ٢ — ١٤٠

البقيـل السابـج

الجناس المحرف

سمى بذلك لانحراف هيئة أحد اللفظين عن الآخر .
ويسمى أيضا : جناس التحريف ، والجناس المغاير والمختلف .
وسماه الرازي والسكاكي وبعض أتباعه والوطواط : الناقص ^(١) من أجل الاختلاف في الحركة ، لأنه لو اتفقت حركات الحروف في الكلمتين لكان تجنيساً تاماً .

وقد وهم المرشدي فقال عن السيوطي : إنه تبع الخطيب في تلخيصه وإيضاحه بجعل الجناس المحرف من أقسام الجناس التام ^(٢) .
وهذا ليس بصحيح فقد عده الخطيب قسماً مستقلاً ، وإنما بدأ به بعد التام لقربه منه ^(٣) .

وتعريفه : ما اختلف فيه اللفظان في هيئات الحروف ، حركاتها ومسكناتها ، فقط .

أى مع التساوى في نوعها وعددها وترتيبها ، سواء أكانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك ، فإن القصد اختلاف الحركات .
ويستوى فيه :

١ — أن يكون الاختلاف في هيئة الحركة فقط كقول أبي تمام :
مهن الحام فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهن حمام

(١) نهاية الإيجاز — ٢٨ — المفتاح — ٢٢٧ — شرح الفوائد النيابية — ٢٧٩ —

حدائق السمر — ٩٥

(٢) المرشدي على العقود — ٢ — ١٤٣ (٣) مواهب الفتاح — ٢ — ٤١٩

وقول المعرى :

لغيرى زكاة من جمال فإن تكن
وقول ابن النيه :

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
وقول ابن جابر الأندلسي :

حل عقد الصبر منى عقدها
تحسب الدر على لبثها
وقول ابن رشيق :

أيها الليل طر بغير جناح
كيف لا أبغض الصباح وفيه
وقول ابن الأفطس :

ليبيض الطلّي ولسود اللّثم
وقول أبي الريح في مدينة الشاش ، وراء النهر :

الشاش في الصيف جنة
لكننى تمترينى بها لدى البرد جنة
وقول آخر :

يا شادياً متّ قبله
امنن على بقبيله
وقد اجتمع في المثالين التحريف في كل الحركات .

وقول أبي سليمان الخطابي :

سلكت عقاباً في طريق كأنها
وما ذاك إلا أن ذنباً أحاط بي
والشاهد في البيت الأول .

(١) القلب بالضم : السوار . (٢) الطلّي : الأعناق جمع طليّة .

(٣) العقاب بالسكسر : جمع عقبة ، والصياحى : جمع صيصة ، وصيصية : شوك الديك .

وقول أبي روح الهروى :

أبو روح أدام الله عزّه ألدّ إذا أنبرى للنخيم عزّه
وذاك لأنه هجر الملامى فصار كثيرا ، والعلم عزّه ،
وقول الوطواط :

لمولانا كمال الدين مجد أشمّ ومنصب عال وعزّه
يحب جواره زهر المعالى كحب كثير ، أطلال عزّه ،
وقول شيخ الشيوخ بحمّة :

لعنى كل يوم فيه عبّره تصيرنى لأهل العشق عبّره
وقول الشاب الظريف :

لا أجازى حبيب قلبى بظلمه أنا أخنى عليه من قلب أمه
جوره مثل عدله عند من يهواه م مثل وظلمه مثل ظلمه
وقول أبي الفتح البستى :

ولم أر مثل الشكر جنة غارس ولا مثل حسن الصبر جنة لابس
ومن النثر قول القاضى الفاضل — وهو بما تكلفه — : لازالت الملوك
ببابه وقوفا ، والاقدار له سيوفا ، والخلق له فى دار الدنيا ضيوفا ، ودّين
دين الحق إذا جردوا لتقاضيه سيوفا سيوفى .
والشاهد فى دّين ودّين ، وسيوفا وسيوفى .

وقول الثعالبى :

الصديق الصدوق أول العَقْدِ واسطة العِرْقِ .

ومن لطائف البهاء زهير :

زها ورد خديك لكنّه بغير النواظر لم يُقْطَفِ
وقد زعموا أنّه مُضْعَف وما علموا أنّه مُضْعِفِ
٢ — أن يكون الاختلاف فى هيئة الحركة والسكون ، بأن يكون
الحرف الواحد فى إحداهما متحركا وفى الأخرى ساكنا كقولهم : البدعة
شرك الشرك .

وقول أبي العلاء :

والحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر
وبما تكلفه الصفدى :

رَطَب الرُّطَب ، ضرب من الضَّرَب

٣ - أن يكون الاختلاف بالتشديد والتخفيف كقول العبادى فى
قصة إسماعيل - عليه السلام - : وقف الحليل بين مَنيّة ومَنيّة . . .
فلما تلّ الولد للجبين ، نزلت السَّكينة على سَكينته .
وقول الشاعر :

أَمسى يَحدثنى فقلت لصاحبي أَحَدَث أم مُحدِث من فيه
يا ويح رِجَان يَحِينَا به والويل للكأس التى تسقيه
وقد مثّل له السكاكى بقوله : الجاهل إما مُفرط أو مفرّط .

وقال عنه : والمشدّد فى هذا الباب يقوم مقام المخفف نظرا إلى
الصورة فاعلم ^(١) .

وإنما نص على هذا لئلا يتوهم أنه من الجناس الناقص ، بناء على أن
الحرف المشدّد فيه حرفان .

فبين أنه من الاختلاف فى الهيئة مع اتحاد موضع الاختلاف ؛ لأن
الحرف المشدّد فى حكم الواحد فى هذا الباب لوجهين :

أحدهما : أن اللسان يرتفع عن النطق عن الحرفين دفعة واحدة كالخرف
الواحد ، وإن كان فى الحرفين ثقل ما إلا أنه لم يعتبر لقرب أمره .
وثانيهما : أنهما فى الكتابة « الصورة » شىء واحد ؛ وأما التشديد
منفصلة ، فجعلنا كالحرف الواحد .

لهذا جعل مثل ذلك من التجنيس الذى لم يقع الاختلاف فيه إلا فى
الهيئة لا فى العدد ^(٢) .

وقد اعترض السبكي : بأنه لا معنى للنظر إلى الصورة والجناس لفظى ،

(١) الفتح - ٢٢٧

(٢) مواهب الفتح - ٤ - ٤٢٠

ثم إن الاختلاف في الحركة والسكون لا وجود له كذلك .
وبما قاله ابن السبكي صرح به المطرزي في أول شرح المقامات (١) .
ومن الغريب أن الدسوقي جعل التقسيم ثلاثيا ؛ بالحركة فقط ، أو
بالسكون فقط ، أو بالحركة والسكون معا (٢) .
وفاته أن الاختلاف بالسكون فقط يستحيل وجوده ؛ لأن السكون
لا يختلف بالحركة .

وليس من هذا النوع ما كان من باب فعل وفعل ؛ إذ فعل بالتشديد
مبالغة في فعل بالتخفيف كقولك : قتل وقتل .

أما إذا كان مثل اعتدى واعتد فهو منه لتغاير المعنى ؛ فالأول من
الاعتداء ، والثاني من الاعتداد كقول ابن حيوس :

يبالغ في قتل العدا فهو معتد ويسرف في بذل الندى غير معتد
عوائد في الأعداء كافة بها عواد متى تهّد إلى الشم تهّد (٣)
وقد أورد كمال الدين الدميري في كتابه المسمى « حياة الحيوان » عند
كلامه على « المها » : ألياتا تنسب إلى جميل بشينة ، أولها : تام ، وآخرها
مطرف ، وباقي الأليات من النوع المحرف الذي نحن بسيله .

وقد أعجب بها الحموي وقال عن تحريفها إن حلاوته المعتدلة تبرز
بالأذواق وهي :

أنا بلا وعد فقولا لها	خليلي إن قالت بشينة ماله
ومن بات طول الليل يرعى السها	أتى وهو مشغول لعظم الذى به
إذا برزت لم تبقى يوما بها	بشينة تترى بالغزاة في الضحا
كان أباهما الظبي أو أمها المها	لها مقلة كحلاء نجلاء خلقة
وكم قتلت بالود من ودّها دها	دهتى بود خاتل وهو متلقى

(٢) حاشية الدسوقي — ٤ — ٤٢٠

(١) عروس الأقراح — ٤ — ٤٢١

(٣) جنان الجناس — ٢٣

والحقيقة أن هذه الأبيات متكلفة مضطربة النسيج ، وجناسها لا تتزج
حلاوته بالأذواق؛ لخلوه من هذه الحلاوة المزعومة ولثقله وبرده وسخفه !
و « جميل ، الناشئ في بادية الحجاز في العصر الأموي لا يعرف مثل
هذا التصنع الصارخ ، وشعره في أيدينا وبينه وبين هذا الشعر اختلاف
بَيِّن لا يخفى على من له حظ من النظر .
وبما جاء منه في القرآن الكريم : « ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرِينَ فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين ، » .

ولا يقال : إن اللفظين متحدان في المعنى لأنهما من الإنذار فلا يكون
بينهما تجنيس .

فاختلاف المعنى ظاهر ؛ إذ المراد بالاول : الفاعلون ، وبالثاني :
المفعولون ، وهم الذين وقع عليهم الإنذار ^(١) .
وبما جاء في الأثر : قوله — عليه الصلاة والسلام — : « اللهم كما حسنت
خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي » .

وقوله — لجبر بن عبد الله البجلي — وقد كان عمر يلقبه يوسف
هذه الأمة : « أنت امرؤ قد حسَّن الله خَلْقَكَ فأحسن خُلُقَكَ » .
وقوله : « الدِّينَ شَيْنٌ لِلدِّينِ » .

وقوله : « إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف » .
ومن آثار الصحابة قول معاذ : الدِّينَ يهدم الدين .
ومن أقوال البلغاء : الجواد محتكر بِرٍّ لا محتكر بِشْرٍ .
مزية الجنس المحرف .

وقد ذكروا في مزيته أن فيه إظهار أمور مختلفة من مادة واحدة .
وأن فيه إلى ذلك حسن الإفادة الصرفة مع إيهام بعض الإعادة ؛ لأن
فيه إيهام الاستئناف المشتمل على إعادة ما ^(٢) .

وبما تجب ملاحظته كثرة هذا النوع من الجنس وبخاصة في أشعار
المولدين ومن جاء بعدهم ؛ لأن الطبع ينساق إليه في يسر وسهولة .

الفصل الثامن

الجناس الناقص

الجناس الناقص يقابل التام، وحدّه: أن يقع تجانس اللفظين في الحروف والحركات مع الاختلاف في عدد الحروف.

سمى بالناقص؛ لأن اختلاف الركنين في عدد الحروف يلزم منه نقصان أحدهما عن الآخر لا محالة.

ويمكن أيضا قياسا على ما تقدم أن يسمى الزائد؛ لأن الاختلاف في عدد الحروف يلزم منه زيادة أحدهما على الآخر حتما. وقد سماه الوطواط لذلك الزائد^(١).

وسماه الحلبي الزائد والناقص^(٢).

ومن أسمائه أيضا المزدوج^(٣) والمذيل^(٤).

وتسميته بالناقص أولى؛ لنقصان التشابه بين ركنيه بسبب اختلافهما في عدد الحروف.

وليس المراد بالزيادة هنا أن الحرف زائد على الحروف الأصلية «فعل»، بل المراد أنه لا مقابل له من المجانس، بحيث إذا سقط الحرف الزائد كان الباقي مساويا للفظ الآخر، لفصل منهما تجانس تام.

والاختلاف بين اللفظين يقع على ضربين:

١ - أن يقع الاختلاف بحرف واحد وهو ثلاثة أقسام:

(١) أن يكون الحرف الزائد في أول أحدهما كقولك: مالك كالك.

(٢) حسن التوسل — ٤٣

(٤) حدائق السحر — ٩٦

(١) حدائق السحر — ٩٦

(٣) جنان الجناس — ٢٧

ومثاله من الشعر ما أنشده عبد القاهر :
وكم سبقت منه إلى عوارف ثنائى على تلك العوارف وارف
وكم غرر من برّه ولطائف لشكرى على تلك اللطائف طائف
وسماه السيوطى مردوفا ؛ لأن حرف الزيادة - كالكاف الأولى فى الكلمة
الثانية من هذا المثال - مردوف بما وقع فيه التجانس ^(١) .

ومنهم من يسميه المكرر والمردود أو المردّد .
(ب) أن يكون فى الوسط كقولهم : جدّى جمدى ، بفتح الجيم فيهما .
والأول معناه : الغنى والخط ، والثانى : التعب والمشقة .
ولا عبرة بتشديد اللام كما مر فى المحرف .

وكقولهم :
لا تنفّس سرّ صاحب السرير ، ولا تنحّض معه من الغدر فى خدير .
وقول عبد المدان :

كفانا إيسكم حدنا وحديدنا وكف متى ما تطلب الوتر تنقسم
وقد سماه السيوطى المكتشف ؛ لأن حرف الزيادة فيه متوسط
بين ما اكتشفاه ^(٢) .

(ج) أن يكون آخره ، وقد اقتصر عليه الوطواط فى التمثيل .
مثاله من النثر : هو حام حامل لأعباء الأمور ، وكاف كافل لمصالح الجمهور .
أنا من زمانى فى زمانة ، ومن إخوانى فى خيانة .

ومن رسالة للبديع بفضّل فيها العرب على العجم : العرب أوفى وأوفر ،
وأوفى وأوفر ، وأنكى وأنكر ، وأعلى وأعلم ، وأحلى وأحلم ، وأقوى وأقوم ،
وأبلى وأبلغ ، وأشجى وأشجع ، وأسمى وأسمح ، وأعطى وأعطف ، وألّطى ^(٣) .
والطف ، وأحصى وأحصف

ومن الشعر كقول كعب بن زهير :

(١) شرح العقود — ٢ — ١٥٠ (٢) المصدر السابق والرقم .

(٣) ألطى : ألصق .

ولقد علمت وأنت غير عليمه
وقول البحترى :

فإن صدفت عنا فربت أنفـس
وقول المرغيناني :

فديناه من خل مواف موافق
وقول ابن شرف المارديني :

هلال في بروج السعد سار
وقول ابن جابر الأندلسي :

فيأراك الوجناء هل أنت عالم
وقول البهاء زهير :

أشكو وأشكر فعله
طرفي وطرف النجم فيك م
يهنيك بدرك حاضر
حتى يبين لناظري
وقول آخر :

عذيري من دهر موار موارب
وقول آخر :

وسألها بإشارة عن حالها
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى
وقد سمي الخطيب وشراحه هذا النوع الأخير : «المطرف» لتطرف الزيادة فيه.
ويرى الصفدي : أن أحسن هذه الأنواع الثلاثة في الذوق : ما وقعت
الزيادة فيه أول الركن الأول كقول ابن نباته :

عطفك كأمثال القسي حواجبا
فرمت غداة البين قلبا واجبا
وقول آخر :

(١) المصافق : المرافق .

قام يسعى ما بين شرب أعزه من بني الترك أغيد فيه عزه
ومن مشهور قولهم : النبيذ بغير النغم غم ، وبغير الدسم سم .
وكان شرف الدين محمد بن الوحيد الكاتب يقول : إن هاتين السجعتين
ما وقع لهما ثالثة ، وقد عملت لهما ثالثة وهى قولى : وبغير المليح قبيح .
وقد علق الصفدى على قول ابن الوحيد : بأن الأمر لو كان راجعا إلى
السجع والوزن لعمل الناس مجلدات من هذا النوع .

ثم يقول : وقد تكلفت أنا لهما الثالثة وهى : وبغير النهم هم !
أعنى : أن الإكثار من الشراب سبب الانشراح والسرور على العادة
من كلام الذين أولعوا بالشراب ، وبالغوا فى الإكثار منه وحضوا عليه
كأبي نواس وغيره (١) .

٢ — أن يكون الاختلاف بين اللفظين بزيادة أكثر من حرف .
وهو أيضاً ثلاثة أقسام :

(١) أن تقع الزيادة فى أحدهما ، ويسمى متوجاً مثل حديث الديلمى :
« ضع بصرک موضع سجودک » .

وقول أبى الفتح البستى :

أبا العباس لا تحسب بأنى لشيبى من حلى الأشعار عارى
فلى طبع كسلسال مّعين زلال من ذرى الأحجار جارى
إذا ما أكبت الأدوار زندا فلى زند على الأدوار وارى
وقد سماه السكاكى فى كنز البلاغة ترجيعاً ، لأن الكلمة رجعت بذاتها
مع زيادة (٢) .

والزيادة قد تكون حرفاً مثل : « إن ربهم بهم »
أو حرفين كأحجار وجار فى الشعر المتقدم .

(١) جنان الجناس — ٢٧

(٢) عروس الأفراح — ٤ — ٤٣٣ — شرح عقود الجمان — ٢ — ١٥٠

وسماه ابن الأثير بالجنَّاب ، وذلك أنه جمع بين كلمتين إحداهما كالتبع
للأخرى والجنينية لها .

ثم قال : وهذا القسم عندي فيه نظر ؛ لأنه يلزم ما يلزم أولى مته
بالتجنيس ؛ ألا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وههنا
لم يتفق إلا جزء من اللفظ وهو أوله (١) .

(ب) أن تقع الزيادة في الوسط ، وفيه يقول السيوطي : ينبغي أن
يسمى الزائد .

ولم يمثل له هو ولا غيره .

ونمثل له نحن بما يأتي : سُكْنَى المدَر (٢) ، مصادر الضرر . بناء المساجد ،
مجد خالد . الشكر عَرَفَ العوارف . الندب (٣) لا تؤثر فيه النوادب .

والشاهد في مدر ومصادر ، ومساجد ومجد ، وعرف وعوارف .

ونذب ونوادب .

(ج) أن تقع الزيادة في الآخر ، ويسمى المتمم (٤) .

والأشهر تسميته بالمذيل للنسبة بين الاسم اللغوي والاصطلاحي ؛
لأن تلك الزيادة في آخره كالذيل .

وذلك كقول النابغة :

لها نار جن بعد أنس تحوّلوا و زال بهم صرف النوى والنواب .

وقول الخنساء - وهو أرق ما سمع في هذا الباب - :

إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

وقول حسان :

وكنا متى يغز النبي قبيلة نصل جانيه بالقنا والقنابل

وقول آخر في رثاء :

فيا لك من حزم وعزم طواهما جديد الردى تحت الصفا والصفائح .

(١) المثل السائر — ١٠٥ (٢) المدر : المدن جمع مدرة .

(٣) الندب : الحبيب الطريف النجيب . (٤) جنان الجناس — ٢٨

ويرى ابن السبكي أن التسمية بالمذيل أدق وأظهر في مثل الأمثال المتقدمة ؛ لأن اللفظ الثاني هو الذى وقع فيه التذيل ، بخلاف ما إذا قيل : الجوانح والجوى ، والمدامع والمدى ، كقول ابن جابر الأندلسي :

بين الجوانح لو علت من الجوى نار عليها سكب دمعى يصنع
فدع المدامع فى مدى جريانها فالدمع بعد فراقهم لا يمنع
فإن الكلمة الأخيرة فيه غير مذيلة ، والتذيل إنما يكون فى الآخر ^(١) .
ويلاحظ ابن يعقوب : أن الخطيب لم يمثّل للقسم الثانى من الناقص
« المذيل » - وهو ما وقع الاختلاف فيه بزيادة أكثر من حرف - إلا
للنوع الذى وقعت فيه الزيادة أخيراً .

ويعلل هذا بأنه لم يوجد فى كلامهم أو قلّ بحيث لا يعتبر ^(٢) .
وقد قدمنا أن ما وقع الاختلاف فيه بالزيادة فى الوسط ، هو الذى لم
يوجد فى كلامهم ومثلنا له من عندنا .

والحق أن أهل البديع اضطربت أقوالهم فى المذيل والمطرف وبخاصة
الآخر ، وكثرت بينهم الخلافات على غير طائل .

فالرازى والصفدى عندهما المطرف هو المضارع ، وهو : ما يقع فيه
الاختلاف بين اللفظين بحرف واحد مع تقارب المخرج .

والسكاكى عنده المطرف هو : المضارع أيضاً ، ولكن الاختلاف عنده
يقع بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج .

والوطواط عنده المطرف : ما يقع الاختلاف فيه بين الركنين فى
الحرف الأخير منهما خاصة .

وأصحاب البديعيات عندهم المطرف : ما زاد أحده ركنيه على الآخر
حرفاً فى أوله ليصير له كالطرف ؛ كالساق والمساق .

وعد ابن حجة مطابقة المطرف فى التسمية طريقة .

(١) عروس الأفراح - ٤ - ٤٢٥

(٢) مواهب الفتاح - ٤ - ٤٢٤ (٣) خزنة الأدب - ٤٣

ولعله يشير إلى أن اللغة تساعد على ذلك ، ففي القاموس : طرف الخيل
رد أوائلها .

والخطيب عنده المطرف : ما تكون زيادة الحرف في آخره كقواض
وقواضب .

والمذيل عند الرازي والسكاكي والعلوي : ما وقعت فيه الزيادة بحرف
في أحد الركنين بقطع النظر عن موقعها .

وعند الخطيب تكون الزيادة بأكثر من حرف مثل الجوى والجوانح .
وعند الصفدي : ما وقعت فيه الزيادة بالحرف في الآخر كالهوى والهوان .
وسمى ما وقعت فيه الزيادة بحرفين في الآخر : المتمم ، وخطأ من سماه
مذيلا كالخطيب ومن تبعه .

وعند الوطواط : ما وقعت فيه الزيادة بحرف في الآخر كالصفدي ،
وقد سماه الزائد ، وأصحاب البديعيات اشترطوا أن تكون الزيادة في الآخر
سواء أ كانت حرفاً أم حرفين .
قيمة المطرف .

وجه الحسن في المطرف عندهم : أنك تتروم قبل أن يرد عليك آخر
الكلمة كاليم من عواصم والباء من قواضب في قول أبي تمام :

يمدون من أيد عواصم عواصم تصول بأسياف قواض قواضب
أنها هي التي مضت وقد أرادت أن تجيء ثانية وتعود إليك مؤكدة ،
حتى إذا تمسكن في نفسك تمامها ووعي سمعك آخرها ، انصرفت عن ظنك
الأول ، وزلت عن الذي سبق من التخيل ، وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع
الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها ، وحصول الرج بعد أن تغالط فيه حتى
تري أنه رأس المسال .

أما مثل قول الشاعر :

وكم سبقت منه إلى عوارف ثنائى على تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره ولطائف لشكري على تلك اللطائف طائف
فإن اختلاف الكلمات من أولها بحرف من مبدأ الكلمة في الجملة، لا يقوى
تلك القوة كأنك ترى اللفظة أعيدت عليك مبدلاً من بعض حروفها غيره.
أو محذوفاً منها، ولكنه لا يبعد كل البعد عن اعتراض طرف من هذا
التخيل فيه.

والذي يجب عليه الاعتماد في هذا الفن أن التوهم على ضربين :
ضرب يستحكم حتى يبلغ أن يصير اعتقاداً .
وضرب لا يبلغ ذلك المبالغ، ولكنه شيء يجري في الخاطر وأنت
تعرف ذلك وتصور وزنه إذا نظرت إلى الفرق بين الشيتين يشتبهان الشبه
التام، والشيتين يشبه أحدهما الآخر على ضرب من التقريب (١) .
وقد لاحظ ذلك ابن السبكي فقال : إن ذلك الحسن لا يتم إلا إذا تقدمت.
الكلمة الخالية من الزيادة كقواض وقواضب في بيت أبي تمام المتقدم، وهي
لا تتقدم دائماً (٢) .
وقد تقدم تفصيل ذلك وبيان الفرق في الحسن بين الزيادة في الأول
والآخر .

على أن الصفدي كما سبق عدّ أجود هذه الأنواع كلها أن تكون الزيادة
في أول الركن الأول كقولهم : النيدز بغير نغم نغم ...



(١) أسرار البلاغة — ١٢ — ١٣ — مواهب الفتاح — ٤ — ٤٢٤

(٢) عروس الأفراح — ٤ — ٤٢٤

الفصل التاسع

جناس القلب

ويسمى أيضاً : الجناس المقلوب ، والجناس المخاف والمعكوس و
جناس العكس .

وحده : أن يتفق الركنان في نوع الحروف وعددها وهيئتها وشكلها ،
ويختلفا في الترتيب فقط .

وهو قسمان :

١ - قلب كل .

وهو أن تكون المخالفة في جميع الحروف ، بأن يقع الحرف الأخير
من الكلمة الأولى أولاً من الكلمة الثانية ، والذي قبله ثانياً وهكذا .

ووجه التسمية فيه ظاهر لانعكاس ترتيب الحروف كلها .

مثاله من النثر قول بعضهم : كفه بحر ، وجنابه رجب .

ومن الشعر قول العباس بن الأحنف (١) :

حسامك منه للأحباب فتح وريحك منه للأعداء حتف

والشاهد في « بحر ورجب ، وفتح وحتف » .

وإن وقع أحد ركنيه أول البيت والآخر آخره سمي مقلوباً مجنحاً (٢)

لأن اللفظين فيه صارا للبيت كالجناحين للطائر في وقوعهما متوازيين في
الطرفين المتقابلين .

ولم يفرق الخطيب في التلخيص وشراحه في ذلك بين قاب الكل وقاب

(١) هكذا في معامد التنصيص ، وفي حقائق السحر نسبة الطواط لنفسه .

(٢) هذه النسبية من اختراعات الصفي كما صرح بذلك — جنان الجناس — ٣٣

البعض الذى سيأتى ، ولكن الرازى والصفدى والمرشدى خصوصه بقلب الكل .
ويسمى المقلوب المجنح بالمعطف أحياناً .

وقد جعله الوطواط قسماً مستقلاً وإن كان عبارة عن مقلوب الكل (١) .
وذلك كقول الشاعر :

لاح أنوار الهدى من كفه فى كل حال
والشاهد فى لفظي «لاح» و «حال» .

وقول الشاب الظريف (٢) مع زيادة التورية :

أسكرنى باللفظ والمقلة الكحلاء م والوجنة والسكاس
ساق يربنى قلبه قسوة وكل ساق قلبه قاس
والشاهد فى «ساق» و «قاس» .

وقول بعضهم :

ساق هذا الشاعر الحين م إلى من قلبه قاسى
سارحى القوم فالهم علينا جبل راسى

وقول الصفدى :

رضت فؤادى عادة ما كنت أحسبها تضر
ردت رسولى خائباً فدامعى أبداً تدر

وقول آخر :

رقت شمائل قاتلى فلذاك روى لا تقر
رد الحبيب جوابه فكأنه فى اللفظ در

والمجنح عند أكثر العلماء مختص بالشعر .

ولكن ابن السبكي لا يرى ذلك ، فقال معترضاً على قول الخطيب فى
التلخيص : « وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب فى أول البيت ... »

(١) حقائق السحر — ١٠٩

(٢) مكدأ فى خزائن الأدب للعموى — ٤٩ ونسبه الدسوقي فى حاشيته لابن نباتة — ٤ — ٤٩

ينبغي أن يقول : أو أول الفقرة ليعم النظم والنثر (١) .
 وقد أورد المرشدي هذه الزيادة في كلامه على المجنح (٢) .
 وقد تسامل ابن السبكي : لم لا يسمى بهذا الاسم «المجنح» : ما تنفق لسائر
 أنواع الجناس ، فيقال : التام المجنح وكذلك الجميع ؟
 وقد أجاب ابن السبكي على سؤاله بقوله : لعلمهم لاحظوا مناسبة بين
 الجناخ والقلب لسرعة تقاب الجناح (٣) .
 والسؤال والجواب لا يخلو من الوجاهة والظرف .
 ومن لطائف قلب الكل من النثر قول الصاحب بن عباد لأبي العباس
 ابن الحارث في يوم قائط : ما يقول الشيخ في قلبه ؟
 يعني : مروحة الخيش ، لأن قلب الشيخ : الخيش .
 ومن رائق الشعر قول النيلي :
 إذا رأيت الوداع فاصبر ولا يهمنك البعاد
 وانتظر العود عن قريب فإن قلب الوداع حادوا
 وقول أبي عبد الله الخواص :
 من عذيري من عذول في قر قامر القلب هواه فقمير
 قر لم يبق مني حبيبه وهواه غير مقلوب قمر
 وقول بعضهم في إهداء كرسى :
 أهديت شيئاً يقلك لولا أهدوتك الفال والتبرك
 كرسى تفاءلت فيه لما رأيت مقلوبه يسرك
 ومقلوب كرسى : يسرك .
 وقول القاضي أبي بكر البسقي في البهار :
 حكاني بهار الروض لما ألفتها وكل مشوق للبهار مصاحب
 فقلت له ما بال لونك شاحبا فقال لأنني حين أقلب راهب

(١) عروس الأفراح — ٤ — ٤٢٩ (٢) المرشدي على العقود — ٢ — ١٤٥

(٣) عروس الأفراح — ٤ — ٤٢٩

وزاد على هذا المعنى ابن رشيق في قوله :
يا حسن ما سمى البهار به لو تركته عيافة العائف
قلبتـه راهبـا فأشعرنى خوفا وتأويل راهب خائف
وقول ابن نباتة في الأمير شجاع الدين بهرام :
قل كل القلوب من رهب الحرب تضطرب
قلت هذا تخرص قلب بهرام « ما رهب »
وقول آخر :

كيف السرور بإقبال وآخره إذ تأملته مقلوب إقبال
ومقلوب إقبال : لا بقى .
وقول بعضهم :

وتحت البراقع مقلوبها تدب على ورد خد ندى
تسلم من لمست خده وتلسب قلب الشجى الأبعد
يريد بمقلوب البراقع : عقارب الأصداغ ، وهى الشعور الملتوية
فوق الحدود .
وقول الآخر :

جاذبتها والريح تجذب عقرباً من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم خدها فتمنعت وتحجبت منى بقلب العقرب
قلب العقرب الأول : عبارة عن السكوكب الأحمر ، وقلب العقرب
الثانى : البرقع .

ومن قبيح هذا النوع : البيت المشهور الذى زعموا أن الجن قالتـه فى حرب
ابن أمية حين قتلته بثأر حية منهم قتلها حرب :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر
ويقال : إنه لا يتهاى لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات فلا يتنعث^(١) .
وفيه يقول الحموى : فقرب وقبر لأجل الجناس المقلوب ، هو الذى

(١) معاهد النصيب — ١ — ١٣

قلب عليه القلوب^(١)، وفي قلب الكل يقول ابن الأثير: وهذا الضرب نادر الاستعمال؛ لأنه قلما تقع كلمة تقلب حروفها فيجىء معناها صواباً^(٢).

٢ - قلب بعض .

وهو أن يكون التقديم والتأخير في بعض حروف الكلمة دون بعض .
سمي بذلك لوقوع التبديل في بعض حروف اللفظين .
مثاله من النثر قول بعضهم : رحم الله امرأ أمسك ما بين فكّيه ،
وأطلق ما بين كفّيه .

ونحو : اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا .

ومن نكت الإمام الحنفى البساطى : أسد تقاربهم ، خير من حسود تراقبه^(٣) .

ومن أقوال البلغاء : من يحرم يرحم ، ومن يُحرم يرحم .

ومن الشعر قول شاعر في الهيثم بن عديّ - وكان دعياً فيما زعموا^(٤) :
الهيثم بن عدي من تنقّله في كل يوم له راحل على قتب
إذا اجتدى معشراً من فضل نسبهم فلم يذبلوه عداهم إلى نسب
فما يزال له حل ومرتحل إلى النصارى وأحياناً إلى العرب
إذا نسبت عدياً في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب
يريد أنه دعى وهى بجانسة لعدي .

وقول عبد الله بن رواحة في مدح الرسول - صلوات الله عليه : -

تحمله الناقة الأدماء معتجراً بالبرد كالبرد جالئ نوره الظلما

ويعدونه الغاية في هذا النوع ، بل يعدونه أمدح بيت قالته العرب^(٥) .

ويقول العباسى نقلاً عن ابن أبي الأصبع : رأيت في بعض الكتب

أن هذا البيت أحد بيتين مجرورين لكعب بن زهير وهما :

تحمله الناقة الأدماء معتجراً بالبرد كالبرد جلى ليسة الظلم

وفي عطافيه أو أئنم برده ما يعلم الله من دين ومن كرم

(١) خزانة الأدب - ٢٤

(٢) المثل السائر - ١٠٥

(٣) مناهج التوسل - ١٢٢

(٤) خزانة الأدب للحموى - ٤٩

(٥) المقد الفريد - ٤ - ١٨٦

ثم يقول : رأيت في حماسة أبي تمام نسبة هذا البيت لأبي دَهْبل الجمحي
في الأزرق المخزومي^(١) يرثيه في أبيات أخرى^(٢) .

ومهما يكن فعندى أن الجناس المقلوب في البرد والبدر جناس عاديّ،
فليس هو الغاية في ذلك كما وصفوا .

كما أن من الإسراف أن يعد البيت أمدح ما قالته العرب ؛ فالتشبيه
بالبدر قريب مبتذل وقد ملأ الشعراء به الدنيا من قديم الزمان، وأبلغ منه
قول ابن قيس الرقيات :

إنما مصعب شهاب من الله م تجلت بنوره الظلماء
وأحسب أن الذين وصفوه بالإبداع إلى غاية الغايات ، استمدوا له
الفخامة من الممدوح وهو الرسول الكريم ، ولو عرفوا أنه قيل في ابن الأزرق
المخزومي ما كان عندهم بهذه المنزلة .

ومن قلب البعض قول المتنبي :

مُمنَّعة منعمة رَداح يكلف لفظها الطير الوقوعا
وقول أبي فراس :

فعندى خصب رثوَاد وعندى رِي وُرَاد
وقول ابن جابر الأندلسي :

أَمْلى أنى أرى ربعكو فيه يذهب عنى ألى
وقول آخر :

وقالوا أى شيء فيه أحلى فقلت المقتلان المقتلان
وقول آخر :

وألفيتهم يستعرضون حوائجا إليهم ولو كانت عليهم جوائجا
وقول آخر :

إن بين الضلوع منى نارا تتأظى فكيف لى أن أطيقا

(١) الصواب : ابن الأزرق كما في ديوان الحماسة — ٢ — ٢٨٢

(٢) معاهد التنصيص — ٢ — ٨١

فبحق عليك يا من سقاني أرحيقا سقيتي أم حريقا
وقد يحمي في أكثر من كلمة كقول الشاعر :
لبق أقبل فيه هيف كل ما أملك إن غنى هبة
فكل كلمة منه بانضمامها إلى أختها تجانسها في القلب ، ولا يخفى ما فيه
من التكلف .

٣ - المقلوب المستوي .

وهو قلب كل الحروف في كلمتين أو أكثر شعرا أو نثرا ، بحيث تكون
قراءتها من أولها إلى آخرها عين قراءتها من آخرها إلى أولها .
وعرفه الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس ، وهو أن يكون
عكس البيت أو عكس شطره كطرده .
ومثل له بقوله : ساكب كاس .

ثم زاد في العدة فقال : كبر رجاء أجر ربك .
ثم زاد في العدة أكثر فقال : لذ بكل مؤمل إذا لم وملك بذل .
ومن نظم الحريري :

أسَّ أرملا إذا عرا وارع إذا المرء أسا
ومن قول بعضهم :

أراهن نادمنه ليل لحو وهل ليلهن مدان نهارا

ووصل القاضي فتح الدين بن الشهيد في تركيبه إلى أكثر من ذلك (١) .
وليس المهم في هذا النوع كثرة العدد ، ولكن رقة الألفاظ وانسجامها
وحسن الصياغة وصواب المعنى والبراعة من التكلف والتعقيد ، وجريانه
على الطبع المواتي .

وبما لا يشك أنه من هذا النوع قول شيخ الإسلام ابن البارزى :
سور سمهاه برها محروس .

(١) خزانة الأدب — ٢٩٤

ومن بدائعه قول العاد الكاتب للقاضى الفاضل — عند مروره به
راكبا — : سر فلا كبا بك الفرس !

وقد أدرك القاضى الفاضل ما أراد فأجابه على الفور : دام علام العاد .
فهذا النوع ينبجس من الخاطر بلا تقدير سابق ولا تهيئة ولا إعداد كما
يحدث فى المناقلات .

ولكن أغلب هذا النوع لا يجرى على هذا النهج ، لأن الكاتب يعتمد
فيه قلب تعبيراته لتطرد له صور من الألفاظ المتعاكسة فى عباراته ، إنها
طبعاً أساليب التصنع وما يطوى فيها من تعقيد وتصعيب فى طرق الأداء
فإذا الكاتب يفر من الأداء الصحيح إلى الأداء المضطرب ، لا يسدل على
شئ سوى مهارته فى اللعب والعبث بالألفاظ ، ولأنه لعبث ينتهى إلى هذه
الصورة الهندسية التى لا تحوى فناً ولا جمالاً وإنما تحوى تعقيداً كأنما التعقيد
غاية ينبغى أن يطلبها الكاتب فى آثاره وأعماله (١) .

وقد صرح العلوى : بأن هذا النوع والمستوى ، قليل نادر صعب المسلك
وعمر المرتقى ، لا يكاد يأتى به إلا من أفلق فى البلاغة وتقدم فى الفصاحة (٢) .
كما اعترف بندرة الجيد منه ابن شهاب الدين الحضرى (٣) ، فقال : وهذا
النوع إذا قلدته العقادة أطواقها وحرمتة السهولة مذاقها ، معذور فيه كل
ناثر وناظم ، ومصفوح فيه عن كل صادق وباغم ، لأنه صعب الانقياد حتى
لفحول الرجال ، ممتنع عن الانسجام حتى إذا طال ، ولم أر فيها وقفت عليه
من كتب الأدب منه ما يعجب المطالع ، ويضطرب لانسجامه وسهولته
السامع إلا بيتين للقاضى الأرجانى :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم
والثانى لم أعرف قائله وهو :

عُج تم قربك دعد آمناً إنما دعد كبرق منتجع

(١) النثر ومذاهبه فى النثر العربى — ١٥١ (٢) الطراز — ٣ — ٩٦

(٣) إمامة الحجة على التقي بن حجة — ٤٣

وفي بيت الأرجاني يقول الحموي^(١): وقع الإجماع عليه أنه أبلغ شواهد هذا النوع ، لاستيعاب ناظمه شروط الحسن فيه .

وأسهل منه عند أبي جعفر الأندلسي قول بعض المتأخرين :

نال سر العلا بما قد حواه أوحد قام بالعلا رسلان

وفيه نظر لا يخفى كما يقول العباسي^(٢) :

وبما وقع منه في الكتاب الكريم قوله — تعالى — « كل في فلك ،
» وربك فكبر ، .

ولم يعد شراح التلخيص هذا النوع من تجنيس القلب كما عده غيرهم ، بل عدوه قسما مستقلا من المحسنات اللفظية وفرقوا بينهما بما يأتي :

١ — تجنيس القلب يجب أن يذكر فيه اللفظ المقلوب مع مقابله .

٢ — لا يجب فيه أن يكون أحد المتجانسين نفسه مقلوب الآخر إذا قرئ من آخره كالقمر والرقم مثلا ، بخلاف المستوى فإنه يذكر فيه المقلوب وحده ، وحيثما قرئ من آخره كان هو نفسه كسلس وكشك وكعك وخوخ وباب وشاش وساس .

وهذا في المفرد ، وأما في المركب فقد يذكر المقلوبان معا كما في قول الشاعر :

أرانا الإله هلالا أنارا

وإذا جوزنا تجنيس القلب في المركب جاز أن يدعى تصادقهما في نحو :

أرانا الإله هلالا أنارا

لوجود المتجانسين قلبا^(٣) .

٤ — العكس :

وهو في اللغة رد آخر الشيء على أوله .

وفي الاصطلاح : أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير ما جعلته

في الجزء الأول .

(١) خزائن الأدب — ٢٩٤ (٢) معاهد التنصيص — ٢ — ١٠٢

(٣) مواهب الفتح — ٤ — ٤٦٠

وهذه تسمية العسكري ^(١) .
وسماه قدامة التبديل ، ومثل له بقول بعضهم : أشكر لمن أنعم عليك ،
وأنعم على من شكرك ^(٢) .
ويقع على وجوه منها :
١ — أن يقع بين أحدث في جملة وما أضيف إليه نحو : عادات السادات ،
سادات العادات . وشيم الأحرار أحرار الشيم .
٢ — أن يقع بين متعلقين فعلين في جملتين نحو قوله — تعالى — : « يخرج
الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » .
٣ — أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو قوله — تعالى — : « لا هن
حيل لهم ولا هم يحيلون لهم » .
وهذا النوع كثير في النثر والشعر ومعظمه يقع على سنن الطبع ، وحسن
موقعه في الكلام لا يحمل ، وقد اعترف له ابن الأثير بهذه المزية فقال :
وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة وعليه رونق ^(٣) .
وبما ورد منه في القرآن الكريم غير ما تقدم : « ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها وما يمسك من خير فلا مرسل له » .
ومن الحديث « جار الدار أحق بدار الجار » .
ومن أقوال الصحابة : ما كتب به على إلى ابن عباس — رضى الله
عنهما — : أما بعد فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت
ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً ، ولا بما فأنك منها ترحاً ،
ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة بطول أمل ، وكان
قدر والسلام .
وقول أبي الدرداء : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، فصاروا شوكاً
لا ورق فيه .

(٢) المثل السائر — ١٠٤

(١) الصنائع — ٣٦١

(٣) المصدر المتقدم والرقم .

وقول بعض القدماء : ما أقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة ، وما
أكثر قلة المعرفة مع ملك النفس .

وقيل للحسن بن سهل — وكان يكثر العطاء — : ليس في السرف خير .
فقال : ليس في الخير سرف .

فعكس اللفظ واستوفى المعنى .

وعزى رجل أخاه على ولد فقال : عوضك الله منه ما عوضه منك .

وقالت بعض النساء لولدها : رزقك الله حظا يخدمك به ذوو العقول ،
ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الحظوظ .

وقيل لبعض الحكماء : لم تمنع من يسألك ؟

فقال : لئلا أسأل من يمنعني !

وقال بعض الحكماء : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .

وقال بعضهم لرجل — كان يتعهده — : أسأل الله الذى رحمني بك
أن يرحمك في !

ولبعضهم في الدعاء : اللهم أغثنى بالفقر إليك ، ولا تفقرني
بالاستغناء عنك !

ومن الشعر قول الحماسي :

رمى الحيدثان نسوة آل حرب بمقدار سمّدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

وقول عدى بن الرقاع العاملي :

ولقد ثنيت يد الفتاة وسادة لي جاعلا إحدى يديّ وسادها

وقول الأضبط بن قريع الجاهلي :

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

ويقطع الثوب غير لا بسه ويلبس الثوب غير من قطعه

وبما نسب إلى الرشيد :

لساني كتوم لأسراركم ودمعي نموم لسرى مذيع

فلولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموع

وقول آخر :

تلك الثنايا من عقدها نظمت أم نظم العقيد من ثناياها

وقول آخر :

إن الليالي للأنام مناهل تطوى وتنشر دونها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

وقول المتنبي :

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ما له ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجده

وقول الشريف الرضى يذم الزمان :

أسف بمن يطير إلى المعالي وطار بمن يُسف إلى الدنيا

وقول ابن نباتة السعدى :

ألا فإخش ما يُرجى وجدك هابط ولا ترج ما يخشى وجدك رافع

فلا نافع إلا مع النحس ضائر ولا ضائر إلا مع السعد نافع

وقول عبد العزيز الأنصارى :

أفريت عمرى في دهر مكاسبه نطيع أهواءنا فيها وتعصينا

تسعا وعشرين مدًّا لهم شقتها حتى توهمتها عشرا وتسعيننا

ومن ردى هذا النوع الجامع بين السخف والإسفاف والتفاهة والتكلف

وفسولة المعنى قول بعضهم :

زعموا أني خئون في الهوى في الهوى أني خئون زعموا

ويتصل بما نحن فيه نوعان من العكس :

١ - عكس المعنى ، وهو أن يأتي الشاعر إلى معنى لنفسه أو لغيره فيعكسه..

مثال الأول قول بعضهم :

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

وقول آخر :

هاقد غدا من ثياب الشعر في كفن وقد تعفت معاني وجهه الحسن

وكان يُعرض عنى حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرنى

ومثال الثاني قول بعضهم :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وجاء آخر فقال :

وربما فات بعض الناس أمرهم مع التأني وكان الحزم لو عجلوا
وقد أورد الحموي : أن هذا النوع من زيادة ابن أبي الأصبع^(١) .
ولكن الحقيقة أن ابن أبي الأصبع مسبوق به ؛ فقد ذكره العسكري
فقال : والعكس أيضا من نوع آخر ، وهو أن يذكر المعنى ثم يعكسه بإيراد
خلافه ، ومثل له بقول الصاحب : وتَسْتَسِي شمس المعالي وهو كسوفها^(٢) .
٢ — قلب الكلمات :

وقد ذكره العباسي^(٣) ومثل له بقول الشاعر :

عدلوا فما ظلمت لهم دول سعدوا فما زالت لهم نعم
بذلوا فما شحت لهم شيم رفَعُوا فما زالت لهم قدم
فهذا دعاء لهم ومدح .

فإذا انقلبت كلماته صارت دعاء عليهم وهجوا بأن يقال :

نعم لهم زالت فما سعدوا دول لهم ظلمت فما عدلوا
قدم لهم زلت فما رفعوا شيم لهم شحت فما بذلوا
وقد ذكر الوطواط : أن أنواع المقلوبات كثيرة أكثرها اشتها^١
أربعة وهي :

مقلوب البعض ، ومقلوب الكل ، والمقلوب المجنح ، والمقلوب المستوى .
وقال عن المقلوبات : إنها من جملة الصناعات الغريبة التي يتخذونها
في النظم والنثر ، وتدلل على قوة الشاعر أو الكاتب وسلامة طبعه وخاطره^(٤) .
ولسنا معه في هذه المغالاة ، فأكثرها يشوبه التكلف والاجتلاب ،
والجيد منها قليل وهو ما أتى عفوا من غير استكراه .

(١) خزائن الأدب — ٢٠٣ (٢) الصناعتين — ٣٦٢
(٣) معاهد التنصيص — ٢ — ١٠٣ (٤) حدائق السحر — ١٠٧

الفصل العاشر

جناس الاشتقاق

ويسمى الجناس المشتق ، و جناس الاقتضاب أيضاً .
وهو : ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق
في أصل المعنى .
أو هو : ما جمع ركنيه أصل واحد في اللغة ، ثم اختلفا في حركاتهما
وسكناتهما .
ولما كانت الحروف لا يشتق منها لم تدخل في هذا الجناس .
وقد وهم العلوى فسماه المطلق^(١) .
والمطابق شبه الاشتقاق كما سيأتى :
والاشتقاق : أخذ لفظ من الآخر لمناسبة بينهما في المعنى .
والمراد به هنا الاشتقاق الصغير الذى ينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق .
وهو ما يوافق فيه اللفظان في الحروف الأصول مع الترتيب والاتفاق
في أصل المعنى ، كقوله — تعالى — : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ » .
« فَأَقِمْ » و « الْقِيمِ » مشتقان من قام يقوم على مذهب الكوفيين .
أو من القيام على مذهب البصريين .
ففيهما الأصول من الحروف مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى .
أما الاشتقاق الكبير فهو : الاتفاق في الحروف والأصول دون
الاتفاق في الترتيب مثل القمر والرمق والمارق .
فهذه الألفاظ الثلاثة بينها الاشتقاق الكبير لاتحادهما في الحروف
الأصول دون الترتيب .

(١) الطراز — ٢ — ٣٦ .

من الأمور الطبيعية التي لا يستطيع الإنسان منها فكاكا ، ولكن المرزباني لم يكن شاعرا حتى يتذوق محبة الشاعر لأولاده العاطفين فيؤمن أنهم يعدلون أولاده الصليبيين !

وقول المتنبي :

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيش كلهم قلاقل
غثاثة عيشي أن تغث كرامتي وليس بغث أن تغث المآكل
قلقل الشيء : حركه ، وقلاقل العيس : أى الإبل الخفاف .

وقلاقل الثانية : يجوز أن تكون بمعنى الأولى : أى لبلا خفافاً كلهم خفاف ، أو تكون جمع قلقلة وهى الحركة .

فالبيت كله قلاقل كما يقول بعض النقاد .

فقد اتفق له أن كرر في البيت الأول لفظة مكررة الحروف فجمع القبح بأسره في صيغة اللفظة نفسها ثم في إعادتها وتكرارها .

وأتبع ذلك بغثاثة في البيت الثانى بتكرار «تغث» فاست تجمد على هذين البيتين مزيداً فى القبح (١) .

ويلاحظ أن بعض هذه الأمثال المتقدمة مما اختلط فيه الاشتقاق بشبه الاشتقاق .

وإذا كان اللفظان متفقين فى الحروف الأصلية واجتمع فى أحدهما حروف زائدة ، عدد من المطلق الذى نحن فيه لامن الناقص كقول الشاعر :
خاتمت بالافق الغربى لى سَكَنّا قد كان عيشى به حُلُوا بِحُلوان

الفصل الثاني عشر

الجناس المضارع

ويسمى أيضا : المطرف^(١) والمطمع^(٢) .

وهو أن يجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتحدة في المخرج أو المتقاربة فيه من غير زيادة في العدد ، والإمكان من الجناس الناقص كما تقدم .

ويشترط فيه ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد ، فإن وقع باثنين أو أكثر مثل نصر ونكل ، وضرب وفرق ، وغضب وسلب ، لم يكن من التجنيس في شيء لبعدهما من التشابه الجناسي .

وهذا الشرط لا بد منه إذ لولاه لم تخل غالب الألفاظ من الجناس ، ولأصبح في متناول كل واحد ، كما أن عدم تحقق هذا الشرط لا يتوافر معه الموسيقى المقصودة من الجناس .

ولم يتقيد السكاكي بهذا الشرط ، فأجاز الاختلاف بحرفين مع تقارب المخرج كقولهم . ما خصصتني لكن خسستني^(٣) .

ولعل السكاكي رأى أن تقارب الحروف في المخرج لا تضر معه الزيادة بأكثر من حرف ، لأن تناغم الحروف لا يزال موجوداً في هذه الحال ، فتحققت العناية من المجانسة على كل حال .

وسبب تسميته بالمطمع واضحة ، لأنه يجاء فيه بكلمة ويبدأ بأختها على مثال أكثر حروفها فيحدث الطمع في أنها مثلها ، ثم تأتي مخالفة لها بحرف .

(١) نهاية الإيجاز — ٢٩ — المفتاح — ٢٢٧

(٢) حسن التوسل — ٤٥ (٣) المفتاح — ٢٢٧

ومعنى المضارع : المشابه ؛ سمي بذلك لمضارعة المخالف من الحرفين
لصاحبه في المخرج .

والمضارعة في الأصل : أن تتقارب مخارج الحروف ، وفي كلام العرب
كثير منه والمحدثون إنما تكلفوه .

وهذه التسمية من وضع قدامة ، وقد مثل لذلك بقول نوفل بن
مُساحق للوليد - وقد اعتدّ عليه بالإذن له على نفسه وهو يلعب بالحمام - :
خصصتك بهذه المنزلة !

فقال نوفل : ما خصصتني ولكن خسستني ، لأنك كشفت لي عورة
من عورتائك^(١) !

وقد تقدم : أن السكاكي مثل به .

والرّمانى يسمى هذا النوع : المشاكلة .

وهي عنده ضروب : أحدها هذا النوع ، وهو المشاكلة في اللفظ
خاصة^(٢) .

مثال ذلك قول بعضهم : البرايا أهداف البلايا .

وقول الشريف الرضى :

لا يُذكر الرمل إلا حنّ مغترب له لدى الرمل أوطان وأوطار
فالراء واللام والنون في البرايا والبلايا وأوطار وأوطان من مخرج واحد
عند قُطرب والجرمى وابن دريد والقراء .

وقول بعض أهل الأدب : راش سهامه بالعقوق ، ولوى ماله عن
الحقوق فالعين والحاء من مخرج واحد .

وقول ابن نباتة :

رق النسيم لرقى من بعدكم فكأنتى فى حبكم أتغايّر
ووعدت بالسّلوّان من قد عابكم فكأنتا فى كِذّنا نتخاير

(١) سر الفصاحة — ١٨٧

(٢) العمدة — ١ — ٢٢٤

قالغين والخاء من مخرج واحد .
والحرفان اللذان يقع بهما الاختلاف إما أن يكونا أول الكلمة كقول
قس ساعدة : من مات ، فات .
وقول الحريري : بيني وبين ركسني^(١) ليل دامس ، وطريق طامس .
فالذال والطاء من الحروف الشديدة ، وهما متحدان في المخرج لأنهما
من اللسان مع أصل الأسنان .
ولما أن يكونا في الوسط كقوله — تعالى — : « وهم ينهون عنه
وينأون عنه » .

فالهاء والهمزة متحدان في المخرج لأنهما حلقيان .
ولما أن يكونا في الآخر كالحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها
الخير إلى يوم القيامة » .

فاللام والراء من حروف الذلاقة^(٢) ومخرجها من الحنك واللسان .
ومن لطيف أمثاله : ما ذكره ابن دريد في ملاحظته ، وهو أن أعراييا
شتم رجلا فقال : ملج أمه !

فقدم إلى السلطان فقال : إنما قلت : ملج أمه !
قال ابن دريد : ملجها : أتاها ، وملجها : رضعها .
وقول بعض العلماء : ربما أسفر السفر عن الظفر ، وتعذر في الوطن
قضاء الوطر .

ومن الشعر قول الخطيئة :
مطاعمين في الهيجا مطاعمين في الدجى بنى لهم أبأؤهم وبنى الجسد
وقول ابن هرمة :
وأطعمن للقرن يوم الوغى وأطعمن في الزمن الماحل

(١) الكن بالكسرة المنزل.

(٢) حروف الذلاقة : حروف طرف اللسان والشفة ، وهي اللام والراء والنون والباء
والفاء والميم .

وقول أبي تمام :

رب خفض تحت السرى وغنائه من عناء ونضرة من شحوب

وقول البحتري :

ظلمت أرجم فيك الظنون أحاجه أنت أم حاجبه

وقوله :

ما بعينى هذا الغزال الغرير من فتون مستجلب من فتور

وقول قابوس بن وشمكير :

إن المكارم في المكاره والغنائم في المغارم

وقول ابن جابر الأندلسي :

سلب القلب غزال قدده قد حكى البان لنا والعلما

نون صدغيه إذا أبصره كاتب ألقى إليه القلما

وقول الشريف قتادة - وقد عدوه من الرفائق - :

وما أنا إلا المسك في غير أرضكم أضوع وأما عندكم فأضيع



الفصل الثالث عشر

الجناس اللاحق

وهو : ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه .
أى يكون الحرفان اللذان وقع بينهما الاختلاف متباينين فى المخرج .
سمى بذلك ؛ لأن أحد اللفظين ملحق بالآخر فى الجنس باعتبار
جلّ الحروف .

مثال قول بعضهم فى جواب رسالة : وصل كتابك فتناولته باليمين ،
ووضعتة مكان العقد الثمين .

ومن نكت البسطامى : إذا ذل عالم زل عالم (١) .
فالياء والثاء والذال والزاي متباعدة المخرج .
والحرفان الواقع بهما الاختلاف إما أن يكونا أولا كقوله - تعالى - :
« ويل لكل همزة لمزة » .

فالهاء واللام متباعدان فى المخرج ، لأن الهاء من أقصى الحلق ، واللام
من طرف اللسان .

ولما أن يكونا وسطا كقوله - تعالى - : « وإنه على ذلك لشهيد
وإنه لحب الخير لشديد » .

فالهاء والذال متباعدان ؛ إذا الأول من الحلق والثانى من اللسان مع
أصول الأسنان .

ولما أن يكونا آخرًا كقول البحترى :
هل لمافات من تلاق تلافى أم لشاك من الصبابة شافى

(١) مناهج التوسل — ١٤١

فالقاف والفاء متباعدان ؛ لأن مخرج القاف من أقصى اللسان ، ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الشايات العليا .

وبما لاخلاف فيه أن الفرق بين المضارع واللاحق دقيق جدا فيلطف على كثير من الأفهام ولا يلحظ إلا بالتأمل وإعمال الروية ، حتى لقد التبس الأمر فيه على أساطين البلغاء !

فالخطيب عدّ من أمثله قوله — تعالى — : « ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض وبما كنتم تمرحون »^(١) .

مع أن هذا المثال من المضارع لتقارب الفاء والميم ؛ لأن مخرجهما من الشفة .

وعدّ منه الخطيب والرازي والحلبي قوله — تعالى — : « وإذا جاءهم أمر من الأمن والخوف أذاعوا به » .

وهو من المضارع أيضا ؛ لأن الراء والنون من حروف الذلاقة ومخرجهما من طرف اللسان^(٢) .

ومن البلغاء من يطلق على المضارع واللاحق معا « جناس التصريف »^(٣) . وقد عدّهما السكاكي قسما واحدا^(٤) .

وبعضهم أطلق عليهما : اسم المطمع .

وقد ذكرنا سبب هذه التسمية في المضارع .

وقد اعترض المرشدي على التسمية بالمطمع ؛ لأن ذلك يتم في بعض الأنواع ، وهو : ما وقع الاختلاف فيه بالحرف الأخير دون النوعين الأخيرين .

يعنى ما وقع فيه الحرف في الأول أو الوسط .

(١) التلخيص — ٣٩٠

(٢) المصدر السابق والرقم — نهاية الإيجاز — ٢٩ — حسن التوسل — ٤٥

(٣) خزانة الأدب للحموي — ٢٧ — حسن التوسل — ٤٦

(٤) الفوائد النبائية — ٢٧٩

ثم يقول : ولو سمي بالمذيل لكان أقرب ؛ لأنه هو الذى يطمع فى ذلك إلى أن تستقر الكلمة على آخرها (١) .

ويقول الصفدى فى ذلك : إن المخالفة بحرف فى الآخر من أحد الركنين مثل « تلاق وتلاف » هو : المطمع .
وإذا سوح بالمخالفة فى وسط أحدهما مثل « شهيد ، و « شديد ، دخل فى هذه التسمية بتكلف .

وأما المخالفة بحرف فى أول أحدهما كما مثلوا له بقول الحريرى : ولا أعطى زمامى لمن يخفّر ذمامى ، ولا أغرس الأيادى فى أرض الأعادى ، فلا دخول له فى هذه التسمية « المطمع » بوجه من الوجوه ؛ إذ الطمع لا يكون ولا يحصل إلا بعد مقدمات يغتر بها ومخايل تلوح ؛ كمن أتى إنساناً يسأله شيئاً فاستقبله بالبشر والترحيب ، فكان ذلك مما يطمعه فى سؤاله ويبشره بنجح آماله ، حتى إذا طال الأمر وامتنعنه ظهر الأمر بخلاف ما توهمه كما قال الشاعر :

هذى مخايل برق خلفه مطر جود وورى زناد خلفه لب (٢)
وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب
وهكذا الجناس إذا كان أحد ركنيه مبدوءاً بحرف يخالف الآخر ، فقد مات الطمع فيه وحصل اليأس منه ، خصوصاً إذا كانت المخالفة فى الأول بحركة وحرف كبرد وفرد وعرد ، أو تباعد مخرج الحرفين (٣) .
ومن الجناس اللاحق فى القرآن الكريم قوله — تعالى — : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى » .

لاجتماع القاف والباء — وهما غير متقاربين — لأن مخرج الباء من بين الشفتين ، ومخرج القاف من أقصى اللسان .

ومن كلام البلغاء قول على — كرم الله وجهه — : الدنيا دار عمر ، والآخرة دار مقر .

(١) المرشدى على العقود — ٢ — ١٤٤

(٢) الجود بفتح وسكون : الفزير (٣) جنان الجناس — ٢٩ — ٣٠

ومن الشعر المطبوع قول البحتري :
عجب الناس لاعتزالي وفي الأطراف م تُلغى منازل الأشراف .
وقعودى عن التقلب والأر ضُ لمثل رحبية الأكفاف
لست من ثروة بلغت مداها غير أنى امرؤ كفانى كفانى
والشاهد فى البيت الأخير .

وفيه يقول الحموى : وكفانى وكفانى هو اللاحق الذى لا يلحق .
ثم ساق نكتة لطيفة تؤيد قول البحتري فى بيته الأول ، وهى : أنه قيل
لبعضهم : فى أى موضع من القرآن : الأطراف منازل الأشراف .
فأجاب فى قوله — تعالى — : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى
قال يا قوم اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ » .
فهذا أشرفهم .

وقد كان الرسول — صلوات الله عليه — يسكن بأقصى المدينة^(١) .



(١) خزنة الأدب — ٣٦

الفصل الرابع عشر

جناس التصحيف

وهو ما تماثل ركناه خطأ واختلفا في النطق .
سمى بذلك لأن من لا يفهم المعنى فإنه يصحف أحدهما إلى الآخر ؛
لأجل تشابههما في الخط .
ويقال له أيضاً : جناس الخط^(١) والمرسوم^(٢) والمضارعة والمشاكلة^(٣) .
والمؤدّي واحد في هذه المسميات .
مثال ذلك قوله — تعالى — : « والذى هو يطعمنى ويَسْقِين وإذا
مرضت فهو يَشْفِين » .
وقول الرسول^(٤) — صلوات الله عليه — لعلى كرم الله وجهه — :
« قصر ثوبك فإنه أتقى وأتقى وأبقى^(٥) » .
وقوله : « عليكم بالابكار فإنهن أشد حبا وأقل خبا^(٦) » .
وقوله : « إياكم والمشارة فإنها تميت الغيرة وتحْيي الغيرة^(٧) » .
وقوله : « عليك بالياس ، من الناس » .
قول عمر — ض — : لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطر ؛ إن فاني
ربحه لم يفتني ريحه .
وقول علي — ض — في الجراد : كائله كلة .

(١) حسن التوسل — ٤٥
(٢) الطراز — ٢ — ٣٦٦
(٣) حقائق السحر — ١٠٢
(٤) في بعض الروايات أنها من كلام الإمام علي
(٥) في بعض الروايات : أتقى وأتقى وأبقى ، وفي بعضها : أتقى وأتقى وأبقى .
(٦) الحب بالكسر : الخنا ، وبالكسر والفتح : الخادع .
(٧) المشارة : مفاعلة من الشر ، والمرة : المار .

وقول الميرغيناني : المجالس أخلاها أحلاها .
وقولهم : خُلف الوعد ، خلق الوغد .
وقولهم : كل ملهوف لإيه فراره ، ولديه قواره .
وقولهم : الخمر مصباح السرور ، واسكنها مفتاح الشرور .
والصفي الحلبي الدين رسالة من هذا النبط نثرا وشعرا تبلغ نحو أربعائة كلمة .
ومن الشعر قول البحترى :

ولم يكن المغترُّ بالله إذ سرى ليُعجز والمعترُّ بالله طالبه
وقوله :

وكان السليل والنثرة الحصداء م منه على سليل غريف^(١)
وقول أبي فراس :

من بحر جودك أغترف وبفضل عليك أعترف
وقول نصر بن الحسن :

يا حسن دار تعفّت وطيب تلك المغاني
كأنما هن لفظ وما له من معاني
وقول مذهب الدين الرومي :

خليلى لا والله ما جنّ غاسق وأظلم إلا حنّ أو مجنّ عاشق
وقول الوطواط :

به عاد أعلام العلوم عواليا وأصبح أثمان الثناء غواليا
ومن رقائق البهاء زهير :

وليس مشيبا ما ترون بعارضى فلا تمنعونى أن أهيم وأطربا
فما هو إلا نور ثغر لثمته تعلق فى أطراف شعري فألهبا
وأعجبني التجنيس بيني وبينه فلما تبدى أشنبا رحمت أشيا

(١) السليل الأول : السيف ، والنثر الحصداء : الدرع الواسعة الضيقة الملقى المحكمة ،
والسليل الثانى : الأسد ، والغريف : الأجمة .

ومن قول أبي نواس :

صحفتُ أمك إذ سمّتك م في المهر ——— أبا نا
قد علينا ما أرادت لم ——— رد إلا أتا نا

وقول المتنبي :

جرى الخلف إلا فيك أنك واحد وأنك ليث والملوك ذئاب
وأنك لو قويست صحف قارىء ذئابا ولم يخطيء فقال ذباب

وقول آخر :

رأى الضيق مكتوبا فظن بأنه لتصحيفه ضيفا فقام يوائبه
وقد يجتمع التصحيف والتحريف معا كما في قوله — تعالى — : « وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

ففيه جناس تصحيف من حيث الاختلاف بالباء والنون .

وجناس تحريف من حيث الاختلاف بفتح حرف المضارعة من الأول
وضمه من الثاني منهما .

ومن ذلك ما نسب إلى علي أنه كتب به إلى معاوية : غرك عرك ،
قصار ذلك ذاك ، فاحش فاحش فعلك ، فعلك بهذا تهدي والسلام !
فكتب إليه معاوية : غلى قدرى على قدرى !

فبين كل كلمتين من كلمات القطعة الأولى جناس التصحيف والتحريف ،
ماعدا قوله : « ذلك ، ذلك ، و « فعلك فعلك » ، فإنهما محرفان فقط .

والقطعة الثانية فيها التصحيف بين « غلى ، و « على » .

والتحريف بين « قدرى ، و « قدرى » .

ومن حقنا أن نتشكك على الأقل في صحة نسبة القطعة الأولى إلا على ؛
لكثرة ما جاء فيها من التصنيع البالغ الحد المختلف اللون ، وهو ما يخالف
أنماط الكلام في هذا العصر .

والأمر بين علي ومعاوية أجلّ من أن يخاطب فيه بمثل هذا الكلام
السفساف .

ومنه قول الوطواط : رَبُّ ، رَبُّ غَنِيٌّ غَنِيٌّ سَرَّتهُ سَرَّتهُ ، فجاءه
فُجَاءةً بعد بُعْدٍ عَشْرتهُ عَشْرتهُ (١) .

رب : منادى ، ورب : حرف من حروف الجر ، والشرة : مصدر
أشّر ، وبعد بالفتح : ظرف ضد قبل ، وبعد بالضم : نقيض القرب ،
والشرة : المعاشرة ، والعسرة : ضد اليسرة .

والمعنى : يا رب كم غني متصف بالغبوة فرح بالشر ، حتى جاءه العسر
بغتة بعد طول المعاشرة !

ولا يخفى ما في هذا الكلام من التعسف والتعقيد وسوء التصنيع وفساد
النسيج فصلا عن تفاهة المعنى .

ومنه قول الحريري : زينب زينت بقصدٍ يَقتد .

ومن مطبوع التصحيف قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
وقول آخر :

لقطب الملوك تذل الرقاب ونحو هواه تميل النفوس
عواطفه سابغات الظلال وأنعمه سائغات الكتوس

وقد يأتي التصحيف من غير قصد فيكون بعض أنواعه أحسن من

الأصل .

فمن ذلك أن الأصمعي قرأ على عمرو بن العلاء بيت الخطيئة :

وغررتني وزعمت أنك م لا بن بالضيف تامر

والأصل : بالضيف .

فقال له ابن العلاء : أئت في تصحيفك أشعر من الخطيئة (٢) .

(٢) نهج الطيب — ٢ — ١١٨

(١) حدائق السحر — ١٠٢

وقرأ القاضي جابر بن هبة الله مقامات الحريري عليه سنة أربع عشرة وخمسمائة ، فلما وصل إلى قوله :

يا أهل ذا المغنى وقيمتم شرا ولا لقيمتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذى اكفها إلى ذراكم شعشا مغبرا

صحف « شعشا مغبرا » فقال : سغبا معترا — وكان يظهما كذلك .

ففكر الحريري ثم قال : لقد أجدت فى التصحيف ، وإن قولك لا جود ؛
فرب شعش مغبر غير محتاج والسغب المعتر موضع الحاجة ، ولولا أنى قد
كتبت بخطى إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت على ، لغيرته كما قلت .
ومن أغرب أنواع التصحيف : أن رجلا صلى بالخليفة فى رمضان ولم
يكن يحفظ القرآن ، فكان ينظر فى المصحف ويقرأ ، فصحف الآيات الآتية :
« صبغة الله » : صنعة الله .

« أصيب بها من أشاء » : أصيب بها من أساء .

« إنما المشركون نجس » : إنما المشركون نحس .

« إلا عن موعدة وعدة وإياه » : إلا عن موعدة وعدة وأباه .

« بقية الله خير لكم » : تقية الله خير لكم .

« ... وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا » : وتخر الجبال هذا
أن دعوا ...

« لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه » : لكل امرئ منهم يومئذ
شأن يعنيه (٢) .

وقد صحف ابن زيدون فى رسالته الجدية قول امرئ القيس :

ولأنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يفلبك مثل مغلب
فجعلها : كما جز .

وقد لحظ الشيخ حمزة فتح الله : أنها وردت فى الأساس كما قال ابن
زيدون (٣) .

(١) معاهد التنصيص — ٢ — ٩٤

(٢) فتح الطيب — ٣ — ١١٩ (٣) اللواهب الفتحية -- ٢ — ١٩٥

ومعنى ذلك أنها لم تصحف .

واجتمع الصوفية على علوية الشاعر وقالوا له : أنت أنشدت :

طاب لنا الرقص بعد حشمة

فقال : إنما قلت : طاب لنا الرقص . . .

قرضوا عنه .

وأحضر جعفر بن سليمان الهاشمي خط أبي المقدم الهذيلي وفيه :

يابن الزواني من بني معاوية أنت لعمري منهم ابن الزانية

فقال : إنما قلت : يابن الروائي ، وأنت ابن الرائية : أى اللواني ينحن

على موتاهم^(١) .

هذا ، وجناس التصحيف أقل طبقات المجانس عند ابن سنان الخفاجي ؛

لأنه مبنى على تجانس أشكال الحروف في الخط .

وحسن الكلام وقبحه لا يستفاد من أشكال حروفه في الكتابة ؛ إذ

لا علاقة بين صيغة اللفظ في الحروف وشكله في الخط^(٢) .

ويلحق بجناس الخط المتقدم : الجناس اللفظي .

وهو أن يتجانس الركنان في اللفظ ، وصورة الخط تخالفه مثل

فاض وفاظ .

فالأول من الفيض ، والثاني من التلف .

وقول أبي فراس :

ما كنت تصبر في القديم فلم صبرت الآن عنا

ولقد ظننت بك الظنون لأنه من ظن ضننا

ويتصل به ما يكتب بالتاء والهاء كالقول المأثور : جبلت القلوب على

مُعَاداة العادات .

وقول الشاعر :

إذا جلست إلى قوم لتؤنسهم بما تحدث من ماض ومن آت

(١) محاضرات الراغب — ١ — ٦٥ (٢) سر الفصاحة — ١٨٨

فلا تعيدن حديثاً إنَّ طبعهم موكل بمصاداة المعادات
أو بالنون والتنوين كقول الأرجاني :
ويض الهند من وجدى هواز بإحدى البيض من عُلْيَا هوازن
أو بالآلف والنون كقول الشاب الظريف :
أحسن خلق الله وجهاً وفماً إن لم يكن أحق بالحسن فمن
ولم ينظر هذا النوع من أصحاب البديعيات غير الصفى الرحلى .
وهو نادر جداً وأصعب مسالكه تركيبه بالضاد والظاء .
ويرى الصفدى أنه لا يكون إلا فى الضاد والظاء كقوله — تعالى — :
« وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » .
فالأول من النضارة ، والثانى من النظر .
ولا يرجع فى هذا إلى قولهم : إن النطق بالضاد غير النطق بالظاء
فاعرف ذلك^(١) .



(١) جنان الجنس — ٣١

الفصل الخامس عشر

الجناس المعنوى

ويسمى أيضا : تجنيس المعنى .

وهو قسم اللفظى ، وأكثر البديعين قد أغفلوه فلم يذكره الخطيب فى تلخيصه وإيضاحه ، ولا ابن أبى الإصبع فى التحرير ، ولا ابن منقذ فى كتابه ، وذكره العميان فى بديعيتهم ولكن لم يتيسر لهم نظمه .
واقصر الصفدى فى كتابه جنان الجناس على أحد نوعيه وهو جناس الإشارة .

واقصر الصنى الحلى فى بديعته على ذكر نوعه الآخر وهو جناس الإضمار .
وأورد الحموى (١) : أن ابن رشيق لم يذكره فى كتابه العمدة ، وأن الحلبى لم يذكر غير جناس الإشارة فى كتابه حسن التوسل .
والحق أنهم ذكراه كما سيجىء فى الأمثلة (٢) .

وقد كان مستنكرا عند بعض البديعين بآدىء ذى بدم أن يعد هذا النوع من الجناس ، ولكن المتأخرون استدركوه واستخرجوه وبالغوا فى وصفه بالظرف ، وعدوه طرفة من طرف الآداب ؛ لتوعر مسلكه .
وقدرة وجوده .

| وحد الجناس المعنوى : أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها .

وهو قسمان : جناس إضمار وجناس إشارة ، وكل منهما يطابق مسماه .

(١) خزائن الأدب — ٥١

(٢) العمدة — ١ — ٢٢٨ — حسن التوسل — ٤٧ — ٩٣

وأولها أصعب مسلكا وأعز مجيئا ، لذلك تحاماه فحول البديعيين وتعلقوا
بأذيال الضرب الثاني لسهولة .

وجناس الإضمار : أن تذكر لفظا يُحضر في ذهنك لفظا آخر مضمرا
مرادا به غير معناه بدلالة القرائن .

أو بتعبير آخر : أن تضمم ركني الجناس وتأتى في الظاهر بما يدل عليهما
من مرادف لهما أو كناية عنهما كقول ابن طباطبا العلوى :

منعم الجسم تحكى الماء رفته وقلبه قسوة يحكى أبا أوس
فأوس : الشاعر الجاهلي المعروف ، وأبوه : حجر .

فلفظ أبي أوس أحضر في الذهن هذا الاسم «حجر» وهو ليس بمقصود
ولكن المقصود الحجر الحقيقي الذى شبه به قلب المحبوب فى القسوة ، وهو
ما يعينه سياق الكلام .

ففى لفظ أبي أوس الظاهر ، ركنا جناس مضمران بين حجر : اسم
أبي الشاعر ، وحجر : الذى هو المادة الصخرية .
وقول آخر :

جمع الصفات الصالحات مليكنا فغدا بنصر الحق منه مؤيدا
كأبى الأمين برأيه ، وكجده أنتى توجه ، وابن يحيى فى الندى
فأبو الأمين : الرشيد ، وجده : المنصور ، وابن يحيى : الفضل بن
يحيى البرمكى .

وقصد الشاعر : أنه رشيد فى رأيه ، منصور أنى توجه ، وهو الفضل
فى الندى (١) .

ومن أمثله المشهورة قول أبى بكر بن عبدون — وقد اصطبح بخمرة
ترك بعضها إلى الليل فاستحالت خلا — :

ألا فى سبيل اللهو كأس مدامة أتنا بطعم عهد غير ثابت
حكمت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

(١) كليات أبى البقاء — ١١٢

بسطام بن قيس من سادات بكر بن وائل ، وكانت له بنت تسمى :
الصبياء ، وهي التي أرادها الشاعر بقوله : بنت بسطام .

والشنفرى : شاعر أزدى جاهلى يضرب به المثل فى الخدق والدهاء .
وثابت : خاله ، وهو ثابت بن جابر بن سفيان المعروف بتأبط شرا ،
وقد رثاه الشنفرى بقصيدة منها :

حَلَّتْ الخمر وكانت حراما وبلائى ما أَلَمْتُ تحل^(١)

فاسقينا ياسواد بن عمرو إن جسمى بعد خالى لَحُل^(٢)

الحُل : الرقيق المهزول ، وهو مراد الشنفرى .

والحُل : أيضا : السائل المعروف ، وهو مراد ابن عبدون من قوله :
كجسم الشنفرى .

ومعنى البيت : أن هذه المدامة حكمت فى الصباح بنت بسطام المسماة
الصبياء : أى كانت صبياء .

وصارت فى المساء كجسم الشنفرى بعد موت خاله : أى خلا .

ففى اللفظ الظاهر من بنت بسطام وجسم الشنفرى بعد ثابت : جناسان .
مضمران فى صدر البيت وعجزه بين صبياء : اسم بنت بسطام ، وصبياء :
اسم الخمر .

وكذلك جناسان مضمران بين خل الرقيق المهزول ، وخل المادة المعروفة .

ومن بيت ابن عبدون -أخذ صنم الدين بيته فى بديعته :

وكل لحظ أتى باسم ابن ذى يزن فى فتكه بالمعنى أو أبى هـرم
واسم ابن ذى يزن : سيف .

وهو : سيف بن ذى يزن من أقبال الين .

(١) نسب الشعر إلى الشنفرى يرتب به خاله تأبط شرا ، ونسب إلى تأبط شرا يرتب به نفسه ،
والصحيح : أنه مولد قاله خلف الأحمر ، انظر ديوان الحماسة — ١١ — ٣٤١

(٢) سواد : مرخم سواده ، يطلب أن يسقيه الخمر ، لأنها حلت له بعد الأخذ بثأره ، ولأنه
صار مهزولا بعد موت خاله .

وأبو هرم : سنان .

وهرم : المراد به : الأريحي المعروف صاحب زهير بن أبي سلى المزني .
ففي اللفظين الظاهرين — اسم ابن ذى وزن ، واسم أبي هرم — : ركنا
جناس مضمران بين سيف : اسم القيل النيني ، وسيف : الأداة المعروفة .
وكذلك بين سنان : اسم أبي الجواد الكريم ، وسنان : طرف الرمح .
وكان قاضى القضاة علاء الدين بن القضاى — وهو إمام هذا العلم —
يقول : ما أعلم لبيت أبي بكر بن عبدون فى إضمار الركنين ثانياً غير بيت
صنى الدين الحلى .

ولو لم يفتح ابن عبدون هذا الباب ببيته ما حصل للشيخ صنى الدين
دخول إلى نظم هذا النوع .

وقد علّق على ذلك ابن حجة الحموى بقوله : وكنت أود أن يكون
شيخنا — رحمه الله — حياً ويرانى قد عزّزتهما بثالث وهو :

أبامُعَاذَ أَخَا الْخُنْسَاءِ كُنْتُ لَهُمْ يَا مَعْنُوِّ فِهْدُوْنِي بِجُورِهِمْ
أبو معاذ : اسمه : جبل .

يعنى : معاذ بن جبل الصحابى .

وأخو الخنساء : اسمه : صخر ، وهو الذى رثته بأحرّ المراثى .

ففيه من كنايات الألفاظ الظاهرة أيضاً جناسان مضمران فى صدر
البيت ، وهما جبل وجبل ، وصخر وصخر .

ويقول ابن حجة : وحسّن قولى : « فِهْدُوْنِي بِجُورِهِمْ » بالنسبة إلى
الجبل فى الركن الواحد^(١) .

وأصرح : بأن شيخ ابن حجة لو كان حياً وسمع بيته هذا لقال له :

لقد حكيت ولكن فأتاك الشنب

ويكفى أن تبرز الجناس المضمّر فى بيت ابن عبدون والصنى الحلى ،

لتعرف كيف قصّر ابن حجة عن سابقه .

(١) خزانة الأدب — ٥٢

فابن عبدون يقول : كانت كأس المدامة صهباء في الصباح ، ثم استحالت
خلا في المساء .

والحلى يقول : إن لحظ المعشوق في فتكه بالعاشق كالسيف أو كالسنان .
ويقول ابن حجة : كنت لم جبلا صخرا يامعنوى فجاروا على فهدوني .
فصخر هنا حشو إذ لا فائدة في وصف الجبل بأنه صخر ؛ لأنه لا يكون
غير ذلك ، ولا يزيده هذا الوصف قوة ، فالتركيب ثقیل لجمعه بين ثقيلين :
الجبل والصخر .

ومعنوى : فضلة موعلة في القبح ا

ماذا يريد بالمعنوى ؟ لعله يريد الجنس المعنوى ؛ فإن صح ذلك فما معنى
أن يناديه ليشكو إليه حاله ا

وتشبيه نفسه بالجبل الذى يظل أصدقاؤه ويحميهم تشبيه جيد ، وإن
كان مسبوqa به .

ولسكن غير مستساغ تصويره الأصدقاء أنهم قد جاروا على هذا الجبل
فهدوه ا

فالجبل لا يستطيع هذه غير الله — سبحانه — يوم يتأذن بخراب العالم ،
فتندك الأرض وتصير الجبال كالهن المنفوش ا

هذا إلى حوك البيت المهلهل ، ونسجه المرعبل ، وألفاظه الغليظة ، وتركيبه

المصطنع الواهن ا

ثم هو إلى ذلك مأخوذ من قول البهاء زهير يهجو بعض الناس :

وجاهل طال به عنائي لازمني وذاك من شقائي

أبغض للعين من الأقداء أثقل من شماتة الأعداء

فهو إذا رآته عين الرائي أبو معاذ أو أخو الخنساء

وبين البيتين في الصفاء والعذوبة والرشاقة والبرامة من التكلف ما بين

طبيعة الشاعرين ا

ومن غرائب الاتفاق : أتى وقفت بعد ذلك على كلمة لابن شهاب الدين
الحضرمي يعقب بها على بيت ابن حجة وتبجّحه به وهي : ومن سعد حظ
الشيخ علاء الدين الذي تمنى له الناظم البقاء لسمع بيت جناسه هذا ، أنه
مات قبل بروز هذه الصخور إلى عالم الظهور^(١) !
جناس الإشارة :

والقسم الثاني : جناس الإشارة ، ويسمى أيضا : تجنيس الكناية .
وهو : أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجنس بمعناها دون لفظها .
وسبب وروده : أن الشاعر يقصد المجانسة بين لفظين في بيته فلا يتفق
له الوزن على إبرازهما معا ، وإنما يتهيا له ذكر أحدهما فقط فيذكره ويضمّر
الثاني ، وبشير إلى هذا المضمّر بما يدل عليه من مرادف أو كناية أو صفة إلى
غير ذلك .

وعلى هذا فلا ورود لهذا النوع في الكلام المنشور ، إذ لا وزن يضطره
إلى الإتيان بذلك^(٢) .

فالفرق بين جناس الإضمار والإشارة : أن الأول يضمّر فيه ركنا
الجناس معا ، والآخر : يضمّر فيه أحدهما فقط ، ويقام مرادفه أو كنياته
أو صفته محله ، وأما ركنه الثاني فيكون مذكورا ظاهرا .

وقد سماه حازم : جناس الرسالة ، وبعضهم سماه : جناس الكناية .
وهو فرع من جناس الإضمار ، ولكنه أبعد من الاستغلاق والغموض ،
وأعذب في الذوق ، وأدنى إلى أساليب الفصاحة .

مثال الدلالة بالمرادف قول امرأة من بني عقيل — وقد أراد قومها
الرحيل عن بني ثهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الإبل — :
فما مكثنا دام الجمال عليكم ثهلان إلا أن تشدّ الأباعر

(١) إقامة الحجة على النقي بن حجة — ١٩

(٢) كلمات أبي البقاء — ١١٢

أرادت أن تجانس بين الجمال بالفتح والجمال بالكسر ، فلم يساعدها الوزن
ولا القافية كما ساعد المعرى في قوله :

لغيرى زكاة من جمال فإن تكن زكاة جمال فاذا كرى ابن سبيل
فعدلت إلى مرادف الجمال وهو الأباغر .

ومن أطف ماورد في ذلك قول دعبل في وصف امرأته سلى :
إني أحبك حباً لو تَضَمَّنَتْهُ سلى سميئك زال الشاهق الراسى
وفي بعض الروايات : ذلك الشاهق الراسى .

سلى : اسم امرأته ، وسميها : جبل لطيم شرقى المدينة اسمه : سلى أيضا .
ففي قوله : سميئك إشعار بأن الركن المضممر هو سلى ؛ فظهر جناس
الإشارة بين الركن الظاهر وهو سلى اسم الزوجة المحبوبة ، والركن المضممر
وهو سلى الجبل المشار إليه بسميئك .

وفيه يقول ابن رشيق : وأما قول دعبل في امرأته فقد جنس من غير
جناس ؛ لأن قوله : سميئك دال على مراده (١) .

وقول شرف الدين بن الحلوى - وهو من بدائع هذا النوع - :
وبدت نظائر ثغره في قرطه فقشابه متخالفين فأشكلا
فرأيت تحت البدر سالفة الطلى ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا
الطلى بالفتح : ولد الظبي ساعة يولد ، والطلا بالكسر : الخمر وأصله
الطلاء بالمد .

أراد الشاعر أن يجانس بين سالفة الطلى وسلافة الطلا فلم يساعده الوزن،
فعدل إلى المسكرة وهي مرادفة السلافة .

وأراد عز الدين الموصلى أن يمثل لهذا النوع نخانه التوفيق ، وذلك
حيث يقول :

وكافر يُضمَر الإحسان في عذَل كظلمة الليل عن ذا المعنوى عى

فالكافر : الساتر سمي بذلك لأنه يستر النعمة ويحجدها .
والكافر أيضا : الليل لأنه يستر الأشياء ويغطيها .
وقد أضمره الموصلي ورادفه بالظلمة ، فظهر منهما جناس الإشارة بين
كافر وكافر .

ولكن الذى يؤخذ عليه أنه عدل إلى المرادف هنا بدون عذر ؛
لأنه كان يستطيع أن يقول :

وكافر يضمير الإحسان فى عدل ككافر الليل عن ذا المعنوى عمى
فالنظم لم يستعص عليه كما يقول الحموى^(١) .

ومثال الدلالة بالكناية قول الشاعر — يمدح المهلب بن أبى صفرة .
ويذكر فعله بقطرى بن الفجاءة الخارجى وكان قطرى يكنى أبا نعامة — :
حدا بأبى أم الرئال فأجفلت نعامة عن عارض متلهب
الرئال : أفراخ النعامة جمع رأل بفتح الراء .
أراد أن يقول : حدا بأبى نعامة فأجفلت نعامة : أى روحه ؛ ليجانس
بينهما ؛ فلم يساعده الوزن فقال : بأبى أم الرئال .
ومثال الدلالة بالصفة قول الشماخ :

وما أروى وإن كرممت علينا بأذى من موقفة حرون
يطوف بها الرماة فتتقيهم بأوعال معطفة القرون
أروى : اسم معشوقة الشاعر ، والموقفة : أنثى الوعول ؛ وهى أروى
الوحش التى فى قوائمها خطوط بيض مع سواد كأنها الخلاخل ، وبها سميت
المرأة : أى إن فى قوائمها خطوطا تخالف لونها .
والحرون : التى تحرمن فى أعلى الجبل فلا تبرح .

أراد أن يقول : إن إروى المحبوبة ليست بأذى من إليه من الأروى
الوحشية ، ولكن لما لم يتسن له أن يأتى باسمها فى النظم أتى بصفتها وهى
الموقفة الحرون .

(١) خزائن الأدب — ٥٣

ثم وصف امتناعها في البيت الثاني : بأن الرماح تطوف بها فلا تنالها ،
لأنها في أعلى الجبل دونها أوعال فلا يصل إليها نبل الرماة ، لأنهم يرمون
تلك لأنها أقرب إليهم ؛ فكأنها تقي نفسها بهذه الأوعال .
ولمّا يؤكد بهذا بُعدها وأنها لا يقدر عليها^(١) .

وقد صرح بذلك المعري في قوله :

أرى النياق كأروى التّيق يعصمها ضرب بظل له السّرحان مبهوتا^(٢)
وقول شاعر يهجو مغنيا ثقيلا :

قال غنيت ثقيلا قلت قد غنيت نفسك

الثقيل : صوت غنائى .

والمراد : بغنيت نفسك : أنه ثقيل مثل الصوت الذى غناه .

وقد وقع التجانس بين الثقيل الظاهر الذى هو الصوت الغنائى ، والثقيل

المضمّر الذى هو صفة للبنى .

ومن الدلالة بالمقلوب قول بعضهم :

وتحت البراقع مقلوبها تدرب على ورد خد ندى

أراد أن يقول العقارب — يعنى عقارب الأصداغ وهى الذوائب

الملتوية عليها — فلم يتيسر له الوزن فدل على العقارب بمقلوب البراقع .

وقول أبى روح الهروى :

حقيق لك أن تطعم م عفصا وهو معكوس

وأن يلبس جنبا ك الذى مقلوبه طوس

مقلوب عفص : صفح ، ومقلوب طوس : سوط .

أراد أن يقول : صفعا وسوطا فلم يتنبأ له ، فعمد إلى مقلوبهما .

وقول آخر — وقد مثل به الزنجاني والبغدادى والرازى والطيبى .

وأبو البقاء — :

خُلقت لحية موسى باسمه وبهارون إذا ما قلبا

(١) أمالى القالى — ٢ — ٣٣ (٢) النبق بالكسر : أعلى موضع في الجبل ..

أشار باسمه إلى موسى : آله الخلق ، وهي تجانس موسى علم على رجل .
وقلب هارون هو النورة بالضم ، وهي مادة يخلق بها الشعر .
ومثله قول الخبز أرزى :

لقد عمّرت في وجه سحبان لحية وما عمّرت إلا وفي الوجه تخريب
فليت اسم موسى فوقها متمكن وإن غاب موسى فاسم هارون مقلوب
ومن جناس الإشارة قول بعض شعراء كندة :

قولوا لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل
ودودان بالضم : بنو أسد .

أراد أن يقول : قولوا لبنى أسد ما غركم بالأسد ، فلم يطاوعه الوزن
فعدل إلى ما يدل عليه وهو : دودان .

وقول آخر — أنشده الرماني — :

ضيعت مثل اسمها العام م ودارى مسترمة

وقول أبي تمام :

إذ لا صدوق ولا كنود اسمهما كالمعنين ولا نوار نوار
والمراد صدر البيت لا عجزه .

وقول دعبل — يهجو رجلا وعده إهداء نعل ثم أخلف — :

وعدت النعل ثم صدفت عنها كأنك تشتهي شتيا وقذا
فإن لم تهد لي نعلا فكسها إذا أعجمت بعد النون حرفا
وإعجام العين بعد النون تصير به النعل نعلا .

والنغل بإسكان الغين وككتف : ابن الزنا .

وبين النعل والنغل يقع التجانس .

قيمة الجناس المعنوي :

يقول الصفدي : إن الجناس المعنوي لا يتخلو من التكلف والتعسف ؛

إذ الصحيح أن الإنسان إذا أنصف ، علم أن هؤلاء الشعراء عند نظم هذه
الآيات ما لمحوا هذه المقاصد البديعية .

وإذا فتح هذا الباب أمكن أن يجعل غالب الشعر جناساً معنوياً ،
 والتأويلات بابها متسع ، والمجال فيها على الناظر فسيح^(١) .
 ورأى الصفدى ينصب على احتيال العلماء لهذا النوع ، وتعملهم في
 استخراجهم من كلام الشعراء ، لاعلى الشعر نفسه الممثل به .
 ويقول ابن شهاب الحضرى : ادعى الصفدى — فى كتابه جنان الجناس
 وكتابه الغيث الذى انسجم — بطلان هذا النوع من أصله .
 والحق : أنه ملحق بالأحاجى وهى عند المتقدمين غير محسوبة من
 المحسنات ؛ فلماذا لم يتعرضوا له ، وتعريفه السابق يصدق على شواهد الأحاجى ،
 وهى باب واسع ومجال فسيح ذكر الحريرى منها فى المقامات أحاجى كثيرة ،
 وتبعه الناس فى ذلك^(٢) .

ويقول الحموى : ومن غريب ما يحكى : أن الشيخ صلاح الدين الصفدى
 قال فى شرح لامية العجم وفى كتابه المسمى جنان الجناس — لما اعترض
 الجناس المعنوى — : هذا النوع باطل ، ولم يتيسر له نظم بيت واحد مع كثرة
 تهافته على الجناس وأنواعه .

ثم يقول : والذى يظهر لى أنه عجز عن نظمه ؛ فإنه قال فى غضون ذلك :
 وقد استخرجت من شعر أبى الطيب من الجناس المعنوى قوله :
 حاولن تفديتى وخفن مراقبا فوضعن أيديهن فوق ترائبنا
 وهذا دليل على أنه لم يفهمه^(٣) .

وهذا القول عجيب من الحموى ؛ فإن الصفدى — كما نعرف — متعصب
 جدا للجناس ، ولو أنه كان يؤمن بالجناس المعنوى لتعلق به كما تعلق بغيره .
 ولكن رفضه مع شغفه البالغ بجمع ألوان الجناس حتى يؤلف فى ذلك
 كتاباً مستقلاً يدل على إخلاصه فى رأيه .
 وكان أولى برفض الجناس المعنوى لا التعصب له الحموى نفسه ؛ لأن

(٢) إقامة الحجة — ١٠

(١) جنان الجناس — ٣٦

(٣) خزائن الأدب — ٥٢

رأيه قبيح في الجناس جملة وتفصيلاً ، وقد سجله في خزانة الأدب صراحة ،
لكن تعقبه للصفدى في كل ما يراه جعله يحمده هذا النوع من الجناس ، وينعى
على الصفدى رفضه له مع أنه من أشد أقسام الجناس تكلفاً وأبعدها عن
منزع الفطرة .

هذا فيما يتعلق بالنوع نفسه وعده ضرباً من الجناس .
وأما فيما يختص بالأمثلة التي ساقوها بياناً له ، فليس فيها ما يقوم دليلاً
على أن أصحابها كانوا يقصدون الجناس ، ولكن العلماء هم الذين قصدوا
ذلك واخضعوا الشعر قسراً لهذا التخريج الغريب ، ثم انساقوا وراء زعمهم
فتكلفوا نظم أبيات ركيكة على هذا النسق يؤيدون به رأيهم ويستنبطون منها
القاعدة ؛ مغالاة في زيادة أقسام الجناس .

فتلا قول بعض شعراء كندة المتقدم :

قولوا لدودان عبيد العصا ما غرکم بالأسد الباسل

ليس حتماً أن يكون الشاعر قصد أن يقول : قولوا لبني أسد ، بل المعقول
والأنسب أن يكون قصد هذا الاسم « دودان » ، بالذات ، لأن المقام مقام
ذم وتحقير وتهديد ، وكلمة دودان توحى بالنقص والهوان والانحطاط ، بخلاف
« بنو أسد » ، التي تشعر بالإباء والعزة والشجاعة وهو لا يريد أن يصفهم
بذلك في موقف يقتضى العكس ، ثم هي في الوقت نفسه دالة على القوم الذين
يريدهم دون أن يضطر إلى وصفهم بصفات الكرم ، فالشاعر قد أفلح في
بلوغ مقصده من أقرب طريق ، فنال من أعدائه بتحقيرهم والزراية عليهم
حين عدل عن الاسم الموحى بالجرأة والأقدام إلى ما يوحى بالضعف والسُّفَال ،
ولو أنه قال : بنو أسد ثم أردفه بعبيد العصا لكان متناقضاً مع نفسه بحسب
ظاهر الكلام على الأقل ، لأن أبناء الأسد لا يصح وصفهم بأنهم عبيد العصا ،
فعبيد العصا أبناء الكلاب لا أبناء الأساد !

ومثل هذا يقال مثلاً في قول الشاعر :

حلقت لحية موسى باسمه وبهارون إذا ما قلبا

فهذا النظم على هذه الشاكلة مقصود للشاعر لأن فيه طرافة وبداعة
تونق السمع ، وتحمل على التأمل والاستجلاء ، وفيه تلعب باللفظ ودوران
حول المعنى المراد ليتحقق معنى الإمتاع !
ويكفي أن تقول : خلقت لحية موسى بالموسى وبالنسورة ، لتصير إلى
كلام غث سخيّف يتنزّه عنه السوقة بله البلغاء مع أن المعنى واحد في التركيبين .
ومهما يكن فلا تخلو بعض الأمثلة المتقدمة من جدّة وقوة ورشاقة ،
فالنقد لا يتوجه إليها لأنها لا تخلو من معاني الشاعرية على كل حال وبخاصة
في شعر المطبوعين من الشعراء ، ولكن موضع المؤاخذة هو تعقب
البديعيين لها واقتناصهم منها الشواهد ؛ للتدليل على شيء غير مراد لأصحابها
ولا دار في أوهامهم !



افضل السائر

ألوان من الجنس

أورد علماء البديع ألواناً أخرى من الجنس زيادة على الأنواع الأخرى المتقدمة .

والناظر إليها يأنعم يرى أنها قليلة القيمة ، لأنها داخلة فيما سبق لإبراده من أصول الجنس وإنما عدت أقساماً بذاتها اسماء خاصة تعرف بها وإن كانت ليست بذات بال ، وهي كما يلي :

١ - الجنس المزدوج .

وهو أن يتوالى الجنسان مطلقاً من غير فصل بينهما إلا بحرف جر أو عطف وما أشبهه .

سمى بذلك لازدواج اللفظين بتواليهما ، ولما يظهر بين الكلمتين من الاستواء ؛ لأن الازدواج هو الاستواء .

ويسمى المكرر والمردد أيضاً ؛ لتكرر أحدهما بالآخر ، وترداده به .
وقيده الوطواط والحلي^(١) : بأن يكون في نهاية الاسجاع أو أواخر الآيات ، مع جواز أن تقع في صدر اللفظ الأول منهما زيادة .

مثاله من الجنس التام : تقوم الساعة في ساعة .

ومن الناقص : جدى جهدى .

ومن المحرف قول شاعر عصرى :

يخيل لي أن الوفود تفرقت ولم يندمل من طيب الكلام السكاسم

(١) حقائق الشعر — ٩٨ — حسن التوسل — ٤٥

- ومن اللاحق قوله — تعالى — : « وجئتكم من سبأ بنباً يقيناً » .
ومن الحديث : « المؤمنون همّنون لينّون » .
ومن المقلوب : سيفه للأعداء فتح وحلف .
٢ — الجناس المعتل .
وهو ما تقابل في لفظيه حرفاً مدلولين متغايران أصليان أو زائدان
مثل : نار ونور ، وشمال وشمول .
٣ — الجناس المقصور .
مثل سنا وسناء وجنى وجناح .
٤ — التجنيس التنوين .
وهو إما مقصور نحو شجى وشجن ، أو منقوص نحو مُطاعن ومُطاع
في قافية نونية .
وقد ذكر المعتل والمقصور والتنوين حازم^(١) .
٥ — جناس الترجيع .
وهو أن ترجع الكلمة بذاتها غير أنها تزيد حرفاً واحداً أو حرفين
مثل : « إن ربهم بهم يومئذ لخبير » .
٦ — التجنيس المضاف .
وسماه الرماني المزاوج كقول البحتری :
أيا قر التمام أعنت ظلماً على تطاول الليل التمام^(٢)
ومعنى التمام واحد في الأمرين ولو انفرد لم يعد تجنيساً ، ولكن أحدهما
صار موصولاً بالقمر والآخر بالليل فكانا كالمختلفين .
هذا قول القاضي الجرجاني^(٣) .
وقد تعقبه ابن رشيق : بأنه كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر
الليل وأضافه فقال : ليل التمام كما قال : قر التمام^(٤) .

(١) عروس الأفراح — ٤ — ٤٣٢

(٢) قمر التمام بالفتح والكسر : البدر ، وليل التمام بالكسر : أطول ليالي الشتاء .

(٣) الوساطة — ٤٢ (٤) العمدة — ٢٢٧

وهو اعتراض وجيه .

وقد يكون من هذا الجنس عند القاضي الجرجاني ما تجانس به المفرد بالمضاف ، وقد تكون الإضافة اسما ظاهرا أو مكنيا وقد تكون نسباً .
ويذكر الجرجاني أن من أملح ما سمعه فيه قول أبي الفتح بن العميد :
فإن كان مسخوطا فقل شعر كاتب وإن كان مرضيا فقل شعر كاتب
وقد مر ذكره في الترديد .

٧ - الجنس المتوازن .

وهو: أن تتفق الكلمتان في الوزن وتختلفان فيما عداه^(١) .

٨ - الجنس المشوش .

واشتقاقه من قولهم : تشوش الأمر ؛ إذا مرج واختلط بعضه ببعض .
وهو : ما تجاذبه طرفان من الصناعة ليس إطلاق أحدهما عليه أولى به من الآخر .

فلما كان كذلك بقي مذبذبا بين الأمرين ينجذب إلى كل واحد منهما
بشبه^(٢) ، فلا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه^(٣) .

مثاله قولهم : فلان مليح البلاغة ، صحيح البراعة .

فلو اتحد عينا الكلمة وهما الرأ واللام لكان جناس تصحييف .

ولو اتحد لهما وهما العين والغين لكان مضارعا إذ شرطه الاختلاف
بمحرف^(٤) .

ومن ذلك قول أبي فراس :

لطيرتي بالصداع نالت فوق منال الصداع منى

وجدت فيه اتفاق سوء صدعنى مثل صدعنى

فلولا تشديد عنى لكان جناسا مركبا ، ولو كانت صدعنى كلمة واحدة

لكان جناسا مختلفا .

(١) شرح الفوائد الفياثية — ٣٥٢

(٢) الوساطة — ٢٩ — الطراز — ٢ — ٣٧١

(٣) حسن التوسل — ٤٦ (٤) جنان الجنس — ٣٦

ومن المشوش ما اجتمع فيه التصحيف والتحريف كقول الحريري :
زينت زينب بقدر يقدر .

وقول أبي تمام :

في حده الحد بين الجدد واللعب

ومنه حديث أبي داود : « سوء الخلق شؤم » .

فلو اتحد أول الكلمة كان مطرفا ، ولو حذفت الميم كان مصحفا .

وهذا النوع زاده الطيبي في كتابه التبيان^(١) .



(١) شرح المرشدي — ٢ — ١٤٦

الفصل السابع عشر

أشياء اختلفت فيها الأنظار

كما اختلف البلغاء في تقسيم الجناس وتسمية أقسامه ، نراهم قد اختلفوا في أشياء لها قيمتها ، نوردها فيما يلي استكمالاً للفائدة .

١ - أمثلة تتعلق بالاشتقاق وشبهه ، المطلق ، كقوله - تعالى -
« أسلمت مع سليمان ، « فأقم وجهك للدين القيم ، « قال إني لعملكم من
القالين ، « جنى الجنة دان ، .

وكالحديث الشريف : « الظلم ظلمات يوم القيامة » .
فهذه الأمثلة مثلها ببعضهم للاشتقاق ، ومثلها ببعضهم لشبهه الاشتقاق .
والخطب سهل إذا عرفنا أن ابن رشيق يدخل الاشتقاق وشبهه «المطلق»
تحت اسم الجناس المحقق ، وقد عرفه بأنه : ما اتفقت فيه الحروف دون
الوزن رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع ^(١) .
وقد تقدم ذلك .

هذا إلى أن العرب كانوا لا يتقيدون بهذا الاشتقاق الصرفي الذي نعرفه
وهو : ما يتفق في أصل المعنى .

فكانوا يشتقون من اسم الشيء الذي يعاينونه ويسمعونه ؛ يدل على
ذلك قول بشار بن المضر :

تغنى الطائران بين سلسي	على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بان سلسي	وفي الغرب اغتراب غير دان

(١) المدة - ١ - ٢٢٢

فاشتق — كما ترى — الاغتراب من الغرب ، والبيئونة من البان^(١) .
وقد سبق لنا أمثلة من ذلك .

فعلى هذا المعنى يمكن أن نعد القسمين اشتقاقاً .

٢ — المشتقات مع الأفعال وغيرها كقوله — تعالى — : « أُرِفَتِ
الْأَزْفَةُ » ، إذا وقعت الواقعة ، ومثله قامت القيامة وقرعت القارعة .

فبعضهم يعده اشتقاقاً محضاً لا جناساً ، وبعضهم يعده جناساً .

والرأى الأمثل : عده جناساً على اعتبار أن الأزفة وما شاكلها قد
صارَت أعلاماً^(٢) .

٣ — اتفاق معنى اللفظين واختلاف مفهومهما بالقرائن كقول أبي تمام :

أظن الدمع في خدى سيبقى رسوماً من بكائي في الرسوم
قال فيه ابن الأثير : وربما جهل بعض الناس فأدخل في التجنيس ما ليس
بمنه ، نظراً إلى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى .

وهذا ليس من التجنيس في شيء ؛ إذ حد التجنيس هو : اتفاق اللفظ
بـ اختلاف المعنى ، وهذا البيت المشار إليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معاً ،
وهو مما ينبغي أن ينبه عليه ليعرف^(٣) .

وقد رد عليه الصفدي رداً قاسياً فقال : هو نفي أن يكون هذا البيت
من الجناس جملة وأنا أقتله بسيفه ، وأقول : إن هذا البيت من أعلى مراتب
الجناس لأنه جناس تام وهو : الذي تتفق ألفاظه وتختلف معانيه ؛ لأن
السامع يفهم من قوله : رسوماً في الأول غير ما يفهمه من قوله في الرسوم
ثانياً ، ويجد في نفسه تفرقة بين اللفظين في المعنى ، إذ المعنى الذي يفهم من
البيت : أن الشاعر قال : أظن الدمع سيُبقى في خدى أخذوداً أو حفائر يادمان
جريانه من بكائي في آثار منازل الأحياء .

(١) الحيوان — ٣ — ١٣٦

(٢) الصناعتين — ٣١٠ — جنان الجناس — ٣٣

(٣) المثل السائر — ١ — ١٠١

فالسامع يفهم من كل لفظة مع قرينتها ما لا يفهمه من الثانية مع قرينتها .
فإن ادعى أن اللفظ الأول هو الثاني بعينه ، فهذا البيت يكون ملحقا
بأصوات الحيوانات التي هي غير ناطقة ، وهو من كلام هذا الرجل الفصيح
المعدود من فحول الشعراء (١) .

٤ — حقيقة اللفظ مع مجازه كقول أبي تمام :
كم أحرزت قضب الهندي مصلته تهتز من قضب تهتز في كشب
بيض إذا انتضيت من حجبها رجعت أحق بالبيض أبدانا من الحجب
وقد عده ابن الأثير من الجناس .

فالقضب : السيوف ، والقضب : القدود على حكم الاستعارة ، وكذلك
البيض : السيوف ، والبيض : النساء (٢) .

ولم ير ابن الحديد ذلك من الجناس ورد على ابن الأثير : بأن لفظي
قضب في البيت الأول ، ولفظي البيض في البيت الثاني خارجة عن باب
التجنيس بالكلية ؛ لأن القضب جمع قضيب ، وهو : العود الرقيق من الشجرة .
هذا هو حقيقة ذلك اللفظ في أصل وضعه ، وإنما سمي القد والسيوف
به مجازاً .

ولا نظن أن تسمية السيف قضيباً من حيث كان قاطعاً من القضب وهو
المنقطع ، فيكون فعلاً بمعنى فاعل كقدير وعليم ؛ لأنهم لو كانوا أرادوا
ذلك سمو السيف العظيم العرض قضيباً ، وما رأيناهم سموه بذلك وإنما
سموا به السيف اللطيف .

ومثل ذلك البيض ، فإنها ليست من أسماء النساء ، والبيضاء وامرأة ليست
لفظتين مترادفتين كالومس والهلوك ، ولا البيض من أسماء السيوف ولا
سمعنا أن الأبيض اسم للسيف كما أن الليث اسم الأسد ، وإنما البيض عبارة
عن أشياء ذوات بياض فقط ، ثم استعيرت هذه اللفظة للسيف والنساء .

(١) جنان الجناس — ١٧

(٢) المثل السائر — ١٠٠

صفة لا اسما ، وهذا أمر خارج عن التجنيس بالمرّة^(١) .
والفرق بين الرأيين : أن ابن الأثير يرى أن القضب والبيض بمعنى
السيوف والقدود ، والسيوف والنساء ، وقتاً مرة حقيقة ومرة مجازاً فاختلقتا
مفهوماً فصح بينهما التجانس .
وأن ابن أبي الحديد يرى أنهما استعملتا مجازاً في كل ذلك ، فلا يقع
بينهما تجانس لعدم اختلاف المفهوم .
وقد انتصر الصفدي لابن الأثير ، فعد البيت من أعلى مراتب الجناس ؛
لأن السامع يفهم من كل لفظة مع قرينتها ما لا يفهمه من الأخرى .
وقال في دعوى ابن أبي الحديد : أن قضيباً في السيف والقد مجاز ، :
لا تصح منه ، بدليل أنه يجوز أن تقول : سيف قضيب ولا تقول : قدّ
قضيب بل كالقضيب بإثبات أداة التشبيه دون الحذف بخلاف الأول ؛ فليس
صحيحاً أن قضيباً لفظة موضوعة للصفة يستوى استعمالها في كل ما اتصف
بها ، فبينهما تغاير لهذا الفارق^(٢) .

ومثله أيضاً قول أبي تمام :

إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدّعوها

صدور العوالى فى صدور الكتاب

وقد عده ابن الأثير من التجنيس ؛ لأن لفظ الصدور في هذا البيت
واحد والمعنى مختلف^(٣) .

ورد عليه ابن أبي الحديد : بأنه من القرار الأول الذى قلنا : إنه ليس
بتجنيس ؛ لأن الصدر اسم لهذا العضو المخصوص ، لكنّه لما كان هو مقدم
الإنسان نقل إلى صدور العوالى وهى رموسها وما يتقدم منها ، وإلى صدور
الكتاب وهى ما يتقدم منها أيضاً ، فالمعنى واحد في الموضعين ، وإذا اتحد
المعنى خرج عن باب التجنيس^(٤) .

(٢) جنان الجناس — ١٧

(٤) الفك الدائر — ٩٢

(١) للفك الدائر — ٩٢

(٣) المثل السائر — ١٠٠

٥ — الموصوفات المختلفة المتحدة الصفات ؛ كقولنا في الليل : أسود ،
وفي الحية : أسود ، وفي التمر : أسود .

ومثل هذا لا يعد تجنيسا عند ابن أبي الحديد ؛ لأن هذه الصفات اختلفت
موصوفاتها لا غير ، وأما هي فإنها لم تختلف ولم يقل أحد بأن هذا تجنيس (١) .
وقد رد الصفدي : بأن هذا شناع منه وتعصب ؛ لأنه إذا سُمع متكلم
يقول : أسود وأسود وأسود فلا يقال في هذا : جناس .

ولكن إذا استعملت كل لفظة مع قرينتها قيل : إنه جناس كما إذا قلت :
لدغني الأسود ، وأنا آكل الأسود ، وقد أقبل الأسود بنجومه ، فما يخالف
في أن هذا جناس إلا مكابر متعنت (٢) .

٦ — المشتقات مع العلم المنقول عنها أو الاسم الذي يتفق معها في
الاشتقاق ، كقول أبي نواس في الفضل بن الربيع :

عباس عباس إذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع
فذلك يعد من الجناس عند ابن الأثير وابن رشيق (٣) .
بل عده بعضهم أفضل تجنيس وقع لمحدث (٤) .

وقول أبي العباس بن قاسم الأندلسي : إن نظمت فصريع : صريع ،
والبديع : غير بديع ، وإن ثرت فالصاحب : صاحب ، وقابوس : ذوبوس .
وقول جرير :

وما زال معقولا عقال عن الندى وما زال محبوسا عن المجد حابس
فإنه معدود من الجناس عند الجمهور .

ويرى ابن الأثير غير ذلك فيقول : وربما ظن أن هذا البيت وما يجري
مجراه تجنيس ، حيث قيل فيه : معقول وعقال ، ومحبوس وحابس وليس
الامر كذلك ، وهذا الموضع يقع فيه الاشتباه كثيرا على من لم يتقن معرفته ،
وقد تقدم أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وعقال

(١) الفلك السائر — ٩٢

(٢) جنان الجناس — ١٨

(٣) المل السائر — ١٠٠ — العدة — ١ — ٢٢٢ (٤) حسن التوسل — ٤٤

ومعقول وحابس ومحبوس ، اللفظ فيها واحد والمعنى أيضا واحد ، فهذا مشتق من هذا : أى قد شق منه (١) .

٧ — العلم المنقول عن المصدر مع ما نقل عنه : كقول المؤلف :

يا سعد كن فال سعد لمصر والسودان

فالأكثر على أنه تجنيس وعليه جاء بيت الحموى في بديعته :

يا سعد ما تم لي سعد يطرّني بقربهم وقليل الحظ لم يلم
وقد اعترض عليه ابن شهاب الدين الحضرى فقال : أما الجناس التام
في بيت الناظم ، فما إخاله إلا ناقصا ؛ لأن عليه سعد المخاطب في البيت الذى
هو أحد ركنى الجناس منقولة عن الركن الآخر ، فلا جناس حينئذ لعدم
وجود الاشتراك الوصفى في لفظه (٢) .

٨ — الاسمان أحدهما علم لرجل والثاني لقبيلة كقول الأعشى :

إن تسد الخوض فلم تعدم وعامر ساد بنى عامر
عده القاضى الجرجانى من الجناس وقال فيه : وما أضيفه إلى هذا الباب
وخالفني فيه بعض أهل الأدب قول الأعشى : « البيت المتقدم » .
فأقول : إنه قد جانس بعامر وعامر ؛ لأن الأول : اسم رجل والآخر :
اسم قبيلة .

وأراه يخالف قول الآخر :

قتلنا به خير الضييعات كلها ضبيعة قيس لا ضبيعة أضيجا

لأن كليهما قبيلتان فكأنما جمع بين رجلين متفقى الاسم .
وابن رشيق على غير رأى الجرجانى ؛ لأن الشاعر قال : بنى عامر فأضاف
بنى إليه ، ولو قال : وعامر ساد عامر يعنى القبيلة لكان تجنيسا غير مدفوع .
واعترض ابن رشيق على منع التجنيس لهذه الإضافة لامعنى له ؛ لأن
ذلك لا يمنع أن عامر اسم للقبيلة وقد اجتمع مع اسم رجل .

(٢) إقامة الحجة — ٧

(١) المائل السائر — ٣٠٣

ومثله قول الشاعر :

خط الوزير ابن مُقله^١ بستان قلب ومقله^٢

ويتصل به قول بعضهم :

غدوا بهلال من هلال بن عامر مرام هلال الأفق دون مرامه

٩ - العلم لشخصين مختلفين كوسى عليا للكليم - عليه السلام - وموسى

عليا لرجل آخر كقول أبي تمام - يمدح أبا المغيث موسى - :

فكأنهم بالعجل ضلوا حقبة وكان موسى إذ أتاهم موسى

يشير إلى عبادة قوم موسى للعجل حين غاب عنهم لمخاطبة ربه ، فلما

رجع إليهم ردهم عن ضلالتهم .

ففي البيت جناس بين كلمتي موسى ؛ لأن الأولى للممدوح ، والثانية لنبي

بنى إسرائيل^(١) .

ومثله قول المتنبي لسيف الدولة - حين هزم عساكر الإخشيد بصفين - :

ياسيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائف والأنام سمى

أو ماترى صفين كيف أتيتها فانجذب عنها العسكر الغربي

فكأنه جيش ابن حرب رعمته حتى كأنك يا على على

يعنى بعلى الأول : سيف الدولة وبالأخر : الإمام عليا .

١٠ - الأسماء المشتقة بعضها مع بعض كقول محمد بن وهيب الخيري :

قسمت صروف الدهر بأسا وناثلا فمالك موتور وسيفك واطر

عده ابن الأثير من القسم المشبه بالتجنيس^(٢) .

وقد رد عليه ابن أبي الحديد : بأن إدخال هذا البيت في الجناس من

طريف الأشياء ؛ فإن المعنى في الكلمتين واحد وإنما اختلفت صيغة الفاعل

والمفعول كالضارب والمضروب ، ولو كان هذا تجنيسا لوجب أن يكون

قول القائل : ضرب زيد بالعصا ضربة فتعلق الضارب بالمضروب ، قد

تضمن التجنيس في أربعة مواضع : الفعل والمصدر واسم الفاعل والمفعول .

(٢) المثل السائر - ١٠٣

(١) هبة الألبام - ١٦٦

وهذا مما لم يذهب إليه ذاهب^(١) .

وقد انتصر الصفدى لابن الأثير ناظراً إلى قوله من زاوية أخرى فقال : ليس الأمر كما ظنه ابن أبي الحديد : من أن ابن الأثير جعل اسم الفاعل واسم المفعول جناساً ، إذ لا يقول هذا من هو دون الرجل في فن البديع ، إذ هو أمر ظاهر لمن تعاطى هذا الفن في المبادئ .

ولكن ابن الأثير فهم أن موتوراً هو الذى قُتِلَ له قَتيل ولم يدرك به وهو الصحيح ، وتوهم أن واتراً من قولك : قوس موترة من الوتر ؛ بمعنى أن سيفك لا يبرح مهيباً للضرب ، كما أن القوس لا يركب فيها الوتر إلا لهم ، مع أن هذا بعيد لا يصح في الاستعارة ، خارج عن القياس ؛ لأنه لا يقال : قوس واترة بمعنى موترة من باب قولك : ماء دافق بمعنى مدفوق . ثم يقول : وعلى كل حال فقد وهم ابن الأثير وأفرط ابن أبي الحديد في الشناع عليه^(٢) .

ولا ندري من أين أتى للصفدى أن ابن الأثير يريد بواتر معنى موتر : أى مهيباً للضرب !

فإن ابن الأثير لم يشرح البيت ولم يذكر رأيه في معناه ، ولا يمكن أن يفهم من معنى واتر غير ما تفيد اللغة ، وهو الذى قُتِلَ من غيره ولم يدرك منه الثأر .

وخطأ ابن الأثير في عد البيت من الجناس - إن صح أنه خطأ - أيسر من خطئه في هذا الفهم الغريب لكلمة واتر ، وهو خطأ لم يصدر منه ولكن تبرع له الصفدى به ، وليس له سند من اللغة ولا من العقل !

(١) الفلك الدائر — ٩٢

(٢) جنان الجناس — ١٨

الفصل الثامن عشر

الجناس والتورية

قدمنا في الفصل الثالث : أن ابن حجة المحوى كان مفرطا في التعصب على الجناس بعامة ، وعلى التام منه بخاصة لا يكاد يرى له مزية ، وقد حكم عليه بأنه من الأنواع المتوسطة في البديع ، وحمل حمل منكرة شعواء على صلاح الدين الصفدى لاحتفاله به وتأليفه فيه كتاب « جنان الجناس » .

غير أنه كان يرى مع ذلك : أنه يمكن أن نخفف ثقل الجناس ونرفع من ضعفه ، ونخلع عليه أشعة من الجمال إذا جعلنا منه تورية ، فذسمعه يقول في ذلك^(١) : إن هنا بحثا لطيفا وهو أنه قد تقرر أن ركني الجناس يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى ، فإذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان في ركن واحد ، وخلصت من عقادة الجناس ، وحركت الأذواق ، وأبهجت خواطر السامع بما أتخفته من بديع تركيبها وتأهيله بغريبها .

ثم أراد أن يرينا رأى العين كيف يمكن أن نحيل الجناس تورية ، ومبلغ ما بين اللونين من الحسن والجمال ، فساق مثالين على ذلك ليتضح في الأذهان الصحيحة — كما قال — : أن النهار لم يحتاج إلى إقامة دليل .

وأول هذين المثالين جناس تام مركب وهو :

أعن العقيق سألت برقاً أومضاً أقام حاد بالركائب أو مضى

والمثال الآخر تورية — وقد حصر فيه ركني الجناس في ركن واحد — وهو :

وإذا تبسم ضاحكا لم ألتفت إن عاد برقاً في الدياجي أومضاً

(١) خزائن الأدب — ٢٩

والمعنى القريب في التورية : أومض من الإيماض ، والمعنى البعيد : مضى من المضى ، وأو : حرف عطف .

ففي أومض جناس تام إن أبرزت كلا من الركنين في موضعه .
ثم يعقب على ذلك بقوله : وهنا يحسن أن يتمثل بقول القائل :
ومن يقل للسك أين الشذا كذَّبه في الحال من شَمًا
يعنى بذلك : أن جعل الجناس تورية لا يخفى حسنه على من له بصيرة وذوق !
وأقل تأمل في المثالين اللذين أوردهما يجعلنا نحكم عليهما جميعا بقبح
الصياغة وتفاهة المعنى والمغالاة في التكلف والتلاعب بالألفاظ ؛ فلا خير
في التورية ولا مزية للجناس فيهما ، فهما سواء في السخف والإسفاف ،
وإن بدا لي أن الجناس في البيت الأول الذي لم يعجبه أقل ثقلا ، وأدنى إلى
القبول من التورية في البيت الثاني على فرط إعجابه به .

ويكفي في قبح البيت ورداءة نسجه أننا لكي نحقق ركني التورية نجدنا
مضطرين أن نرسم « مضى » بالياء مرة وبالألف أخرى ، لنجمع بين معنى
المضى والإيماض ، وهو تلفيق مضحك غريب .

ويعمى الحموى في تقرير رأيه فيقول في موضع آخر : إن الفرق الناجية
من التعسف والتكلف في النظم لم ترض بالجناس إذا أمكنت التورية^(١) .
ويقول في موضع ثالث^(٢) : إن جميع من نهلت من شراهم الصافي لم
يرضوا بالجناس التام إذا أمكن استدراك التورية من ركنيه لعلمهم بعلو
رتبتها عنه ، والتفات الأذواق الصحيحة السليمة إلى حسن موقعها .

ثم يوغل في المبالغة فيقول : وإذا راجعت النظر في كلامهم وجدت غالب
ما نظموا من التورية جناسا تاما .

وقد ساق على ذلك أمثلة اختلط فيها الحسن بالقبيح ، منها قول صدر الدين
ابن الوكيل من « دوييت » :

كم قال معاطفي تحكى الأسَل والبيض سرقن ما حوته المقل

(٢) المصدر نفسه - ٤١

(١) خزائن الأدب - ٣٤

والآن أوامري عليهم حكمت البيض تُحد والقنا تُعتقل
ففي تحد وتعتقل جناسان تامان إذا أبطلت الاشتراك ، وأبرزت كلا من
الركتين في موضعه على طريقة من له رغبة في الجناس .
يقصد تحد : يقام عليها حد السرقة ، أو تحد : ترهف وترقق .
وتعتقل : من الاعتقال وهو الحبس ، أو الاعتقال ، وهو جعل الرح
بين الركاب والساق .

وقول ابن نباتة — وهو عنده أعدل شاهد في هذا الباب — :
دمعي عليك مجانس قلبي فانظر على الحالين في العصب
فذكر المجانسة هنا أحد لازمي التورية ، والدمع هو اللازم الآخر .
ويزعم الحموي : أن ابن نباتة نسبها في بيته أنه لم يرض بالجناس ،
ويؤيد ذلك قوله : على الحالين .

ولا خلاف أن الحموي متأثر في أحكامه بحبه للتورية ، وإذا صح ما قاله :
من أن الشعراء يأتون بالجناس التام على هامش التورية فيما ينظمون ، فإن
ذلك ينسحب على الشعراء المتأخرين الناشئين في العهود المتأخرة في الشعر ،
أما المتقدمون منهم جاهليين وإسلاميين ومولدين ، فما كانوا يعرفون هذه
الاحاجي والمعميات .

ومن الغريب أن السيوطي متأثر بهذا الرأي نأثر أكبرا ، وتابع أصحابه
عليه بلا تدبر ولا تمحيص ، فإذا هو يقول : فإن جعل الجناس تورية
وانحصر المعنيان في ركن واحد فقد علت رتبته وارتفعت ، وصارت تسمى
بالتورية التامة كقول ابن مكناس :

أقول لحبي قم وحبس يامعذب كيسة خوذ حرك السكر راسها
ولا تسه عن شيء إذا ما حكيتها فقام كغصن البان لنا وماسها
ماسها من الميسان فاليم أصلية .
أو ماسها من السهو فاليم زائدة .

ونعود فنقول : إن هذا من المغالاة المقيتة والتصنيع الفاحش ، فلامعنى أن نحول الجنس تورية ليحسن الكلام لأن ذلك عمل مقصود ، ومتى وصل الأمر إلى هذا الحد فلا فائدة أن نبقى على الجنس أو نصيره تورية ، فقد دخلنا في نطاق التكلف وفسد الكلام من أساسه ، ونحن نغنى بالجناس : النوع المطبوع منه ومثله لا يحتاج إلى هذا الترفيع ؛ لأن له حلاوة من ذاته كحلاوة التورية المطبوعة ، وإن اختلف لون الجمال فيهما فكما تختلف الأزهار شكلا وأريحا ؛ لذلك لا نستطيع أن نسيغ قول الحموى والسيوطي : « إن أمكن جعل الجنس تورية ، لأن معنى هذا ألا يوجد جناس أبدا .

ثم معناه أن نفكر ونقدر لنبنى الكلام على هندسة معقدة متعاطلة ، ونجرى فيه عمليات جراحية طلبا للتجميل المصنوع وجلبا للتحسين العرضي ، وفي ذلك ما فيه من صرف الرغبة وتوجيه المهمة إلى الحلل اللفظية وحدها وحبس العناية عليها دون المعنى ، وهو سر البراعة وجوهر الفصاحة ولباب البلاغة ، وكان خيرا لأصحاب هذا الرأي أن يقولوا : إنه لا حاجة بنا إلى الجنس التام إطلاقا ؛ اكتفاء بالتورية التي تغنى عنه وتقوم مقامه .

ولو أنهم قالوا بذلك لكان لنا أن نقول : إن البلاغة فقدت حلية لفظية لها في كثير من الأحيان وقع لطيف تطرب له الأذن ويهتز له القلب !

وفيما مر من كلام عبد القاهر — وهو من المتعصبين للبعث — وكلام غيره من أئمة البلاغة والبيان في الجنس الفطري المطبوع ؛ أبلغ رد على ماذهب إليه الحموى وأتباعه في هذا اللون البديعي .



Library of the Ministry of Education
Cairo, Egypt

الفصل الثاني عشر

الجناس والمطابقة

المطابقة عند البلغاء هي : الجمع بين الشيء وضده في الكلام مثل البرد والحر والليل والنهار إلى غير ذلك .

وقد خالف قدامة إجماع العلماء في ذلك فذهب إلى أن المطابقة^(١) : اشتراك المعنيين في لفظة واحدة بعينها ، ومثل لها بأمثال منها قول الأفوه الأودي :

وأقطع الهَوَجْل مستأنسا بهوجل عيرانة عنتريس^(٢)
فلفظة الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين ؛ لأن الأولى : المفازة البعيدة لاعلَمَ بها ، والثانية الناقة بها هوج من سرعتها .
وسمى قدامة المطابقة : التكافؤ .

وأما المجانس عنده فهو : أن تكون المعاني مشتركة في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق ، ومثل له كذلك بأمثال منها قول الكميت :
فقل لجذام قد جذمتم وسيلة إلينا كخثار الرِّداف على الرِّحل^(٣)
وقول النعمان بن بشير الأنصاري لمعاوية :

ألم تبسدركم يوم بدر سيوفنا وليك عما ناب قومك نائم
وهذا النوع عنده — وهو ما يشمل الاشتقاق وشبهه — أفضل
تجنيس^(٤) .

(١) نقد الشعر — ٩٧

(٢) العيرانة : الناجية في نشاط ، والعنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة .

(٣) الرداف ككتاب : الموضع يركبه الرديف .

(٤) العمدة — ١ — ٢٢٢

ولم يسلّم واحد من البلغاء لقدامة ماذهب إليه فأتاه الرد من كل ناحية :
فيقول العسكري — حينما عرض للمطابقة وذكر تعريفها كما أوردناه — :
وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب ، فقال : المطابقة : إيراد لفظتين متشابهتين
في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى ^(١) .

ويقول الأمدى : وهذا باب — أعنى المطابق — لقبه أبو الفرج قدامة
ابن جعفر في كتابه المؤلف في نقد الشعر : المتكافئ .

وسمى ضربا من المجانس : المطابق ، وهو : أن تأتي الكلمة مثل الكلمة
سواء في تأليفها واتفاق حروفها ويكون معناها مخالفا ؛ مثل قول الأفوه
الأودى :

وأقطع الهوجل مستأنسا . . .

ثم يقول : وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبي الفرج ؛ فإنه وإن كان
هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الألفاظ غير محظورة ، فإنه
لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز
وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها ، إذ قد سبقوه إلى اللقب
وكفوه المثنونة ^(٢) .

وقال أبو الفرج على بن الحسين الإصفهاني : قلت لعلي بن سليمان
الأخفش : أجد قوما يخالفون في الطباق ، فطائفة تزعم — وهي الأكثر —
أنه : ذكر الشيء وضده .

وطائفة تخالف في ذلك وتقول : هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد .

فقال الأخفش : من هو الذي يقول هذا ؟

فقلت : قدامة .

فقال : يا بني ، هذا هو التجنيس ، ومن زعم أنه طباق فقد ادعى خلافا
على الخليل والأصمعي .

فقلت : أو كانا يعرفان ذلك ؟

(٢) الموازنة — ٢٦٠

(١) الصناعتين - ٢٩٦

فقال : سبحان الله ! من أعلم منهما بطيئته وخيئته^(١) .

ويقول ابن رشيقي : المطابقة عند جميع الناس : جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر ، إلاقدامة ومن اتبعه فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقا ، وسمى قدامة هذا النوع الذي هو المطابقة عندنا : التكافؤ ، وليس بطباق عنده إلا ما قدمت ذكره ، ولم يسم التكافؤ أحد غيره وغير النّحاس من جميع من علمته^(٢) .

ويقول ابن رشيقي في موضع آخر — معقبا على قول الأفوه الأودى

المتقدم — :

وأقطع الهوجل . . .

أنشده قدامة على أنه طباق ، وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب ، وقد جاء رد الأخفش عليه في ذلك^(٣) .

ويقول العلوي اتفق الناس على معنى المطابقة إلاقدامة الكاتب فإنه قال : لقب المطابقة يليق بالتجنيس ؛ لأنها مأخوذة من مطابقة الفرس والبعير لوضع رجله مكان يده في السير^(٤) .

وزبدة القول : أن الجنس التام عند الجمهور هو الطباق عند قدامة .
وأما الجنس عنده فهو : ما يشمل الاشتقاق وشبهه كما تقدم .
وهناك أشياء اختلط فيها التجنيس بالمطابقة عقد لها ابن رشيقي بابا خاصا^(٥) .

من ذلك : أن يقع في الكلام شيء يستعمل للضدين — يعني الاشتراك اللفظي — كقولهم : جلل : بمعنى صغير ، وجلل : بمعنى عظيم ، والجون : بمعنى الأسود والأبيض .

فإن باطنه مطابقة وإن كان ظاهره تجنيسا .

(١) سر الفصاحة — ١٨٩ — خزنة الأدب الحموي — ٨٥

(٢) العمدة — ٢ — ٢ (٣) المصدر السابق — ١ — ٢٢١

(٤) الطراز — ٢ — ٣٧٧ (٥) المصدر المتقدم — ٢ — ١٢

ومن ذلك : طباق النفي ، وهو : الجمع بين المشتقين من مصدر واحد
أحدهما مثبت والآخر منفي .

أو ما كان في حكمه كالامر والنهي نحو قوله — تعالى — : فلا تخشوا
الناس واخشوني . .

فإن معنى الفعلين واحد لأنهما مشتقان من مصدر واحد وهو الخشية ،
ولنما تنافيا إيجابا وسلبا .

ومثله قوله — تعالى — : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .
والحديث : « كونوا للعلم وعاء ، ولا تكونوا له رواة » .

وقول السموءل :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
وقول البحتري :

تَقْيِضْ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِ إِلَى الشُّوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ
وقول المتنبي :

وَلَقَدْ عُسِّرَ فَتًى وَمَا عَرَفْتُ حَقِيقَةَ وَلَقَدْ جَهِلْتُ وَمَا جَهِلْتُ خَوَلَا
وقول بعضهم :

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرَمَةٍ فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا
رَزَقُوا وَمَا رَزَقُوا سَمَاحَ يَدٍ فَكَأَنَّهُمْ رَزَقُوا وَمَا رَزَقُوا

ويرى ابن رشيق : أن التجنيس إذا دخله نفي عد طباقا ، والطباق يصير
بالتنفي تجنيسا (١) .

وقول طيء لولده من وصية : ولا تكونوا كالجراد أكل ما وجدته
وأكله ما وجدته .

فهذا كله مجانس في ظاهره وهو في باطنه مطابق .

فمثلا قول البحتري : لا أعلم وأعلم يساوي قوله : أجهل وأعلم وهكذا .

ويتصل بذلك طباق الوعد والوعيد كقول الشاعر :
وإني إن أوعدته أو وعدته لخلف إيعادي ومنجز موعدى
وباب فاعل ومفعول نحو قولك : خالق ومخلوق ، وطالب ومطلوب .
وما كان اسم الفاعل والمفعول منه على وزن مفعل بكسر العين وفتحها
نحو : مكرم ومكرم ، وما جرى هذا المجرى أو زاد عليه في البناء .
فقد تجانسا في اللفظ وتضاداً في المعنى .

ومن ذلك عكس ما تقدم ، كقول العتّابي يعاتب المأمون — وقد حجب به
عنه وكان به حفيّا — :

تضرب الناس بالمهتدة البيض م على غدرهم وتنسى الوفاء
فأق بالغدر والوفاء جميعاً وهما ضدان ، فطابق بينهما في الظاهر وباطن
كلامه مجانس ؛ لأن قوله : وتنسى الوفاء كقوله : تغدر .

وقول قيس بن الخطيم و يروى لعدى :
وإني لأغنى الناس عن متكلف يرى الناس ضلّالاً وليس بمتهدى
كأنه قال : وهو ضال .

لجانس في الباطن وإن كان قد طابق في الظاهر .
وأما قولك : قضيت واقتضيت ، فظاهره تجنيس وباطنه طباق إلا أنه
طابق غير محض .

وكذلك : أخذت وأعطيت ؛ لأن الأخذ ضده الترك ، والإعطاء :
ضده المنع .

فهذا بما يظنه من لا يحسن طباقاً وليس كما ظن ، ولكنه كثير في الكلام
جداً واستعمله الناس .

الطامة والمصيبة :

ويتصل بما نحن فيه : بيت للشنّي وصف فيه عفته في اليقظة والمنام
وهو قوله :

يرد يداً عن ثوبها وهو قادر وبعضى الهوى في طيفها وهو راقد

وقد جاء أبو العلاء المعري في شرحه لديوان المتنبي الذي سماه « معجز أحمد » فاستخرج لنا من هذا البيت نوعاً بديعاً سماه : « الطاعة والعصيان » .
وهو شيء لم يسبق به ولم يعثر له على مثال من قبل ولا عثر له على مثال من بعد !

وقد علموا ذلك بأنه متعذر الوقوع ، وأنه إنما وقع المتنبي فلتة !
وهو متعذر الوقوع حقيقة لسبب بسيط ، وهو أنه غير موجود وغير مراد أيضاً .

أما كيف وجد هذا النوع في رأى شيخ المعرة فتفصيله : أن المتنبي أراد أن يقول : يرد يداعن ثوبها وهو مستيقظ لتمام المطابقة في البيت ، فلما لم يطعمه الوزن في ذلك ، عدل إلى لفظة قادر وجعلها مكان مستيقظ لما فيها من معنى اليقظة وزيادة !

وإلى هنا قد نسلم له ما قال ، ولكنه يعقب على ذلك بقوله : فأطاعه — أى المتنبي — التجنيس المقلوب بين قادر وراقد ، فلم يخل البيت من معنى بديعى .

وبذلك يكون المتنبي قد أراد أولاً المطابقة فعصته ، ثم يسم الجناس فرثي لتعبه وأشفق عليه فأطاعه ، وأبدله الله بالدرهم ديناراً !
ثم جاء ابن أبي الإصبع — وهو عمدة أهل البديع على الإطلاق — فلم يعجبه قول المعري كما لم يعجبنا ، وعلل سكوت النقاد عن الأخذ بتلايينه : بأن القوم أحسنوا الظن به لموضعه من العلم والأدب ، وغطت على أبصارهم شهرته الذائعة فاعتقدوا فيه العصمة من الخطأ . والسبوا أو يكونون قد وقعوا فيها وقع فيه أبو العلاء نفسه من الخطأ في الفهم ، ومرّ عليهم ما مر عليه كما يحدث ذلك كثيراً .

ثم عرض ابن أبي الإصبع للبيت فنفي أن يكون هناك شيء أطاع الشاعر وشيء عصاه كما قال المعري ؛ لأن الشاعر كان في إمكانه أن يقول :
يرد يداعن ثوبها وهو ساهر

ليحصل له غرضه من الطباق الذى زعم المعرى أنه نشر عليه .
وإلى هنا قد نلتقى مع ابن أبي الإصبع فى رأيه .
ولكننا نراه بعد ذلك يسوق رأيا يزيد فى غرابته على رأى المعرى ،
وهو أن المتنبي قصد أن يحوى بيته طباقا وجناسا معا ، فعدل باختياره عن
لفظة « ساهر » إلى لفظة « قادر » ، لأن القادر ساهر وزيادة فحدث له جناس
العكس كما قال المعرى .

ولكن أين الطباق الذى أراد مع الجناس ؟
الطباق موجود أيضا ، لأن قادر تتضمن أنه مستيقظ ، وبين مستيقظ
وراقد طباق وإن كان طباقا معنويا ؛ لأن الطباق منه اللفظى ومنه المعنوى
أيضا كما هنا .

وعلى هذا الرأى الذى لا يقل غرابة عن رأى المعرى ، يكون المتنبي
— وما أشد ما لاقى من العنت — قد ترك الطباق اللفظى الذى يتأتى له
بلفظة « ساهر » معتمدا ، ليحصل على نوعين من البديع بلفظة « قادر » وهما :
الطباق المعنوى وجناس القلب ، فضرب بذلك عصفورين بحجر واحد
وما كان من الكلام فيه نوعان من الحلى خير مما فيه نوع واحد عندهم .

ونحن نعرف أن المتنبي من شعراء المعنى لا اللفظ ، وأنه ليس ممن
يهتمون بالبديع كأبى تمام مثلا ، وقد يتكلف أشياء كثيرة ، ويتعسف طرقا
وعرة ، ويلج مسالك ضيقة ، ولكن ليس من أجل البديع بل لمغاز أخرى
يريدها ، لعلها أبعد ما تكون عما نسميه التحسين اللفظى ، بل لعلها تتعارض
مع كل تحسين ، وأنا أستطيع أن أزعم هنا : أن جناس القلب بين قادر
وراقد ليس مقصودا للتنبي ، ولعله مات ولم يشعر به ، وإنما هو أراد الطباق
اللفظى فقط ، لم يده لذاته ولكن لأنه وصف نفسه بالعفة فى المنام ،
وذلك يستلزم من أب أولى أن يصفها بالعفة فى اليقظة ، فكان حتما عليه أن
يأتى بلفظ مستيقظ ، لأن المعنى يقتضى ذلك حتى تتم المبالغة بجميع
العفتين له .

ولكن الوزن الشعري لم يطعمه كما أطاع شاعرا عصرنا في قوله :
عجبت لما تهدي على النوم طيفها ولو وصلت يقظي لزال خيالي
فلم يجد بدا أن يعدل إلى أقرب الألفاظ التي تؤدي معنى اليقظة ، فجاء
بلفظة قادر لأنها فوق ذلك تفيد الاحتراس ، فقد يتوهم أنه يرد يده عن
ثوبها خوفا لا قدرة .

وأستطيع أن أزعم أيضا أنه لم يقصد لفظة قادر لأنها تحتوى على معنى
مستيقظ وزيادة كما ذهب المعري ، بل أراد أنها تقوم مقام اليقظة وكفى .
وأستطيع أن أزعم مرة ثالثة أنه لم يخطر ببال المتنبي أن يأتي بلفظة ساهر
ثم يعدل عنها محتارا إلى لفظة قادر للغرض الذي ذكره ابن أبي الإصبع ؛
لأنه لا يخفى على مثله أن السهر فيه تكلف اليقظة ومعاناة النوم ، ولا معنى له
هنا لأنه ليس بسبيل وصف ما يعانيه من تباريح الغرام !
ولما يريد اليقظة بمعنى الصحو الطبيعي الذي هو ضد النوم ؛ لأنه لا يعنى
أكثر من أنه عفيف في تيقظه ونومه .

وبهذا يكون لفظ مستيقظ الذى يقابل لفظ راقد متعين هنا ، وأن
المتنبي قد غلب على أمره وأخل بكمال النظم وجماله حين لم يستطع أن يأتي به .
ومهما قيل فى أن لفظة قادر فيها معنى مستيقظ وزيادة ؛ فإنها لا يمكن أن
تقع موقعها من الحسن ؛ لأن الحسن لا يتعلق بالمعنى فقط وخاصة فى الصياغات
الشعرية ؛ فستيقظ هنا متعينة بلاغيا ولا تقوم مقامها لفظة قادر وإن كانت
أشمل ، ولا يزال بيت المتنبي ينادى على نفسه بالنقص مهما تمحوا له من
المعاذير واخترعوا له من الحلى .

نعم إن كلمة قادر تكون غاية فى معناها ومكتفية بنفسها لو لم تذكر
إزاءها كلمة الرقاد ، فكان المعنى ينصرف على أنه يريد أن يصف نفسه بالعفة
مع القدرة كما يقال : حلیم مع القدرة مثلا دون التعرض للوصف بالعفة
فى المنام الذى استدعى مطابقا له وهو الوصف بالعفة فى الاستيقاظ .

الفصل العشرون

الجناس والترديد

الترديد في اللغة : تفعيل من قولهم : ردّد الثوب من جانب إلى جانب ،
وردد الحديث ترديدا : أى كرره .

وفي اصطلاح البلاغة عرفه ابن رشيق بقوله : أن يأتي الشاعر بلفظة
متعلقة بمعنى ، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في
قسم منه (١) .

ومعنى هذا أن التردد مقصور عنده على الشعر ، وقد تقيّد بتعريفه فلم
يمثل له من غير الشعر كذلك .

وعرفه الحموى بنحو ذلك وهو : أن يعلق الشاعر لفظة في بيت واحد ،
ثم يرددها فيه بعينها ويلحقها بمعنى آخر .

ولكنه بما يضحك أنه مثل له بعد ذلك مباشرة بقوله — تعالى — :
« لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » (٢) .

ثم أتبع ذلك بإيراد أمثلة شعرية له .

ويؤخذ من تعريفه له : أنه خاص بالشعر ، ويؤخذ من تمثيله له بالنثر
والشعر أنه يشملهما معاً .

وهذا تناقض نجده كثيرا في مناهج البلغاء القدامى .

وقد جاء تعريف العاوى شاملا للنثر والنظم ، وهو : أن تعلق اللفظة
بمعنى من المعاني ، ثم ترددها بعينها وتعلقها بمعنى آخر (٣) .

(٢) خزانة الأدب — ٢٠٤

(١) العمدة — ٢ ص ٢

(٣) الطراز — ٢ — ٨٢

ولم ينظمه العميان في بديعيتهم ، ونظمه صفى الدين الحلى وعز الدين الموصلى وتقى الدين الحموى .

فقال الأول :

له السلام من الله السلام وفى دار السلام تراه شافع الامم
وقال الثانى :

له الجميل من الرب الجميل على م الوجه الجميل بترديد من النعم
وقال الثالث :

أبدى البديع له الوصف البديع وفى نظم البديع حلا ترديده بفعى
ولم ينس الحموى عادته فى الزهو بما ينظم فقال : إن حلاوة التردد بالفهم
— أى لبيته المتقدم — أحلى من قول الشيخ عز الدين : بترديد من النعم
وأحسن موقعا لكونها فى القافية .

ونحب أن نسلم له فى هذه المرة بهذه الحلاوة !
والمردد قد يكون جملة أو اسما أو حرفا ، وأقله أن تكرر الكلمة مرتين .
ولم يذكره ابن الأثير إلا عرضا فى بعض المواضع كما سيأتى ، فقد عقد
للتكرار بابا وساق فيه أمثالا بعضها يصلح للترديد وبعضها للتكرير ،
وبعضها لهما جميعا (١) .

وقد يقع التردد فى مصراع واحد كقول أبى نواس :
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسّها حجر مسته سراء
فالمس الأول مضاف إلى الحجر ، والثانى مضاف إلى السراء .
وقول آخر : ليس بما ليس به باس ، ولا يضر المرء ما قال الناس .
ولا يضر الاختلاف اليسير بين اللفظين كقول الحسين بن الضحاك
الخليع :

لقد ملأت عيني بغير محاسن ملآن فؤادى لوعة وهموما

(٢) العمدة — ٢ — ٣

(١) المل السامر — ٢٨٢

وقول الجحاف بن حكيم أو العباس بن مرداس السلي :
نعرض للسيوف بكل ثغر وجوها لا تعرض للخطام
وقول أبي تمام :

راح^١ إذا ما الراح كن مطيها كانت مطايا الشوق في الأحشاء
لتقارب الألفاظ : ملأت وملآن ، ونعرض وتعرض ، ومطيها ومطايا .
وحمل قوم قول امرئ القيس :
فثوبيا لبست وثوبيا أجر
على أنه تكرار لاتريد فيه .
وهذا هو الخطأ المبين أو أي ترديد أحسن من هذا وقد أفاد الثاني غير
إفادة الأول حسبما شرطوا .

ويدخل عند ابن رشيق في الترديد قول ابن العميد^(١) — وقد عده من
أملح ما سمع في هذا الباب — :

فإن كان مسخوطا فقل شعر كاتب وإن كان مرضيا فقل شعر كاتب
إذ كان قوله — عند السخط « شعر كاتب » — معناه : التقصير به
وبسط العذر له لأن الشعر ليس من صناعته ، كما حكى ابن النحاس : أنهم
يقولون : نحو كُتِّبَ إذا لم يكن مجودا .

وقوله — عند الرضا « شعر كاتب » — معناه : التعظيم له وبلوغ النهاية
في الظرف والملاحظة لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات .
فقد ضاد وطابق في المعنى وإن كان اللفظ تجنيسا مرددا^(٢) .

وقد ورد الترديد في شعر الأقدمين ولسكنه في شعر المحدثين كثير
مستفيض .

فن ذلك قول زهير بن أبي سلى :

من يلق يوما على علاته هرما يلق السباحة منه والندى خلقا

(١) الصحيح : أنه لا يه أبي الفتح .

(٢) العدة — ٢ — ٤

فعلق يلق بهرم ثم علقها بالساحة .
وقوله :

ومن هاب أسباب المنايا يئله وإن يرق أسباب السماء بسلم
« التردد في أسباب » .
وقول أبي تمام :

خفت دموعك في إثر القطين لدن
خفت من الكشب^(١) القضبان والكشب

الترديد في « خفت » .

وقول ابن المعتز :

أتعدلى في يوسف وهو من قري ويوسف أضنانى ويوسف يوسف
الترديد في « يوسف » .

وقول بعض الأعراب في مدح الرشيد :

جهير الكلام جهير الرواء جهير العطاس جهير النغم
الترديد في « جهير » .

وقول بعض الحجازيين :

ومن لأمى فيه حبيب وصاحب فرد بغیظ صاحب وحميم
الترديد في « حبيب ، و صاحب » .

وقول المتنبي - وهو معدود من إحسانه - :

أمير أمير عليه الندى جواد بخيل بالآلا يجودا
الترديد في « أمير » .

وقول الصنوبرى :

أنت عذرى إذا رأوك ولكن كيف عذرى إذا رأوك تخون
الترديد في « رأوك » .

(١) الكشب بفتح الكاف والباء : موضع بديار طى .

والعلماء بالشعر يجمعون على تقديم أبي حية النخري وتسليم فضيلة هذا الباب له في قوله :

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى بما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يوما وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
والترديد الذي انفرد فيه بالإحسان عندهم قوله : لبسن البلى . . .
وقوله : تقاضى المرء . . .

وقوله : تقاضاه شيء . . .

لأن الهاء في تقاضاه كناية عن المرء وإن اختلف اللفظ (١) .

وقد اختلف في عدد الترديد من التجنيس ؛ فابن رشيق يصرح : بأنه
منه ، وذلك حيث يقول : الترديد : نوع من المجانسة (٢) .
وقد تقدم قوله في البيت السابق :

فإن كان مسخوطا فقل شعر كاتب . . .

ضاد وطابق في المعنى وإن كان اللفظ تجنيسا مرددا .

وكذلك عده القاضي الجرجاني تجنيسا ؛ فقد قال في البيت المذكور :
إنه مما تجانس به المفرد بالمضاف (٣) .

ولم يعده ابن الأثير من التجنيس فقال : وربما جهل بعض الناس فأدخل
في التجنيس ما ليس منه نظرا إلى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى ، فمن
ذلك قول أبي تمام :

أظن الدمع في خدى سيبقى رسوماً من بكائي في الرسوم
وهذا ليس من التجنيس في شيء ؛ إذ حد التجنيس هو : اتفاق اللفظ
واختلاف المعنى ، وهذا البيت المشار إليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معا وهذا
بما ينبغي أن ينبه عليه ليعرف .

ثم يقول : ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به وهو : الترديد :

(١) العمدة — ٢ — ٣ (٢) المصدر السابق — ١ — ٢٢٢

(٣) الوسامة — ٤٢ —

أى إن اللفظة الواحدة رددت فيه ، وحيث نهت عليه هنا فلا احتياج أن أعقد له باباً أفرده بالذكر فيه^(١) .

فابن الأثير يرى : أن هذا البيت ليس من التجنيس قطعاً ، وأن بعض علماء البيان أطلقوا على مثله اسم الترديد .
فالترديد عنده ليس من الجناس .
قيمة الترديد .

اختلف العلماء فى قيمة الترديد كما اختلفوا فى عده من الجناس :
فابن رشيق يسلك جادة الاعتدال ؛ فيحمد منه ما يصح أن يحمد لاتصافه
بسمات من الحسن تصفى عليه ضرباً من الأناقة والحلاوة ؛ فهو لا يخفى استحسانه
لبيت المتنبي :

أمير أمير عليه الندى ...

واستملاحه لبیت أبي الفتح بن العميد :

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب ...

وينقل إجماع النقاد على تفضيل بيتى أبي حية النخري :

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا ...

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ...

وقد تقدمت هذه الأبيات :

والعلوى يمدحه بلا قيد ولا شرط ؛ فيرى أن الكلام به يحسن رصفه
ويعجب تأليفه ، ويجعله متناسباً مفيداً لفائدة جديدة^(٢) .

وابن حجة ينزل به إلى أسفل الدرجات كما ينزل بأخيه التكرار ، ثم
يذكر : أن ابن أبي الأصبع يورد فرقاً بين الترديد والتكرار فيه بعض إشراق ،
وهو : أن اللفظة التى تكرر فى البيت ولا نفيد معنى زائداً بل تكون الثانية
عين الأولى هى التكرار ، واللفظة التى يرددها الناظم فى بيته وتفيد معنى
غير المعنى الأول هى : الترديد .

(٢) الطراز — ٣ — ٨٣

(١) المثل السائر — ١٠١

ثم يقول : وعلى هذا القول صار لترديد بعض مزية يتميز بها على التكرار ويتحلى بشعارها (١) .

وأحسب أن الحموى لم يفهم المراد من قول ابن أبي الإصبع بالدقة ، فهو لا يريد أن اللفظ المردد يفيد بترديده معنى ذاتيا يؤخذ من نفس اللفظ ، وإنما يريد أن اللفظ المردد يفيد بترديده معنى آخر من حيث تعلقه بشيء غير ما تعلق به الأول كقول المجنون مثلا :

قضاها لغيرى وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلي ابتلانيا
فتعلق الفعل ابتلاني مختلف في البيت .

وأما التكرار فإنه لا يفيد معنى ثانيا من حيث أنه لم يتعلق بشيء جديد كقول القائل :

لا لا أبوح بحب بئسة إنها أخذت على موثقا وعهودا
فلا الثانية عين الأولى ومتعلقهما واحد ، فلم تفد معنى جديدا من هذه الناحية وكل ما هنالك أنها زادت الكلام توكيدا ومبالغة ، فالفرق بينهما إذن أن الترديد يتكرر فيه المتعلق فيتغير المعنى .

ولو حمل رأى ابن أبي الإصبع على ما فهمه الحموى ، لكان التكرار بجميع أنواعه لغو وحشو وفضول وتطويل ؛ إذ أى فائدة في لفظ يتكرر بدون فائدة على الإطلاق ، ومثل هذا لا يقول به ابن أبي الإصبع .
ومهما يكن فالترديد ككل لون من ألوان الكلام منه الحسن ومنه القبيح بحكم خضوعه لمعايير النقد .

والحكم في هذا مرده إلى المتكلف منه والمطبوع ، وما يحتاج إليه الكلام وما هو مستغن عنه .

وقد تقدمت أمثال للنوع المحمود منه .

أما النوع المستقبح فنحو قول أبي تمام :

رضيت وهلى أرضى إذا كان مسخلى من الأمر ما فيه رضا من له الأمر

وقوله :

خان الصفاء أخ خان الزمان له أخا فلم يتخوّن جسمه الكمد
لأن ألفاظ هذا الشعر يتشبهت بعضها ببعض ، وتدخل الكلمة من أجل
كلمة أخرى تجانسها وتشبهها مثل خان ويخون ويتخون وأخ فإخ فهذه
حقيقة المعاطلة (١) .

وقوله :

يا يوم شرّ د يومٍ طوى طوّمه بصباقي وأذل عز تجلدى
فهو شديد التعاضل كأنه سلسلة محكمة الحلقات من التنافر والثقل .
وهذا النوع كثير في شعر أبي تمام ، وجاء المتنبي لجاوز الحد في الإكثار
منه ، حتى ليندر أن تخلو له قصيدة من هذا العيب !
وفيه يقول ابن رشيق (٢) : وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله
نصب عينه حتى مقتته وزهد فيه ولو لم يكن إلا بقوله :
فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل
فهذه الألفاظ كما قال : كلهن قلاقل !
ونحو ذلك قوله :

أسد فرائسها الأسود يقودها أسد تصير له الأسود نعاليا
فما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسودا ولا أقول إنه :
بيت شعر !

وأن يقع هذا من قول غيره :
فصبح الوصال وليل الشباب وصبح المشتب وليل الصدود

الفصل الحادي عشر

الجناس والتعطف

التعطف : أن تذكر اللفظ ثم تكرره والمعنى مختلف (١) .
سمى بذلك لأن صانعه يتعطف فيه على الكلمة فيكررها مرتين ، ومنه
تعطف الناقة على ولدها ، إذا كانت ترضعه مرة بعد أخرى (٢) .
وقد مثلوا له بقول امرئ القيس ، وهو أول من ابتدأه فيما قالوا :
ألا إنني بال على جبل بال يسوق بنا بال ويتبعنا بال .
وقد لاحظ العسكري : أن هذا المثال لا يجري على الأصل الذي أصَّله ؛
لأن الألفاظ المكررة في هذا البيت على معنى واحد يجمعها البلى فلا اختلاف
بينها ، وإنما صار كل واحد منها صفة لشيء فاختلفت لهذه الجهة لا من جهة
اختلافها في معانيها (٣) .

والمثال الذي ينطبق على التعريف قول الشماخ :
كادت تساقطن والرحل أن نطق حماة فدعت ساقا على ساق
الساق الأول : ذكر القمارى ، واسمه : ساق حُرٌّ لأن حكاية صوته
ساق حر .

أو الساق : الحمام ، والحر : فرخها .

والساق الآخر : ساق الشجرة .

ومثله : ما أنشده سيبويه :

أنبخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلا بُغامها

(٢) الطراز — ٣ — ٨٢

(١) الصناعتين — ٤٠٧

(٣) الصناعتين — ٤٠٧

البلدة الأولى : صدر الناقة ، والثانية : المكان من الأرض .
وما أنشده ثعلب :

وثنية جاورتها بثنية تحرف يعارضها ثنى أدم
الثنية الأولى : عقبية ، والثانية : ناقة ، والثنى الأدم : الظل ، وقد استعار
له هذا الاسم .

وما أنشده أبو عمرو بن العلاء :
عود على عود على عود خلّق
العود الأول : الشيخ ، والثاني : الجمل المسن ، والثالث : الطريق القويم
قد ذل بكثرة الوطء عليه^(١) .

وما يدخل في التعطف : ما أنشده ثعلب :
أتعرف أطلالا شجوناك بالخال وعيش زمان كان في العصر الخالي
الخال الأول : اسم موضع .
ليالى ريعان الشباب مسلّط على بعصيان الإمارة والخال
الخال : القائم على الشيء من قولهم : فلان خال مال ، إذا كان يقوم به
ويصلحه .

والمعنى : أنه يعصى أمر من يلي أمره ، وأمر من ينصح له ليصلح حاله .
والخال أيضا : اللواء الذي يعقد للأمير ، وقيدده بعضهم بالأبيض وهو
مناسب للإمارة .

وإذ أنا خدن للغوى أخى الصبا وللرح الذئبال واللهو والخال
الخال : من الخيلاء وهو الكبر .
إذا سكنت ربعا رثمت رباعها كما رثم الميثاء ذو الرية الخالي
رثمه : عطف عليه ولزمه من رثمت الناقة ولدها ، والميثاء : الأرض
السهلة اللينة ، والخالى : الذى لا أهل له .

(١) المبدعة — ١ — ٢٢١

ويقتادني ظبي رخيـم دلـالـه كما اقتاد مهرأ حين يـألفـه الخـالـي
الخـالـي : الـذي يـقـطـع الخـلـا وهـو النـبـات الرطب .

ليـألـى سـلـمى تـسـتـيـيك بـدـلـها وبـالـنـظـر الفـتـان والجـيـد والخـالـي
الخـال : الشـامـة فـي الخـد والبـدن .

وقـد علـمتُ أنـي وإن ملـت للصـبا إذـا القـوم كـثـوا لست بالـرعيـش الخـالـي
كـع : ضـعف وجـبـن ، والخـالـي : الـذي لا أصـحاب له يعـاونـونه .
ولا أرتـدى إلـا المـرومـة حـلة إذـا ضـن بـعض القـوم بـالعـصـب والخـالـي
العـصـب والخـال : ضـرب مـن البرود .

وإن أنا أبـصـرت المـحـول بـسـلـة تـنـكـبـتها واشـتـمت خـالـا إلـى خـالـي
اشـتـام : نـظـر البرق أين يقـصـد وأين يـمـطـر ، والخـال : السـحـابة الخـيـلة للمـطـر .
نـخـالـق بُخـائـق كل حـر مـهـذب وإلـا فـصـارمه ونـخـال إذـا خـالـي
نـخـال : فـعل أمر مـن الخـالـاة وهـي قـطـع الحـيـلـف .

فإنـي حـليـف للـسـاحـة والنـدى إذـا احـتـافـت عبس وذـبـان بالخـالـي
الخـال : اسـم مـوضـع .

وعـما روى للـخـلـيل بـن أحمـد (١) :

يا ويـح قـلـبي مـن دواعـي الهوى إذـا رحـل الجـيـران عـند الغـروب
أتـبعـتهم طـرفـي وقـد أزمـعوا ودـمـع عـيـني كـفـيـض الغـروب
بأنوا وفيهم طـفـلة حـرة تـفـتر عـن مـثل أقـاحـي الغـروب
الغـروب الأول : غـروب الشـمس ، والثـاني : جـمع غـرب كـفـهد وهـو
الدلو العـظـيمة المـملـوءة ، والثـالث : الوهـاد المـنـخـفـضة جـمع غـرب كـفـهد أيـضا ،
والطـفـلة بـفـتـح الطاء : الرخـصـة الناعـمة .

وعـما أنـشدـه الـليـث (٢) :

بانت سـلـيمى فـالـفـؤاد آسـى أشـكو كلـوما ما لـهن آسـى

(١) الزمر — ١ — ٢٢٢ (٢) المواب الفتيحة — ١ — ١٤٦

من أجل حوراء كنغصن الآسى ريقتها كمثل طعم الآسى
وما استأست بعدها من آسى وبلى فإني لاحق بالآسى
الآسى الأول : الحزين ، والثاني : الطيب ، والثالث : شجر ، والرابع :
العسل ، والخامس : الصاحب ، والسادس : القبر أو الصاحب .
واستأس : استعاض .

وقول الأصمعى يعظ الرشيد ويذكره — وقد سأله ذلك — :

فلا تعجل على أحد بظلم فإن الظلم مرتعه وخيم
ولا تنفحش وإن مُسَّمت غيظاً على أحد فإن الفحش لوم
ولا تقطع أخاً لك عند ذنب فإن الذنب يغفره الكريم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر آخره عظيم

وقول دعبل في الفضل بن مروان :

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل وقلت فسبَّرت المقالة في الفضل
ألا إن في الفضل بن سهل لعبرة إذا اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ إذا فكر الفضل بن مروان في الفضل
فأبق جيلاً من حديث تفز به ولا تدع الإحسان والآخر بالفضل (١)
فإنك قد أصبحت للباك قيماً وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أر أبيتاً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب إذا هي أنشدت سوى أن نصحى الفضل كان من الفضل (٢)

ومع ما في هذه القطعة من كثرة التكرار في اللفظ والمعنى ، فإن ما تضمنته
من روح الدعابة والفكاهة درأ عنها الثقل وصيرها عذبة سائغة .

وقول آخر :

يا طيبَ نعمة أيام لنا سلفت وحسنَ لذة أيام الصبا عودى
أيام أسحب ذيلي في بطلتها إذا ترنم صوت الناي والعود
وقهوة من سلاف الخمر صافية كالسك والعنبر الهندي والعود

(٢) من الفضل : الفضول والتفول .

(١) بالفضل : بالفضل .

تَسْلُ عَقْلَكَ فِي لِينٍ وَفِي لَطْفٍ

إذا جرت منك مجرى الماء في العود^(١)

ومن لطائف الثعالي : ليست البلابل ، كخمر بل على غناء البلابل .
البلابل الأولى : الهموم والوساوس .

وعدوا منه قوله — تعالى — : « يوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون
نالبثوا غير ساعة » .

ويقول العسكري : إنه لم يجد منه شيئاً في القرآن الكريم غير هذه
الآية (٢) .

وقد سلف أن هذه الآية من شواهد الجناس التام .

والناظر في أكثر الأمثلة المتقدمة لا يكاد يرى فرقاً بينه وبين الجناس
التام إلا أنه لا يشترط في التعطف أن تكون الكلمة الثانية مخالفة في
معناها للأولى .

أما الحموى فالتعطف عنده شبيه بالترديد المتقدم في إعادة اللفظة بعينها
في البيت الشعري ، غير أن التعطف مشروط بأن تكون إحدى كلمتيه في
مصرع والآخرى في مصرع آخر .

وقد مثل له بقول المتنبي :

فساق إلى العُرف غير مكدر وسقت إليه المدح غير مذم

وتابعه على ذلك العلوى فقال في تعريفه : هو أن يأتي المتكلم بلفظ في
صدر البيت ، ثم يأتي في العجز به أو بشيء من مشتقاته (٣) .

ثم إن الترديد يقع عند العلوى في النثر أيضاً كقوله — تعالى — :
« لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » .

وعلى هذا يكون الفرق بين الترديد والتعطف عند الحموى : أن الترديد

(٢) الصناعتين — ٤١٠ .

(١) اللطف بفتحين : الرفق .

(٣) الطراز — ٣ — ٨٢ .

يقع في النثر والشعر ، وأن التعطف يقع في الشعر فقط ، ثم لابد أن يجيء في مصراعين .

ويفرق بين التعطف عند العسكري والحموى : بأن التعطف عند الأول يقع في النثر والشعر بلا شرط ولا قيد ، وعند الثاني يقع في الشعر مع مجيء كل كلمة منه في مصراع على حدة .

وبهذين القيدين اللذين قيد بهما الحموى التعطف يتميز من الجناس التام . ومن الترديد ، وتنضح له شخصية مستقلة .

وفي التعطف يقول الحموى : إنه ليس تحته كبير أمر وأن البديع أعلى من هذه الأنواع السافلة ، وأن القوم كلما طلبوا الكثرة تغالوا في الرخص (١) . ولا يخفى ما في نظرة الحموى من المغالاة ، ولكن نوافقه على أن علماء البلاغة أسرفوا في تشقيق هذه الأنواع واختراع الأسماء لها ، فهذه الفنون الثلاثة : النكرير والترديد والتعطف يمكن إدخالها تحت اسم واحد من هذه الأسماء ، ولا سيما أن اللغة تساعد على ذلك .

وبما يعد من التعطف من الشعر الحديث قول البارودي (٢) :

وشاخ في ذمرا شماء باذخة	لا يعرف الصدق إن واكى وإن عادا
يعوده الناس إن مرّ النسيم به	ولا يعود من الإشفاق إن عادا
لا يهدأ الدهر من ظلم يحاوله	فإن قضى وطراً من غُدرة عادا
يسطو بهذا ويرمى ذاك عن عُرْض	كطارد يقتنى صيدين إذ عادا (٣)
أباده الدهر رغماً بين أسرته	كما أباد بريح صرصر عادا
فاعرف إهلك واحذر أن تبیت على	وزر ولا تتخذ ظلم الورى عادا

عادا الأول : خاصم ، والثاني : زيارة المريض ، والثالث : رجوع ، والرابع : تابع بين الصيدين يصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد ، والخامس : عاد قبيلة هود عليه السلام ، والسادس : جمع عادة .

(١) خزافة الأدب — ٥٠٩ . (٥) ديوانه — ١ — ١١٨ (الطبعة الأهلية) .

(٣) عن عرض بضم فسكون وحركت الراء للضرورة : أى عن شق وناحية كيفما اتفق

لا يبالى بمن رى .

الفصل الثاني والعشرون

الجناس والمشاكلة

المشاكلة لغة : المائلة ، وفي اصطلاح بعض البلغاء : ذكر الشيء بلفظ مصاحبه لوقوعه في صحبته .

أو تبديل اللفظ المستعمل في المعنى بلفظ لا يستعمل في ذلك المعنى لمناسبة معتبرة هناك .

والتعريف المشهور : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته — أى في صحبة ذلك الغير — تحقيقاً أو تقديرأ ؛ لأن المقدر معلوم والمعلوم كالمذكور .

مثال الصحبة التحقيقية قوله — تعالى — : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .
فجزاء السيئة في الحقيقة غير سيئة ، والأصل : وجزاء سيئة عقوبة مثلها ،
إذ الجزاء لا يوصف بأنه سيئة ، لأنه حق وإنما أطلق عليه سيئة مشاكلة .
وقيل : سمي بذلك لأنه يسوء من ينزل به ، فعلى هذا لا يكون مشاكلة^(١) .
وكذا قوله — تعالى — : « ومكروا ومكر الله » .

والأصل : أخذهم بمكرهم ؛ فإن المكر من حيث أنه في الحقيقة حيلة يجلب بها مضرة إلى الغير لا يجوز إسنادها إلى الله إلا على سبيل المشاكلة .
وقوله — تعالى — : تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » .
والأصل : تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك ، أو لا أعلم ما في ذاتك .
وعبارة الزمخشري : تعلم معلومي ولا أعلم معلومك .

(١) الرشدي — ٢ — ٧٩ .

فإن الله — سبحانه — لا يستعمل في حقه لفظ النفس ؛ فإطلاق النفس على ذاته لا يصح إلا للمشاكلة لوقوعه في صحبة من له النفس حقيقة مع ذكرها لفظاً .

ويرى بعضهم^(١) : أنه لا مشاكلة في الآية ، لأنه يجوز إطلاق النفس على الذات من غير مشاكلة ، فاللفظ أطلق على معناه ، وفي القرآن الكريم : « ويحذركم الله نفسه » ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، . وفي الحديث : « أنت كما أثبتت على نفسك » . ومن المشاكلة : الحديث « خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّسوا » .

الأصل : فإن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملّوا مسألته ، فوضع لا يمل موضع : لا يقطع الثواب على جهة المشاكلة .

ومن الشعر قول عمرو بن كلثوم :
ألا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
أى فنجازيه على جهله .

فوضع لفظة نجهل موضع نجازى .
وقول أبي الرقعة عمق — وقد تطف ما شاء — :
إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فأق رسولهم إلى خصوصاً
قالوا اقترح شيئاً نوجد لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقيصا
أراد : خيطوا لى ، فذكره بلفظ : اطبخوا لوقوعه في صحبة طبخه .

وقول ابن جابر الأندلسي :
قالوا اتخذ دهننا لقلبك يشفه قلت ادهنوه بخده المتورد
ومثال الصحبة التقديرية قوله — تعالى — : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا » إلى قوله : « صبغة الله » .

(٢) حاشية الدسوقي — ٤ — ٣١٢

فصبغة مصدر مؤكد منصوب بعامل محذوف وجوباً دل عليه قوله :
 « آمنا بالله ، تقديره : صبغنا الله بالإيمان صبغة : أى طهرنا تطهيراً .
 والسر فى ذلك التطهير بلفظ الصبغ : أن النصارى يغمسون أولادهم فى
 ماء أصفر يسمونه : « المعمودية » ويقولون : هو تطهير لهم .
 فعبّر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاكلة وإن لم يذكر لفظ الصبغ ، فى
 كلام الله — تعالى — ولا كلام النصارى ، لأن قرينة الحال من غمس
 النصارى أولادهم فى الماء الأصفر — وهى سبب نزول الآية — دلت على
 ذلك حتى كأن لفظ الصبغ مذكور .
 والغالب تأخير اللفظ الذى تقع به المشاكلة عما يشاكه كما سبق فى الأمثلة ،
 وقد يتقدم .

ومثاله من القسم التحقيقى قوله — تعالى — : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
 عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، .
 أى فعاتبوه .

ومثاله من القسم التقديرى قول أبى تمام :
 « من مخبر^١ أفناء يعرب كلهم أنى بنيت الجار قبل المنزل^(١) »
 التقدير : قبل بناء المنزل .
 صلة المشاكلة بالجناس .

تقرر فيما تقدم : أن هذا النوع — أعنى المشاكلة اللفظية — : أن يأتى
 المتكلم فى كلامه باسم من الأسماء المشتركة فى موضعين ، فتشاكل إحدى
 المشاكلتين اللفظيتين الأخرى فى الخط واللفظ ومفهومهما مختلف .
 ومن إنشاد التبريزى فى هذا الباب قول أبى سعيد الخزومى :
 حدّق لآجال آجال والهوى للهوى قتّال
 فالآجال الأولى : أسراب البقر الوحشية جمل إجل بالكسر ، والأخرى :
 جمع أجّل وهو منتهى الأعمار ، وبينهما مشاكلة فى اللفظ والخط .

(١) الأفناء : الجماعات جمع فناء بفتح فكون .

ويعلق الحموى على هذا البيت : بأنه من أحسن الشواهد على الجناس التام ،
ولو اعتمد البديعيون على المشاكلة المعنوية لخلصوا من هذا الاعتراض .
وقد عد ابن الإسبع هذا الشاهد وأمثاله من باب التجنيس (١) .

وذكره الخطيب أيضاً من شواهد الجناس التام (٢) .

ولم ينكر المغربي صلة الجناس بالمشاكلة فراه يقول : وتسمية المشاكلة
— سواء أكانت تحقيقية أم تقديرية — بديعاً معنوياً ، بالنظر إلى أن لها تعلقاً
بالمعنى المصاحب ؛ إذ هي ذكر ذلك المعنى بلفظ غيره للصحبة بين المعنيين
فتلزم الصحبة بين اللفظين ، والقصد بالذات إلى تحسين المعنى المصاحب
بالتعبير عنه بما يشا كل التعبير عن الآخر .

ويقول : و تناسب الطباق ومراعاة النظر من جهة أن في كل مقابلة شيء
شيئاً في الجملة .

ثم يقول : ومن ينظر إلى أن حاصلها إتيان لفظ مشاكل لآخر مع
اختلاف معناهما يبحث بأنها لفظية كالجناس بين اللفظين .
والتحقيق : أن للمعنى وخلافها ، إذ لولا مصاحبة المعنى للمعنى وقصد
تحسينه لم تنصور (٣) .

ويقول المرشدي : واعتراض على إيرادهم المشاكلة في القسم المعنوي :
بأنها تتعلق باللفظ ، فكان الأليق ذكرها في القسم اللفظي .
وأجيب : بأنها إنما صوحت مع المطابقة والمقابلة للمشاكلة : أى في
وزن الاسم ، مفاعلة .

والأوضح : أن يقال : إنما أوردناها هنا لأن الملحوظ فيها أولاً
وبالذات جانب المعنى (٤) .

وعند ما تكلم ابن رشيق على المضارعة في «باب التجنيس» قال : أصلها :
أن تتقارب الحروف وفي كلام العرب منه كثير .
وقد مثل لها بقوله تعالى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » .

(١) خزانة الأدب — ٤٢٥ — ٤٢٦ (٢) الإيضاح — ٢٧٢

(٢) مواهب الفتح — ٣ — ٣١٦ (٤) شرح المرشدي — ٢ — ٧٩

وبالحديث : «نعوذ بالله من الأيمة والعيشمة والغيبة والكزَم والقرم»^(١).
ثم عقب على ذلك بقوله : وهذا يسميه الرماني : المشاكلة .
وهي عنده ضروب هذا أحدها وهي المشاكلة في اللفظ خاصة ^(٢) .
من هذا كله نرى قوة القرابة بين المشاكلة والجناس حتى عد بعض
شواهدهما من شواهد الجناس .

كما نرى وجاهة رأى من يذكرها في المحسنات اللفظية .
وقد عدّها بالفعل المولى عصام الدين محسناً لفظياً ، وفرق بينها وبين
الجناس بشيئين :

أحدهما : أن اللفظ في المشاكلة سوء ذكره بلفظ غيره وقوعه في
صحبة ذلك الغير ، بخلاف الجناس فلا اعتبار لهذه الصحبة فيه .
والآخر — وهو دقيق جداً — أن المشاكلة إرادة لفظ بدل لفظ آخر
في الاستعمال ، أما التجنيس فيؤول إلى ترجيح لفظ على لفظ آخر للمناسبة
لا لتبدله بالآخر كما في المشاكلة ^(٣) .

(١) الأيمة الخلو من النساء ، والعيشمة : شهوة اللبن ، والغيبة : العطش ، والكزَم : شدة
الأكل والبخل : والقرم : شهوة اللبن .

(٢) العمدة ١ — ٢٢٤ (٣) شرح الفوائد النيابية — ٢٧٣

الفصل الثالث والعشرون

الجناس ورد الصدر على العجز

سمى ابن المعتز رد العجز على الصدر : رد الأعجاز على ما تقدمها .
وسماه المتأخرون — ومنهم ابن رشيق — : التصدير ^(١) .
وسماه شعراء الفارسية : المطابق والمصدر ^(٢) .
والاسم «التصدير» أخف على المستمع وأليق بالمقام ^(٣) .
وهو يقع في النثر والنظم ، وإن كان موقعه في الأخير أخطر وأجل .
وحده في النثر : أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو
الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها .
وبهذا القيد خرج «العكس» عند الجمهور نحو : عادات السادات، سادات
العادات .

فإنه إنما وقع فيه أحد اللفظين في أول سبعة والآخر في آخر الأخرى ^(٤) .
وحده في الشعر : أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو
الملحقين بهما في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه
أو آخره ، أو صدر المصراع الثاني .
والمراد بالمكررين : المتفقان لفظا ومعنى ، وبالمتجانسين : المتفقان في
اللفظ دون المعنى ، وبالملحقين بالمتجانسين : ما يشمل الاشتقاق وشبهه .
والأكثر أن تكون الكلمة التي في العجز عين الكلمة التي في الصدر
كقول بعضهم ^(٥) :

تمنت سليمان أن أموت صباية وأهون شيء عندنا ما تمتنت
ولكن أحسنه : ما كان ^(٦) فيه اللفظ مشتركا حتى يخلو من التكرار :

(١) العمدة — ٢ — ٤
(٢) خزانة الأدب للحيوى — ١٤٣ (٤) مروس الأفراح — ٤ — ٤٣٤
(٣) سباه الوطواط : أديب الترك . (٦) شرح الفوائد النبائية — ٢٨١
(٢) حقائق الشعر — ١١٠

بأن يكون اللفظان متجانسين أو ملحقين بالجناس — كما تقدم — وذلك
 لحصول الإفادة في صورة الإعادة ، نحو قول الشاعر :
 ذوائب سود^(١) كالعناقيد أرسلت فمن أجلها منا النفوس ذوائب
 وهو عند الجمهور قسم من المحسنات اللفظية مستقل بنفسه .
 وعده بعضهم نوعا من الجناس ، قال ابن السبكي عند الكلام عليه : هو
 من أنواع التحسين اللفظية لا من الجناس كما توهم الخطيب ، لتصریح السكاكي
 وكل من تكلم في هذا العلم بعده بما قلناه^(٢) .
 ويقول ابن الأثير : رأيت الغاني قد ذكر في كتابه بابا ، سماه : « الإعجاز
 على الصدور خارجا عن باب التجنيس ، وهو ضرب منه وقسم من جملة
 أقسامه كالذي نحن بصدد ذكره هنا .

فما أورده الغاني من الأمثلة في ذلك قول بعضهم :
 ونشـرى بجميل الصنع م ذكرا طيـب النـشر
 ونـفـرى بسيوف الهند م من أسرف في النفر^(٣)
 ونجـرى في شرا الحمد م على شاكلة النجر
 وقول بعضهم^(٤) في الشيب :
 يا بياضا أذرى دموى حتى عاد منها سواد عيني بياضا
 وكذلك قول البحـرى :
 وأغر^(٥) في الزمن البهيم محجل قد رحـت منه على أغر محجل^(٦)
 كالميكـل المبني إلا أنه في الحسن جاء كصورة في ميكل
 ثم يقول ابن الأثير : وليس الأخذ على الغاني في ذلك مناقشة على
 الأسماء ، وإنما المناقشة على من ينصب نفسه لإيراد علم البيان وتفصيل
 أبوابه ، ويكون أحد أبوابه التي ذكرناها داخلا في الآخر فيذهب عليه
 ذلك ويخفى عنه ، وهو أشهر من فلق الصباح^(٧) .

ولا منافاة بين ما قاله الغاني وما قاله ابن الأثير ؛ لأنه يصح اجتماع

(١) عروس الأفراح — ٤ — ٤٣٣ (٢) النفر : التفرق .
 (٣) هو منصور بن القرج .
 (٤) الاغراول : يوم من الأيام ، والآخر : الفرس .
 (٥) المثل السائر — ١٠١

الجناس ورد العجز على الصدر في كلام واحد كالذى تقدم ، ويسمى كل واحد منهما باسمه الذى يميزه بالنظر إليه من زاوية خاصة ، وتعريف رد العجز على الصدر يفيد ذلك ، ففى قول الأرجاني مثلاً :

دعائى من ملامسك دعائى · فدا الشوق قلبكما دعائى

دعائى الأول بمعنى : اتركائى ، ودعائى الثانى بمعنى : نادائى

فهو جناس من هذه الناحية ، ورد عجز على صدر من ناحية أن المتجانس المذكور آخر البيت هو بعينه من حيث الصورة فى صدر المصراع الأول . والذى يعنيننا أن غير واحد من البلغاء يراه نوعاً من الجناس .

ويقول ابن حجة الحموى (١) : وقد جاء قدامة من التصدير نوع آخر سماه : « التبديل » وهو : أن يصير المتكلم الأخير من كلامه أولاً وبالعكس كقولهم : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك (٢) . وفيه يقول ابن أبى الإصبع : ولم أقف لهذا النوع على شاهد شعري فقلت :

أصبر على خلق من تصاحبه واصحب صبوراً على أذى مخلوقك

وبقول ابن الأثير أيضاً : وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب : التبديل . وذلك اسم مناسب لمسامه ، لأن مؤلف الكتاب يأتى بما كان مقدماً فى جزء كلامه الأول مؤخراً فى الثانى ، وبما كان مؤخراً فى الأول مقدماً فى الثانى . ثم ساق المثال السابق ، اشكر لمن أنعم عليك ...

وقد سمي ابن الأثير التبديل : بالمعكوس ، وعده من المشبه بالتجنيس ووصفه بأن له حلاوة وعليه رونقاً (٣) .

ونأخذ من هذا : أن العكس أو التبديل لا يعد من رد العجز عند الجمهور ويعد منه عند قدامة ، ويعد مشبهاً بالتجنيس عند ابن الأثير . وقد تقدم : أن رد العجز يعد أيضاً جناساً عنده .

(٢) قبل : لأنه من كلام التوراة .

(١) خزانة الأدب — ١٤٤

(٣) المثل السائر — ١٠٣

أمثلة التصدير الثرية .

مثال التصدير في النثر من اللفظين المكررين قوله تعالى — : « وتخشى
الناسَ والله أحقُّ أن تخشاه » .

فقد وقع تخشى في أول الفقرة وأخرها .

ومثله : طلب ملكهم فسلب ما طلب ، ونهب ما لهم فوهب ما نهب .
الحياة ترك الحياة . القتل أنقى للقتل .

ولأ يضر اتصال الآخر بالهاء ، لأن الضمير المتصل كالجزم من الفعل .
ومثاله من المتجانسين حديث الشيخين : « من غدا إلى المسجد أوراخ ،
أعد الله له في الجنة نزلًا كلما غدا أوراخ » .

وقولهم : كافر النعمة كالكافر . سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل .
دمعه يحتمل أن يكون دمع السائل أو دمع اللئيم ، وهو أبلغ في الادم
حيث لا يطبق السؤال .

نقل ذلك الدسوقي عن الأطول .

ولاربية أن هذا التخريج من التعسف والتكلف الممقوت ؛ لأن سؤال
اللئيم لا يبيكه ، بل لعله يضحكه من السائل سخرية وهزؤا ، وهو غير مراد
حتمًا للقائل وإنما مراده : أن سائل اللئيم يرجع بالحنية المرة التي تسخن العين
بالبكاء ، وفي مثله يقول الشاعر :

وأعذر من أدمى الجفون من البكا كريم رأى الدنيا بكف لئيم
ويلاحظ أن هذا النوع بعينه هو التجنيس التام ولكنه اعتبر هنا من
هذا الباب ، وهو أحسن من سابقه المكرر ، وأكثر منه صعوبة .
ومثاله من الملحق بالمتجانسين من جهة الاشتقاق ، قوله — تعالى — :
« استغفروا ربكم إنه كان غفارا » .

لأن استغفر وغفار مادتهما المغفرة ، وهو ليس بجناس على الحقيقة
عند الجمهور .

ولا يضر الاختلاف القليل من حيث الصنعة كقوله — تعالى — :
« ولقد استهزئ برُّسل من قبلك فحاق بالذين سخَّروا منهم ما كانوا به
يستهزون » .

« ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيُسنَّحَكُم »^(١) بعذاب وقد خاب
مَن افترى ، .

« انظر كيف فضَّلنا بعضَهم على بعض وللآخرةُ أكبرُ درجات
وأَكبرُ تفضيلاً » .

وكالحديث : « من مقت نفسه آمنه الله من مقته » .

ومثاله من الملحق بالمتجانسين من جهة شبه الاشتقاق قوله — تعالى — :
« قال إني لعملكم من القالين » .

الأول : مشتق من القول ، والآخر مشتق من القلى ؛ وهو البغض
والكره .

وقوله — سبحانه — : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى
بجانبه وإذا مسه الشرُّ فذو دعاء عريض » .

وقوله — عز وجل — : « فنَادَى في الظلمات أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إني كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » .

أمثلة التصدير الشعرية :

١ — المكرر ويأتي على أربعة أقسام :

١ — ما كان فيه المكرر الآخر في صدر المصراع الأول كقول زهير :
الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر
وقول طُفَيْل الغنَّسوى :

محارمك امنعها من القوم إني أرى رحمة قد ضاع فيها المحارم
وقول عمرو بن أحمَر :

تغمرتُ منها بعدما نفِذ الصبا ولم يرو من ذى حاجة من تغمرا

(١) أسنَّحه : استأنَّصله .

تغمر : شرب من الغمر كعمر وهو : القدح الصغير .
ضربه مثلا : أى تعللت منها بالشئ القليل ، وذلك لا يبلغ ما فى نفسى
من المراد .

وقول الخليلج الدمشقي :
سُكران سكر هوى وسكر مدامة أنى يُفريق قى به سكران
وقول ابن جابر الأندلسي :

غزال إنس يصيد أسدا فاعجب لما يفعل الغزال
دلالة دَلَّ كل شوق عليه إذ زانه الدلال
قناله لا يطاق لكن يعجبنى ذلك القتال

وقول شوقي :

نطوى دجاء بجرح من فراقكم يكاد فى غلَس الأسحار يطوينا
وهذا النوع أحسن أمثلة المكرر ، وقد سماه ابن أبى الإصبع :
تصدير الطرفين .

بـ ما كان فيه المكرر الآخر فى حشو المصراع الأول كقول زهير :
كذلك خيمهم ولكل قوم إذا مستهم الضراء خيم
وقوله :

له فى الذاهبين أروم صدق وكان لكل ذى حسب أروم
وقول الخطيئة :

إذا نزل الشتاء بأرض قوم تجنب جار بيتهم الشتاء
وقول الصمة القشيري :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار
وقول أبى تمام :

ولم يحفظ مُضاع المجد شىء من الأشياء كالمال المضاع
وقول الوطواط :

لقد حاز أقسام الفضائل كلها فأسمى وحيدا فى فنون الفضائل

وقول آخر :

أما القبور فإنهن أوانس بجوار قبرك والديار قبور
وقول شوقي :

وأعلم أن دأبكم جفائي فما بالي جعلت الحب دابا
وقد سمي ابن أبي الأصبع هذا النوع : تصدير الحشو .

جـ - ما كان فيه المكرر الآخر في آخر المصراع الأول كقول جرير :
زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يامربع
وقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فأزلت بالبيض القواضب مغرما
وقوله :

إذا سيفه أضحى على الهام حاكما غدا العفو منه وهو في السيف حاكم
ومنه قول عنتره :

فأجبتها إن المنيسة منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل
وقول الخبيل :

وينفَس فيما أورثني أوائل ويرغب عما أورثته أوائله
وقد سماه ابن أبي الأصبع : تصدير التقفية .

د - ما كان فيه المكرر الآخر في صدر المصراع الثاني كقول ذي الرمة :
ولا يكن إلا معسرج ساعة قليلا فإني نافع لي قليلها
٢ - المتجانس .

وهو أيضا أربعة أقسام :

١ - ما كان فيه المجانس الآخر في صدر المصراع الأول كقول البحتري :
أنائل جاوزت الأحص وأهله وما جدت للصب المشوق بنائل
نائل : مرخم نائلة اسم محبوبته ، ونائل الثاني العطاء .
وقول السري الرفاء :

يسار من سجيتها المتايا ويمنى من سجيتها اليسار

ب — ما كان فيه المجانس الآخر في حشو المصراع الأول كقول الثعالبى :
وإذا البلايل أفصحت بلغاتها فانف البلايل باحتساء بلايل
الأولى : جمع بلبل ، والثانية : جمع بلبال بالفتح وهى الهموم والوساوس ،
والثالثة : جمع بُلبلة وهى كوز فيه قناة إلى جنب رأسه .

ج — ما كان فيه المجانس الآخر فى آخر المصراع الأول كقول الحريرى :
فشغوف بآيات المثانى ومفتون برنات المثانى
المثانى الأولى : القرآن الكريم لا الفاتحة — وإن كان من معانيها —
كما ذهب صاحب الطراز ، والثانية : أوتار المزامير .

وقد جعلت المثانى فى الموضوعين من التجانس لامن الاشتقاق مع اتفاقهما
فى أصل المادة ؛ لأن الوصفية تنوسيت فيهما .

د — ما كان فيه المجانس الآخر فى صدر المصراع الثانى كقول الأرجانى :
أملتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح
٣ — الاشتقاق وهو أربعة أقسام :

١ — ما كان فيه المشتق الآخر فى صدر المصراع الأول كقول
أبى نواس :

ظنّ بى من قد كلفت به فهو يحفونى على الظنن
وقوله :

رقت ورق مَذقة من مائها والعيش بين رقيقتين رقيق^(١)
وقول أبى تمام :

تجشم حمل العاديات وقلبا أقيمت صدور المجد لإلتجشما
وقول آخر :

أصد بأيدى العيس عن قصد دارها وإنى إليها بالمودّة قاصد
وقول بعض العصريين فى المعاهدة المصرية :

حذرت قوى السم فى أضعافها لو كان ينفع قوى التحذير

(١) المدقة بالفتح : القطعة من العىء المخلوط بغيره .

(ب) ما كان فيه المشتق الآخر في حشو المصراع الأول كقول
أمرئ القيس :

إذا المرء لم يخزمن عليه لسانه فليس على شيء سواء بنخز أن
وقول أبي تمام :

دمن ألم بها فقال سلام كم حل عقدة صبره الإلمام
وقول أبي فراس :

وما إن شبت من كبر ولكن لقيت من الأحبة ما أشابا
(ج) ما كان فيه المشتق الآخر في آخر المصراع الأول كقول ابن
عيينة المهلب :

فدع الوعيد فما وعيدك ضارى أطنين أجنحة الذباب يضير ؟
(د) ما كان فيه المشتق الآخر في أول المصراع الثاني كقول أبي تمام :
وقد كانت البيض البوائر في الوغى بوائر ففى الآن من بعده بتر
هـ - شبه الاشتقاق وهو أربعة أقسام :

(١) ما كان فيه شبه المشتق الآخر في صدر المصراع الأول كقول
السرى الرفاء :

ضرائب أبدعتها في السباح فلسنا نرى لك فيها ضربيا
الضرائب : الطبائع جمع ضريبة ، والضريب : المثل .

وهو مأخوذ من قول البحترى :
بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضربيا^(١)

وقول الحريري :

ولاح يلحى على جرى العنان إلى ملهى فسحقا له من لائح لاهى
لاح : فعل ماض بمعنى ظهر وفاعله ضمير يعود على الشيب في البيت قبله :
واللاهى : اللائم .

وقال صاحب الطراز : لاح بالشئ : إذا ذهب به .

وهو خطأ منه في تفسير البيت .

(١) الفتح : هو الفتح بن ثاقان وزير المتوكل .

(ب) ما كان فيه شبه المشتق الآخر في حشو المصراع الأول كقول:
أبي فراس :

منحناها الحرائب غير أنا إذا جارت منحناها الحرابا^(١)
وقول الآخر :

إذا العزاء حلت دار قوم فليس تزول إلا بالعزاء^(٢)
وقول المعري :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر الإفراط في الخصر^(٣)
وقد جاء في الأطول عن هذا البيت : أنه مثال لما وقع فيه أحد
الملحقين في آخر البيت ، والآخر في حشو المصراع الأول ، وإنما كان واقعا
في حشو المصراع ؛ لأنه تقدم عليه ، لو ، وأنت خير بأن هذا غير جار
على اصطلاح العروضيين في الصدر والحشو والعجز ؛ فاصطلاح العروضيين :
أن الصدر هو التفعيلة الأولى من المصراع ، والعجز لتفعيلة الأخيرة.
وما بينهما حشو ، ولو كانت تلك التفعيلة كلمة وبعض كلمة أو كلمتين .
وأما عند علماء البديع فالكلمة الأولى من المصراع صدر ، والأخيرة
عجز وما بينهما حشو^(٤) .

(ج) ما كان فيه شبه المشتق الآخر في آخر المصراع الأول.
كقول الحريري :

ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع على تبايخ عاني
مضطلع : مفتعل من قولهم : اضطلع بالامر : إذانض به .
ومطلع من أطلع على الشيء : إذا أشرف عليه .

(د) ما كان فيه شبه المشتق الآخر في صدر المصراع الثاني كقول الآخر :
لعمري لقد كان الثريا مكانه ثراء فأضحى الآن مثواه في الثرى
ويلاحظ في جميع ما تقدم : أن الكلمة التي تقع آخرها هي دائما عجز

(١) الحرائب : العطيات جمع حرية . (٢) العزاء بالنشديد : الشدة .
(٣) الخصر محركة : البرد . (٤) حاشية الدسوقي — ٤ — ٤٤٣

المصراع الثاني ، فإن لم تقع كذلك فليس معدوداً من هذا الباب كقول
زياد الأعجم :

ونبتهم يستنصرون بكاهل وللوم فيهم كاهل وسنام
وقول الأفوه الأودي :

وأقطع الهوجل مستأنسا بهوجل عيرانة عنتريس
فهذا ليس من رد العجز على الصدر وإن كان جناساً^(١) .

ولسكن العسكري^(٢) عد من رد الأعجاز ما يقع في حشو النصفين كقول
النمر بن تولب :

يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف يرى طول السلامة يفعل
وقول الآخر :

رأت نضو أسفار أميمة واقفا على نضو أسفار فجن جنونها
فلم يشترط أن يقع اللفظ الآخر عجز المصراع الثاني .
ويلاحظ : أن الخطيب لم يشر إلى ما يقع فيه ، واللفظ الآخر ، في حشو
المصراع الثاني ، والقسمة العقلية تقتضيه فيكون له صور أربع كما مر .
وقد ذكر ابن السبكي أنه جدير بالطرح لأنه إن عدم الفاصل بينهما ففي
إطلاق « رد العجز » عليه بعد .

وإن وجد فالمسافة بينهما قصيرة ، وقد يتعذر ذلك كما في المنهوك أو
المشطور أو المجزوء^(٣) .

وأيضاً لا يصدق عليه الاسم ؛ لأنه لا صدارة لحشو المصراع الثاني
بالنسبة لعجزه أصلاً بخلاف الأول^(٤) .

ويقول شارح المفتاح : ما وجدت له نظيراً في كلامهم .

وقد وجد له المرشدي نظيراً في بيت الشعالي المتقدم :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل

(٢) الصناعتين — ٣٧٧

(١) المرشدي ٢ — ١٥٣

(٣) عروس الأفراح — ٤ — ٤٣٥ (٤) حاشية السوق — ٤ — ٤٣٥

فإنه يصلح أن يكون مثالا لهذا القسم بالنسبة إلى لفظ البلابل الثاني مع الثالث^(١)

وقد ذكر السكاكي^(٢) هذا القسم لأن تعريفه لرد العجز على الصدر يقتضيه ، وهو : أن يكون إحدى الكلمتين المتكررتين أو المتجانستين أو الملحقيتين بالمتجانس في آخر البيت ، والأخرى قبلها في أحد المواضع الخمسة من البيت ، وهى صدر المصراع الأول وحشوه وآخره وصدر المصراع الثاني وحشوه كما إذا قلت :

مشتهر في علمه وحلمه	وزهده وعهده مشتهر
في علمه مشتهر وحلمه	وزهده وعهده مشتهر
في علمه وحلمه وزهده	مشتهر وعهده مشتهر
في علمه وحلمه وزهده	وعهده مشتهر مشتهر

ففي هذه الآيات جميع الصور التي تضمنها تعريفه ، وعلى هذا الاعتبار تبلغ صور رد الإعجاز على الصدور عشرين صورة .

والعجيب من السكاكي على فضله كيف يتكلف مثل هذا الشعر العجيب ليمثل لما ليس من الضروري أن يوجد في رد الإعجاز ، كأن البلاغة مسائل حسائية وتقسيما نظرية عقلية ، وفي هذا شرح لنظرة المتأخرين إلى البلاغة وكيف استحالت على أيديهم صناعة محضة لا صلة لها بمناهج الفطرة .

وقد قسم ابن المعتز التصدير إلى ثلاثة أقسام^(٣) :

- ١ — ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول مثل قول الشاعر :
 - يلفى إذا ما الأمر كان عرمرما في جيش رأى لا يفل عرمرم
 - ٢ — ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول كقول الأقبشر :
- الأسدى :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وايس إلى داعي الندى بسريع

(١) المرشدى على العقود — ٢ — ١٥٣ (٢) المفتاح — ٢٢٨

(٣) البديع — ٩٣

٣ - ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر :

عميد بنى سليم أقصدته سهام الموت وهى له سهام
وقد اعترض ابن أبي الإصبع على التعريف فى القسم الثالث فقال :
إنه مدخول .

وأيده الجوى فى ذلك فقال : وقد صدق ابن أبي الإصبع ؛ فإن ابن
المعز قال : فى أى موضع كان : يريد قوله السابق : « بعض ما فيه »
والكلمة إذا كانت فى العجز لم تسم تصديرا ؛ لأن اشتقاق التصدير
من صدر البيت فلا بد من زيادة قيد فى التعريف يسلم به من الدخّل بحيث
يقول : بعض كلمات البيت فى أى موضع كانت من صدره^(١) .

وهذا رأى يطابق رأى السكاكى فضلا عن مطابقتها رأى الخطيب .
أما ابن أبي الإصبع والجوى فذهبهما : أن الرد لا يصح أن يتجاوز
المصراع الأول تمشيا مع اسم « التصدير » .
ولم ينظم أصحاب البديعيات إلا من القسم الذى يوافق آخر كلمة فى أوله
وهو القسم الثانى من أقسام ابن المعز .
وقد قسم صاحب بديع القرآن رد العجز إلى قسمين :
١ - لفظى ؛ وهو ما سبق ذكره .

٢ - معنوى ؛ وهو ما رابطته معنوية كقوله تعالى : « يا أيها الذين
آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » .
فإن معنى صدر الكلام يتقاضى معنى عجزه^(٢) .
وزاد ابن أبي الإصبع قسما رابعا^(٣) ذهب عن ابن المعز ؛ وهو أن
يأتى فيها الكلام فيه منفى باعتراض فيه إضراب عن أوله كقول الشاعر :
فإنك لم تبعس على متعهد بل كل من تحت التراب بعيد

(١) خزائن الأدب - ١٤٤

(٢) المرشدى - ٢ - ١٥٣ - عروس الأفراح ٤ - ٤٤٤

(٣) خزائن الأدب - ١٤٤

ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم^(١) : المضادة وأنشد للفرزدق :
أصدر همومك لا يقتلك واردها فكل واردة يوما لها صدر
ويرى ابن رشيق^(٢) : أن التصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما
أن التصدير مخصوص بالقوافي ترد على الصدور ، فلا تجد تصديرا إلا كذلك
حيث وقع من كتب المؤلفين وإن لم يذكر وا فيه فرقا ، والترديد يقع
في أضعاف البيت إلا ما ناسب قول ابن العميد المتقدم :
فإن كان مسخوفا فقل شعر كاتب وإن كان مرضيا فقل شعر كاتب
وبرى العلوى : أن رد العجز على الصدر والاشتقاق متقاربان ، وأن
الأول أعم من الثاني ؛ لأن رد العجز على الصدر كما يرد في مختلف اللفظ
فقد يكون واردا في التساوى ، بخلاف الاشتقاق ، فإنه يكون واردا فيما
اختلف لفظه وبينهما جامع الاشتقاق^(٣) .

قيمة التصدير .

أفصح العسكري عن قيمة التصدير بقوله : فأول ما ينبغي أن تعلمه
أنك إذا قدمت ألفاظا تقتضى جوابا ، فالمرضى : أن تأتي بتلك الألفاظ
في الجواب ولا تنتقل عنها إلى غيرها بما هو في معناها كقول الله تعالى :
« وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

ثم ساق كلاما لبعض الكتاب ورد على غير هذا النمط وهو : من
اقترب ذنبا عامدا ، واكتسب جرما قاصدا ، لزمه ما جنّاه وحق به ما توخاه .
وعنده : أن الأحسن أن يقول : لزمه ما اقترب ، وحق به ما اكتسب
ليكون من باب رد الأعجاز على الصدور .

ثم عقب على هذا بقوله : وهذا يدلك على أن لرد الأعجاز على الصدور
موقعا جليلا من البلاغة ، وأن له في المنظوم خاصة محلا خطيرا^(٤) .

ويقول فيه ابن رشيق : فيدل بعضه على بعض وبكسب البيت

(٢) المصدر السابق ٢ — ٤

(٤) الصنائع ٣٧٥ —

(١) المدة ٢ — ٦

(٣) الطراز ٢ — ٣٩٢

الذى فيه أبهة ، ويكسوه رونقا وديباجة ، ويزيد ما تئته وطلاوته (١) .
ويقول الوطواط : يعتبر من العلوم المختارة والصناعات المحببة المقبولة
فى باب البلاغة (٢) .

ويقول الحموى : والتصدير : ما برحت السهولة نازلة بأكناف أذياه ؛
فإنه سهل المأخذ (٣) .

هذه بعض أقوالهم فى التصدير ولم يوفوه حقه .

ورأى : أن وجوه الحسن فيه ترجع إلى أشياء منها :

١ — أنه ممد السبيل ميسر المسلك ذلول المأنى ؛ لمساوقته الطبع وجريه
على سنن الفطرة ؛ فلا يلجأ صاحبه إلى ركوب التعسف واستكراه الألفاظ
واجتلاب العبارات ؛ لأنه ترديد للكلام سابق اقتضاء لإحكام الصنعة ودعم
البناء وتجميل الصيغة ؛ ولهذا كان من النادر أن تشوبه المعاظلة ويلحقه الوهن
ويعتريه اللبس والغموض ، فالمثونة فيه خفيفة والكلفة مفقودة ، ومتى كان
كذلك فلا يعزّ تناوله على متعاطيه ولا يطول الشوط على من يجرى
فى ميدانه .

٢ — هذه الإعادة لا تخلو من تقرير الحكم وتوضيحه وإقناع السامع
به حيناً وإلحاحه حيناً آخر بكلام من جنس كلامه ينفع بقوة الجدل وشدة
العارضة وسرعة الخاطر ؛ فقول الحسن ابن سهل : لا سرف فى الخير لمن
قال له : لا خير فى السرف يتضمن كل ما ذكرناه ، وما قاله الحسن لا يمكن
أن نأخذه قضية مصدقة لمصادمتها للأثار ؛ فإن السرف لا يعد محموداً حتى
فى العبادة ؛ وحسبنا قول الرسول الكريم : « إن هذا الدين متين فأوغل
فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة ربك فإن المنبت لا أرضا قطع
ولا ظهر أبقى » .

(٢) حدائق السحر — ١١٠

(١) العمدة — ٢ — ٤

(٣) خزائن الأدب — ١٤٤

ولكنك لا تستطيع إلا أن تسلم بهذه القضية التي أوردتها الحسن ،
وتدعن لها في مقام الجدل على الأقل ؛ متأثراً بخلاصة المنطق وسحر البيان ؛
٣ - هذا الضرب من الكلام في أكثر أحواله لا يكون ترديداً خالصاً
فحسب ، ولكنه كثيراً ما يتضمن حكمة بالغة أو مثلاً سائراً أو تعليلاً جميلاً
تفيده من هذه الإعادة ؛ كقول أبي الأسود الدؤلي :
وما كل ذي لب يؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب
وقول ابن الأسلت :

أسعى على جل بني مالك كل امرئ في شأنه ساعى
وقول جرير :
سقى الرمل جون مستهل ربابه وما ذاك إلا حب من حل بالرمل
وقول عمر بن أبي ربيعة :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
٤ - اتصاله بهذه النشوة التي تسيطر على النفس ، وهذا الروح والبشاشة
التي تغمر القلب ، وتهدهد الأعصاب ، وتفيض عليها الهدوء والقرار ؛ فإننا
حين نسمع كلاماً يوقننا مستمعته نتمنى استعادته أو الاستزادة منه ، فإذا
ثنى علينا في هذه الصورة البديعة المتجددة ، تضاعف حظنا من اللذة
والبهجة والطرب ؛

٥ - هذا إلى أن مزية البليغ الكبرى قدرته على أن يجذب معه القارئ
أو السامع في رفق وهدوء إلى الغاية المرجوة ، ويحمله على متابعتها إلى المدى
المراد من كلامه دون أن يتخونه الملل أو يعتريه الفتور ، وأنت لا شك
تشعر في هذا اللون البلاغي أنك تسير مع صاحبه جنباً إلى جنب حتى
لتعرف أين ينتهي الكلام وكيف ينتهي مصداقاً لقول الشاعر :

خذها إذا أنشدت في القوم من طرب
صدورها عُرِفَتْ منها قوافيها.

وإن كنت في شك من ذلك فاستمع إلى قول عمرو بن معديكرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وقول مسلم بن الوليد :

تبسم عن مثل الأقاح تبسمت له مزنة صيفية فتبسما

وقول أبي تمام :

إن ينج منها أبو نصر فمن قدر ينجى الرجال واسكن سله كيف نجا

وقول البحتري :

سلبوا وأشرق الدماء عليهم حمرة فكأنهم لم يسلبوا.

وقول منصور بن الفرغ :

شريف لا ترى قولاً وفعلًا ولا خلقاً له إلا شريفاً

وقول البندنيجي :

تقاصرت همم الأملاك عن ملك أمسى الرجاء عليه وهو مقصور

فكل هذه الأبيات وغيرها تعرف فيها نهاية البيت من بدئه كما تعرف
الكتاب من عنوانه ، فتملوك الغبطة لصدق حدسك ، ويفعمك الزهو
لشعورك أنك تشرك الشاعر في شعوره وشعره .

وقد أشار ابن المقفع إلى ذلك في قوله : وليكن في صدر كلامك دليل
على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر : البيت الذي إذا سمعت صدره
عرفت قافيته^(١) .

ويلاحظ أن المولدين أكثر عناية بهذه الأشياء وأشد طلباً لها من
القدماء ، وهي في أشعارهم أوجد^(٢) .

وقد وقع منه المعيب كقول ذى نواس البجلي :

يقيمى برق المباسم بالحمى ولا بارق إلا الكريم يتيمة

يريد : ولا كريم إلا يتيمة البارق .

(١) البيان والتبيين — ١ — ١٠٩ (٢) العمدة — ٢ — ٦

وهذا قد جمع على غنائه بابين من بديع الكلام وهما : هذا الباب ،
وباب الاستعارة .

وقول منصور بن الفرج :

زدناك شوقا ولو أن النوى نشرت بسط الملا بيننا بعدا لزدناك^(١)

وهذا أيضا قد جمع معنيين من البديع وليس بشيء^(٢) .

وقوله أيضا :

إذا احتجب الغيث احتجب في نديه فيضرب أغنيانا له إن تحجبا

وهذا البيت على غاية الغنائه^(٣) .

ويعد ابن رشيق بيت أبي نواس المتقدم :

رقت ورقته مَذَقَه من مائها والعيش بين رقيقتين رقيق

بعيدا من إحكام الصنعة التي يدخل بها في هذا الباب على أنه غاية في

خاته ؛ لأن أكثر العادة أن تعاد اللفظة بنفسها^(٤) .



(١) الملا : الفلوات ذات حروسراب جمع ملاة .

(٢) البديع — ١٠٠ (٣) الأغنيان : النهم جمع غين .

(٣) الصناعتين — ٣٧٨ (٤) الصبغة — ٢ — ٦

الفصل الرابع والعشرون

الجناس في الأدب الحديث*

ربما وقر في الأذهان أن أدبنا الحديث قد تخلص من الجناس كما تخلص من أكثر المحسنات البديعية في ظل النهضة العلمية والأدبية التي عمت الشرق العربي، وأحدثت فيه تغيرا ملحوظا تناول شئون الفكر والسياسة والاجتماع ولكن ترديد النظر في آدابنا العصرية يخلف هذا الظن ، ويدل دلالة واضحة على أن النثر فقط هو الذي استطاع أن يفلت من هذا القيد الذهبي بحكم أنه لسان الحياة وترجمانها ، وضرورة من ضروراتها ، هذا إلى أنه أسبق نهضة من قسيمه الشعر وأفسح صدرا القبول للتأثيرات الطارئة منه ، وأما الشعر في جملة فلا يزال آخذاً بنصيب من هذه الحلية اللفظية يقل ويكثر تبعا لاختلاف الشعراء في بيئتهم ومزاجهم ومناهل ثقافتهم .

ومهما يكن فإنك تستطيع أن تحكم مطمئنا على أنه قلّ أن يوجد شعر عصري خال من شيات جناسية مهما أوغل صاحبه في التحرر والانطلاق من أغلال الماضي !

فالشعراء الذين ضربوا بسهم وافر في التجديد كطران والعقاد وعلى محمود طه وناجي ورامي ومحمود حسن إسماعيل وغيرهم من شعراء الشقيقات العربيات لم يعطل شعرهم من هذه الحلية وإن قل حظه منها .

بل أعجب من ذلك أن شعراء المهجر من سوريين ولبنانيين الذين انتهى إليهم التحرر يطالعنا الجناس في أشعارهم بأشكال ملحوظة ، وحسبنا في ذلك ديوان الشاعر القروي « رشيد سليم خوري » من شعراء المهجر

(*) انظر الفصل العاشر في الجزء الأول من فن الأسجاع ص ١٦٠ ففيه تفصيل مستوعب

للحلي البديعية في عصر النهضة الحديثة .

البرازيلي ؛ فإن هذا الديوان الضخم الذى يبلغ عدد صفحاته تسعمائة صفحة ينذر أن تخلو منه قصيدة أو مقطوعة من لون جناسى أو عدة ألوان لا تعدم أن يكون منها الجناس التام ، وهو أصعب هذه الضروب وأعزها سلكا وأكثرها تكلفا ، وليس ذلك بمنكر ولا غريب إذا عرفنا أن بعض أنواع الجناس كالاشتقاق وشبهه والناقص والمحرف واللاحق ، يعد وقوعه فى الكلام أمرا طبيعياً لا معدى عنه فى أكثر الأحوال ، كوقوع السجع والازدواج فى الخطب الحماسية ، وفى النثر الذى تسيطر عليه العاطفة والوجدان ؛ ولكن يمكن أن يقال إجمالا : إن الجناس فى عهدنا الحاضر لا يأتى مقصوداً للشاعر ولا كثيراً كما تراه فى شعر الساعاتى والدرويش والليثى مثلاً ، بل يسقط فى مواضع مختلفة تفارق دون تعمد لأن بنية القصيدة ، وصياغة العبارة وتلاحم نسجها يقتضيه ويستدعيه .

على أنه من البين الواضح : أن الأدب العربى منذ أواخر عهد إسماعيل أخذ يتخفف تدريجاً من تلك الحلى البديعية على اختلاف أنواعها تحت تأثير عوامل كثيرة ، حتى إذا وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وتلاها شجوب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وانفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية ، واشتداد الوعى القومى فى كل عناصر الحياة أخذ الأسلوب البديعى فى الانحسار سريعاً ، وهان شأن الزخرف والتصنيع ، وأصبح الشأن كله للمعانى الدقيقة تصب فى قوالب عربية جميلة سهلة قوية واضحة ، لا تكدر الذهن ولا تضيع الوقت ولا تسم القارئ ولا تجافى روح العصر ، روح السرعة والإيجاز .

على أنه مما ينبغى أن يعرف : أن الجناس يوجد بكثرة فى شعر الشعراء النابتين فى صدر النهضة الأدبية ، أو الذين يستلمون الماضى ويعجبون بالأساليب العربية السلفية ويهجون على قوايلها ، أو النابتين فى معاهد تعنى بدراسة النصوص الأدبية القديمة وفنون البلاغة بدراسة دقيقة كالأزهر ودار العلوم .

فالبارودى يتفشى الجناس بشعره حتى لا تكاد تبرا منه قصيدة ، وله كثير من المقطعات وقع كلها أو جلاها بجنسا ، مما يدل على أنه كان يتعمده ويحتلبه فى كثير من الأحيان ، ولا يستغرب ذلك منه ؛ فقد كان يترسم خطا الأقدمين فى مناهجهم ويتأثرهم فى أساليبهم ، هذا إلى أنه كان على صلة بعمود الضعف والتهافت ، وحسبه منزلة وفضلا أنه نجا من هجنتها وإسفافها . وتخطى الحدود والسدود واستمد مباشرة من الينابيع الأولى الصافية الرقاقة . ثم هو كثير فى شعر صبرى وشوقى لعنايتهما بالترف اللفظى وأناقة الصياغة وجمال الأسلوب وتوشيه الديباجة ، ولقد يهولك كثرة الجناس فى شعر شوقى حتى لتعذه معرضا لكل ألوانه ، ولكن جناسه يمتاز من جناس البارودى بخفه الظل وقلة التعمل وعدم مجيئه على التتابع والولاء . وهو أكثر فى شعر عبد المطلب لكثرة مصاحبته للأدب القديم طالبا وأستاذا ، ثم لإعجابه بالشعراء البادين ووفرة محصوله من نتاجهم حتى لقب بحق شاعر البادية .

وأود بعد ذلك أن أعرض عدة نماذج لعدة شعراء وجدت دواوينهم مصادفة بين يدى ، فلا يعنى ذكرهم أنهم عندى أفضل من سواهم وإن كان بعضهم يحل الصدر غير مدافع ولا منازع . وهذه النماذج تعطينا فكرة واضحة عن مكانة الجناس فى الشعر العصرى ، وبها يمكن أن نصرح بأن الجناس — وإن دالت دولته — لا تزال بعض أنواعه تندس إلى شعرنا الحديث فتلقى الترحيب والتأهيل .

١ — فى شعر البارودى :

هى نظرة فامن على بأختها فالخمر من ألم الخمر شفاء
كلف تناقله الحمام عن الصبا فصبت إليه الغيد والشعراء
ميدان سبق للخلاعة أشرقت فيه السكيت بغرة غرام^(١)

(١) السكيت كزبير : الخمر فيها سواد وحمرة .

فلا تُلنّى على دمع تحدر فى سفح العقيق فلى فى سفحه أرب
 كأن غرتها من تحت طُرَّتْها فجر بجائحة الظلماء منتقب
 يا من رأى الشادن فى سربه يتيه بالحسن على تربه
 لا الباز ينجو من الحمام ولا يخلص منه الحمام والخرب (١)
 فقلبي تحت السرد كالنار لافح ودمعى فوق الخد كالماء سافح
 منازل حلّ الدهر فيها تمانى وصالحنى فيها القنا والصفائح
 فلو تأملتني والكاس دائرة خلقتني ملكا يختال من مرح
 إذا لم يكن للرم عقل يقوده فيوشك أن يلقى حساماً يقده
 فلا عين إلا وهى عين من البكا ولا خدّ إلا للدموع به خد
 فهم بين مقتول طريح وهارب طليح ومأسور يجاذبه القيد
 أراك الحى شوقى إليك شديد وصبرى ونومى فى هواك شريد
 أتسألنى لبس الجديد سفاهة وأثوابنا ما قد علمت حديد
 وفى الحى ظي إن ترنّمت باسمه تنمّر واشيه وهاج حسوده
 إذا اشتد أورى زندة الحرب لفظه وإن رق أزرى بالعقود فريده
 إذا ما احتساها كريم هدى وإن عب فيها لثيم هذى
 غامان فيّاضان هذا بأفقه يسير وهذا فى طباق الأثرى يسرى
 أقول بطبع لست أحتاج بعده إلى المنهل المطروق والمنهج الوعر
 إذا صلت كف الدهر من غلوائه وإن قلت غصت بالقلوب صدور
 فلا أنا إن أدناني الوجد باسم ولا أنا إن أقصاني العدم بأسر
 يا طير نفّرت عنى طيف غانية قد كان أهدى لى السراء حين سرى

(١) الحرب محرّكة : ذكر الجبارى .

إن دام هذا أضاع الرشد كافله فيما أرى وأطاع الغنى زاجره .
وما كل من ساس الأعنة فارسا ولا كل من ناش الأسنه قسورا
بين جوث مع الغنائم سار وفضاء مع الجداول جار .
فاسرحا وامرحا فقد آذنتنا نسيمات الصبا بخلع العذار
فإذا تغزل فالنفوس نوازع وإذا تحمس فالقلوب نوازي
خل الميرام لفتية الدرس واعكف على صفراء كالورس .
فذوالحزم يرعى القصد في كل حالة وذوالجهل إما مفراط أو مفراط
سكرت بخمر حديثك الألفاظ وتكلمت بضميرك الألفاظ .
متى أنت عن أحموقة الحى نازع وفي الشيب للنفس الآية نازع
فلا السيف مغلول ولا الراى عازب

ولا الزند مغلول ولا الساق ظالع
ورقت لى قلوب الناس حتى بكى لى كل ساق فوق ساق^(١)
أساسة سيف أم عقيقة بارق أضاءت لنا وهنا سماوة بارق^(٢)

٢ - فى شعر صبرى :

ولمى متى ذا الصدع من مضى الهوى عودى ليورق بالتواصل عودى
واستأنفى موصول عائد أنسنا فالقرب عيذى والبعاد وعيذى
يا عاذلى أقصر وكن عاذرى ولا تطل لوى على سهدى .
عذابى به عذب كعذب رضا به

وعذرى أضحى واضحا فى الهوى العذرى
كم ذا أراك تميل عن مضناك يا غصن الأراك

(١) الساق الأول : ذكر الحمام . (٢) سماوة بارق : اسم مكان .

هل البدائع إلا ما جلوت لنا
من نفثة السحر أو من نفحة السحر

إذا كنت يا دزين، زين الأدب فإن كتابك زين الكتب

يا ابن الأثلي رسخت أقلامهم ورست
إذا الأكف مجانين مهاويس

معشر القبط يا بني مصر في السراء م قد كنتم وفي الضراء

إني ليعجبني وقوفي سائلا إذ كنت أنت السيد المسئولا

ولا زالت السحب منهلة وأنت لأذيالها تسحب

تخدد بالخد حشا صبا وكل ما يشكو من الخد

مرحبا بالمديح آيات صدق لم يخالط رؤاهن رياء

صدودك أشجاني وهيّج لوعتي

وأوجد وجدى حين أعدمى صبرى

أنت في الحان في أمان وسلم وهو في معمعان حرب وضرب

قد هيّج الشعراء الثغر والريق وشاقهم كأس صباه ولابريق

من جنة الخلد فياض على ترع تهب فيها هبوب الريح أرواح

ليست زيادته ماء كما زعموا وإنما هي أرزاق وأرباح

٢٠ - في شعر شوقي :

دام الجماعة من أرسطاليس لم يوصف له حتى أدبت دواء

يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى

ويقتضم بعض الأرض بعضا ويقتضب

وإن المجد في الدنيا رقيق إذا طال الزمان عليه طابا

قبلت جهودهم البلاد وقبلت تاجاً على هامتهم معقودا

وتُحسّ ثمّ العلم عند عُبابه تحت الثرى والفرن تحت عُجابه
أم القسرى إن لم تكن أم القسرى ومثابه الأعيان والأفراد
فيارب وجه كصافى النير تشابه حامله والسمر
فى كل عام أنت نزهة روحه ونعيم مهجته وراحة باله
فيها النعيم اقوم والشقاء لهم وبؤس ساع ونعمى قاعد سال
غال فى قيمة ابن بطرس غالى علم الله ليس فى الحق غالى
وطن بالحق تؤيده وبعين الله نشيده
مير عن للبصر السامى ومن عجب إذا أشرن أسرن الليث بالغنم
توارياً بجناح الله واستترا ومن يضم جناح الله لا يضم
لولاه لم نر للدولت فى زمن ما طال من عمده أوقر من دعم
قد مات فى السلم من لا رأى يعصمه

وسوت الحرب بين البهيم والبهيم
فيم التخاذل بينكم ووراءكم أهم نضاع حقوقها وتضام
ناد الشباب فلم يزل لك ناديا والمرء ذو أثر على إخوانه
قد خط شعري على الشعري له جدثا

وخاط من لمحات الشمس أكفانا
وأيّن ماضية فى الظلم قاضية وأيّن نافذة فى البغى فجلاء
اختلاف النهار والليل يُنسى اذكرا لى الصبأ وأيام أنسى
وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسى
غرقت حيث لا بُصاح بطاف أو غريق ولا يُصاخ لحس

الضاحيات الضاحكات ودونها ستر الجلال وبُعد شأو المطلع
أَلقت إليك بنفسها ونفيسها وأنتك شبيقة حواها شَبَّق
خلعت عليك حياءها وحياتها أعزّ من هذين شيء يشفق
والذر والصخرات بما كوَّرت والفيل بما صورت والخرنق
وأنت من المحاسن في مثال فديتك قالباً فيه وقلبا
هم أغضبوك فراح القد مثنيا والجفن منكسرا والحد متقدا
وباك ولادمع وشاك ولا جوى وجذلان يشدو في الرب ويشيد
قف بالواظ عند حدك يَكفيك فتنة نار خدك
جار الشبيبة وانتفع بجوارها قبل المشيب فما له من جار
قلب يذوب ومدمع يجرى يا ليل هل خبر عن الفجر
ما لرب الجمال جار على القلب م كأن لم يكن له القلب جارا
وأنت معين العاشقين على الهوى تسن فنصفي أو تحين فنسمع
أو قابننى فلـكأناوينه ملكا لم يتخذ شركا في العالم الفانى
أهل القدود التى صالت عواليها الله فى مهجة طاحت غواليها
أنتم بنو اليوم العصب نشأتم فى قصف أنواء وعصف رياح
سر رويدا فى فضاء سافر

ضاحك الصفحة كالفردوس ضاح

لو أشأت جاءها ساحله فى حديد وعديد منتصر
اجعل رثامك للرجال جزاء وابعثه للوطن الحزين عزاء
وبذا ما سئمت أو سئمت طاف كالشمس عليها والقمر

أسد تجول بغير ظفر م أو تصول بغير ناب
هناك وقفت أسالك اتأادا وأمسك بالصفات وبالصفاة
عمات في المواكب أم حياة ونعش في المناكب أم عظات
أصم عن غضب من حوله ورضا في ثورة تلد الأبطال أو تند
هانوا وكاوا الأكرمين وغودروا بالفقر بعد منازل وديار
أجل وإن طال الزمان موافى أخلى يدك من الخليل الوافى
في كل سهل أنه ومناحة وبكل حزن رنة وعويل
ألا في سبيل العلم ذاك الدم الغالي وللجد ما أبقى من المثل العالي
ونظام الأمور عقل وعدل فإذا وليا تولى النظام
وحنت نواقيس ورننت مآذن

ورفت وجوه الأرض تستقبل السلا

٤ - في شعر حافظ :

لئن ظفر الإفتاء منك بفاضل لقد ظفر الإسلام منك بأفضل
كثير الأيادي حاضر الصفح منصف
كثير الأعادي غائب الحق قد مسعف
من الأوانس جلاها يراع قى صافى القريحة صاح غير نشوان
قصرت عليك العمر وهو قصير وغالبت فيك الشوق وهو قدير
أنتم الأسبقون في كل مرمى قد بلغت من كل شيء مراما
فليتك تحيا يا أبا الشعر ساعة لتنظر ما يصمى ويدمى ويؤلم
كم خفت في الله مضعوفادعاك به وكم أخفت قويا ينثنى تها
وتيسنى بقدمه وترفنى عند الزحام فسلى وترفنى

لا يصبرون على ضيم يحاوله باغ من الإنس أو طاغ من الجان
 سادوا وشادوا وأبلوا في مناكبها بلاء مضطلع بالأمر معوان
 فترى المعاني الفارسية م في مغاني الأسطر
 هي أم النار والنور معا هي أم الريح والماء الملعين
 أزدت ثم جرجرت ثم ثارت ثم فارت كما تفور القدور
 بالكاس أو بالاطاس أو باثنيهما أو بالدنان فإن فيه شقائق
 فهبوا إلى خمارة قيل إنها قعيدة خمر تمزج الروح بالراح
 وقالوا لها إنا أتينا على ظما نحاول ورد الراح رغما عن اللاحى
 أمور تمر وعيش يمر ونحن من اللهو في ملعب
 فاضحي لآمالنا منعشا وأمسى لآلامنا مرقدًا
 يا سعد إن بمصر أيتاما م تؤمل فيك سعدا
 إن كنتم تبذلون المال عن رهب ونحن ندعوكم للبذل عن رغب
 والحرب في لهب والقوم في حرب قد مدنقع المنايا فوقهم طنبًا
 شبحا أرى أم ذاك طيف خيال لا بل فتاة بالعراء رحيال
 زرتها والشقاء يحرقى ورأى وشعاع الرجاء يسرى أمامي
 لكنها قد فارقتهم م فراق معذور وعاذر
 راعنى من نفوسكن جمال يتجلى في هالة من جلال
 وغدا القوت في يد الناس كالياقوت

م حتى نوى الفقير الصياما

لا تلم كفى إذا السيف نبا صح منى العز والدمر أبى

ورُدوا على الإسلام عهد شبابه ومدوا له جاها يرجى ويرهب

فكم طلبوا منا أمانا فأمنوا

وأمسى لهم في الشرق مسرى ومسرب

والمستشار مكائر برجاله ومعاجز ومناجز ومحزَّب

وما الشركات السود في كل بلدة سوى شرك يلقى به من تصبدا

إذا ما هاجهن أسي جديد هتكن سرائر القلب الجليلد

مُشبع الموت من لحوم البرايا وجميع الجنود تحت البنود

علم الله أن عهد رشاد خير فال برد عهد الرشيد

تلك عقي كل جبار طفي أو تعالى أو عن الحق تعاما

فشهدنا ظله — ا يقال له العد ل وودا يسقى الحميم الحميا .

سكت فاصغروا أدبي وقلت فأكبروا أربي

متى أرى النيل لا تحلو موارده لغير مرتب لله مرتقب

ما لهذا النجم في السحر قدسها من شدة السهر

بكي عالم الإسلام عالم عصره سراج الدياجي هادم الشبهات

ماذا على السارى وهن منائر لو سار بين مجاهل وقفار

ورماهما بمجتلدين رموهما في رتبة الأصفار لا الأسفار

منفّر النوم سباق لغايته آثاره عَمَم آماله أَمَم

وأيقنت أن الدين لله وحده وأن قبور الزاهدين قصور

وعدا القضاء على القضاء فصابه في المقتل

فعلى الراحل الكريم سلام كلما غيب الثرى ليث غاب

لم يعبه أن تجنى دهره رب جد حاد عن مجراه جد
أهني الثرى أم أعزى الورى لقد فاز هذا وهذا خسر
عيون القصائد مثل العيون وشعرك فيهن مثل الحور
ويهضم حق الأديب الأريب ويطمس فضل النبيه الأغر
واعتراف التاميز يا سعد مقيا س لما نال نيلنا وأصابا
فكم صفحت عن الجاني ولم تره وكم غرست وكان المعوز الجاني
• ... في شعر عبد المطلب :

كلها يمت على اليم نهجا صاغت بالامن أيدي الصعاب
وكم صانوا كرامة ذى إباء وكم صاغوا لبائسة حجابا
حي المنازل هذا بعض ما يجب واستحي قلبا على ذكر الحمى يجب
من كل يضاء تزهاتها شمائلها والدليل يقضى بما لا يقتضى الأدب
بنى أمنا أين الخنيس المدرّب وأين العوالى والحسام المدرّب
أفى سكنات الليث للهر مطمع وهل فى عرين الصيد للسيد مأرب
فأسألوهن عن حديث حديث لبنيها يعد فى المعجزات
سافرات ولسن أهل سفور حاسرات من شدة الحسرات
بنى النفر البانين ركن سرائهم على ذى قلال باذخ وسراة
وكننا نرى أم اللغى قبل عاطف فريسة عاث بالمعارف عاتى
حياة ورثناها بيانا مفصلا بها يثفلق الذكر الحكيم ويفلج
فقدنا فى شمائله رياضا لنا من طيها روح وراح
هلا نهى القلب عن غى الغرام نهى جرى على نهج أشياخ أما جيد

وبرق يلوح وطيير ينوح _____ وحاد له في المطايا نشيد
 شمائل لو أن الشمال سرت بها _____ على الروض حيًا نوره كل رائد
 مع الله في ركب السلامة يأسعد _____ يساره باليمن طالعك السعد
 لله من أبنائنا نفــــر _____ طوعا إلى آجالهم نفــــروا
 وما الدهر إلا دولة ثم صولة _____ فذا مقبل يسعى وهذاك مدبر
 وبكى المكس إذ تذكر ماسيم م _____ بنو مصر من هوان ومكس
 في مسرح الأمن ومسرى الحيا _____ مذ كنت لم أشك ولم أفجع
 وتلهو بمخضر العباب كما هت _____ سوام بمخضل من التبت أمرعا
 لا يُضنيع الكريم عهد إخاء _____ نفحات الوفاء فيه تضوع
 تحكى الجوارح ما تلقى الجوائح من _____ جوى إذا حل في طود يزعرعه
 يا أبا المعجزات وهى قواف _____ ساحرات البيان غير خوافي
 تُمضى ليال بين ظلم وظلمة _____ طريد الكرى في جوف أغبر مطبق
 فتضيت منى بالدلال مئى الهوى _____ وقضيت منك لبانة المأفوك
 وذليل من لا يؤيده الشعب م _____ وإن حل منه أسى محل
 ومعاهد نشر الحياة بها الحيا _____ فالعيش أخضر والنعيم ظليل
 فالعلم مقروح الحشا سام _____ يندب فيه العالم العامل
 نطيف بمكسال اللحاظ إذ ارنث _____ رمت فأتاب الليل وهو ذليل
 تبشر آمالى بحسن مالى _____ كأن الليالى آذنت بزوال
 فكم ليلة قضيتها رجوانى _____ صواد على جمر السهاد صوالى
 أهام ، وهل أمانى غير كأس _____ تدور بها الندامة لا الندامى

أغرى بك الشوق بعد الشيب والهرم
سار طوى اليد من نجد إلى الهرم
تلك أيامى بأكناف الحى لاأرى غير الحى إلا الحاماً
فقلبي مفقود وطرفى مسهد ونوى مفقود وصبرى فانى
ناع بكى، ملاً البلاد أنينا ينعى مصر وللشأم وأميناً،
يعارضهم بالآى وهى مينة فيعرض عنها معشر جهلاء
ظنوه من هجر المقام تصابى فسقوه من هجر الملامة صاباً
مصر لنا إن جار أو عدل الورى من عهد سام فى الأنام وحام
كره العيش بين أبناء دنيا خلقوا من تنافر وتنافى
٦ - فى شعر الجارم :

سفرت به البشرى فطاح قناعها عمدا وطار مع الهواء نخار
كلما خار أجزاء بسمة منه م فقد الخطا حثينا وجداً
عصفت به هُوج نخر معفرا وجنى عليه الحزين قبل سجناته
والعربية أندى ما بعثت به
شجوا من الحزن أو شدوا من الطرب
تهفو إليه بنات الحى معجبة والحب ينبت بين العُجب والعجب
ليس الذى ينفق من يسره مثل الذى ينفق من عسره
كانت أحز من المدى وأحد من غرب الظبا يسلان يوم طراد
يحى القضاء رماه فى ريعانه سهم القضاء قسا له من فادى
من لى بذاك الوجه بين غصونه أسطار أسرار الحياة بوادى

فقال : قضى قلنا : قضى حاجة العلا

فقال : مضى قلنا : بغير ضريب

وليس تراب الأرض غير ترائب وغير عقول حطمت وقلوب

٧ - في شعر الأسمر :

كنز بنساء « جواهر ، فيه الجواهر والدر

كان بني التامير ، خوفو ، أبام وجذّم مينا ، وليسوا هم منّا

شد ما تلقاه في مصر فلا سبدنملك فيها أو لبس

تلك الحروب وهذه أهوالها فني يزول وبأوها ووبالها

وجيش مر بالوادي به ماشئت من شوش وششمس

ما أفدناه حين طرنا وغصنا غير أنا صرنا وحوشا ورجنا

فلا رجعت تلك الليالي التي دجت على كل أرض بالغواشي الغواشم

كالشيب أهيأ على من راح يصبغه

فلاح يلبع مثل الفجر ناصله

من رُبا النيل إلى دار السلام وإلى دجلتها ألف سلام

شاعر هام بالجم ثم عاداه ثم عاد فجنا

بتنا بها ناكل أكلا وما شكونا بشما ألكا

مواقف الدل أولى أن يظل بها من ليس يعصمه علم ولا علم

إن لاح خير قره بوه ويسروا أو لاح شر باعدوه وعسرو

عشت معافي يا أبا مرتضى مؤتلقا كالصارم المنتضى

حسبت يا د خاطر ، أن الذي جئت به لم يجر في خاطر

مات من كنت لديه واحدا من ولديه

ستدركنا المنون ولو ركبنا جناح البرق أو متن البراق
يرخص فرط الحزن في الدمع بعدها

ويرخص منه كل ما كان غالبا

أين التي إن يدع داع للهدى لاحت أمام الناس وهي إمام
تعاليت لم تدركك أبصارنا وما بعدت ولكن أدركتك البصائر
الحوت نصطاده من قاع لجته والتوت نقطفه من فرعه العالی
هذا إلى غير هذا لست أذكره

وكيف حصري ما يفضي إلى الحصر

ومصطفى مثل اسمه مصطفى يجمع بين الحسن والحسنى
يا أبا شامل وفضلك فينا شامل كل مالمدي الفضلاء
وأشرف ما يسعى له المرء غاية مغانمها محمودة والمغارم

٨ - في شعر محمود غنيم :

طحنت فريقيها الحروب بضرسها لا غالبا رحمت ولا مغلوبا
يضي على هذا الوجود وجوده ظلا ويكشف عن بنيه خطوطا
أمت و متمعة كل عين حورها وحوارها للروح خير متاع
الشرك في الأوطان شرك آخر وطن الكريم الحر خير مشاع
كيف الغواني والمغاني بعدما طمس المغير بجيشه آثارها
الشط داج والسكون نخيم ما بال ثغر الثغر لا يتبسم
ليس الولاية بأرباب مصفرة يارب مولى سواد الشعب مولاة
وأطيب ساع الحياة لدينا عشبة أخلو إلى ولدنا
فأنسى عذارى وأنسى وقارى وأحسب أنى عدت صيا

نشر القضية وهي سر غامض حق أحس لها الوجود وجودا
 هكذا العمر والحياة زوال سنوات تمر مثل سنوات
 في هوفرعون بل في ساحة الحرم ترنحت ثم مالت صفحة الهرم
 جناية قتل أنت بعض جناتها لك الله مجنيا عليه وجانيا
 غدت تصهر الناس مثل الجليد ولكن في مصر شعبا جليدا
 بالأمس هنأته بالعقد إذ عثدا واليوم شيعته بالدمع إذ فقدا
 حبيبت في شخص الجمال، بله حوى شطر الجمال (١)
 بغداد تحكم في الوري حكم الموالى في الموالى
 هذا العصامي العظامي الذي أكبرت فيه تقابل الأضداد
 حلت للإسلام سيرة أحمد خللتها للناس لغزا مبهما
 يحكي عصا موسى إذا ألقته ألقته فوق الصحيفة أرقا
 وأراني إذا أصابك سوء أبدل النفس والنفيس فدامك
 قناعة بأس وعفاف عاف وما أحلى العفاف من العفاة
 ٩ - في شعر الدكتور ناجي :

قت مذعورا وهمت قبضتي ثم مدت ثم ردت من خور
 يا فؤادي رحم الله الهوى كان صرحا من خيال فهوى
 أهرب من بأسى لكأسي التي أدفن فيها أمل الحيا
 إني على يأسى وكأسي كابي وعلى سراي عاكف وشرابي
 غال الزمان ضبابها وحبابها وتبخرت أحلامها ورؤاها

(١) الجمال : الأستاذ فاضل الجمال العراقي .

حان الفراق وأن للحزون م أن يتبسما
 أين منى مجلس أنت به فتنة تمت سناء ومنا
 قف يا فؤاد على المنازل ساعا فهنا الشباب على الأحبة ضاعا
 في لحظة يقفز فيها دى وتعقد الدهشة فيها فى
 كأن فراشا حائرا فى الدثنى فى نورها أو نارها يرتى
 فكل ما قيل وما لم يقل عن فضلك الجهم الغفير الوفير
 غيث على القفر حيانا وأحيانا يا شاعر الجيل كان الجيل ظمأنا
 أنت إن تؤمنى بحى كفانى لا غرامى ولا جمالك فانى
 مُستى نلتها كانت لأنفسنا منى تلفت تجد مصرا بأجمعها هنا
 كيف يبكى منكم الباكي على علم لُفَّ شهيدا فى علم
 رجل أرى بالله أم حشره سبحانه من بعبيده حشره
 وبه شتى لحون من أسمى وحنين وأنين وتمنى
 أتمن فى الهجر حتى ترانا بكينا دما واحترقنا فما
 فإذا رأيتك كنت أنت الناس م والأعمار والآباد والآماد
 قدّم الروح إليها ومشى ثابت الخطوة جبار القدم
 ويرف مثل الزهر وهو ندى ويخف مثل عرائس الحلم
 اسقنى واشرب على أطلاله واروعنى طالما الدمع روى
 وأنا أقتات من ونم عفا وفى العمر لناس ما وفى
 قلت للنفس وقد جزنا الوصيда عجلي لا ينفع الحزم وثيدا
 هيا فما فى الأرض من مطمح ولا أرى لى بعدها شيئا

سعت في ساحة موسومة بدم _____ منقوشة بندوب الحب والندم

١٠ - في شعر رامي :

ضاح نشري وضاح في الجو لم م _____ بنشقه إلا لوافح نذوبني
وعباً في كل جـار _____ عذب من الأنهمــــــــــــــــار
إنما يحمل الصباح ويحلو _____ بأنين من شدوها وحنين
وذوى قدما الرطيب وقد كا _____ ن حليبا بزهره فينا
من غرام مبرح وشقاء _____ في حياة ميسورها معسور
أسكوت والكون جم المعاني _____ وسكون النفس في ثوران
أه لو أكشف الخبثا من أمرى م _____ وأدرى الخلاص بما عثاني
حزن على الماضي وخوف عاجل _____ بما يخفي آجل الأعوام
كلهم فاقد وأنت فقيـد _____ وحـد الحزن في اختلاف الشقاء
أصون كرامتي من قبل حب _____ فإن النفس عندي فوق قلبي
وسفحت أسراب المدامع من دمي _____ والدمع والدم منحة الأحياب
أحيا حياة أنت مجلى حسنـها _____ وأنا مجال الهم والأوصاب
رنة العود شدوها وصداها _____ حنة الناي أو أنين الكمان
وجرت دمعـة فكانت شفاء _____ للبعثى ورحمة للعاني
ونبصر بدر الدجى زاهيا _____ برصع أعطافه بالبدر
غرة كالصباح رفت عليها _____ طارة في سواد جنح الليالي
في سكون الماء والبحر ساج _____ والسحاب الثير في الجو سار
سميتها أحلام من طول ما _____ ناجيت في دنياى أحلامي

أوساهرا تحت الدجى ساهدا أردد الشكوى بأنغامى
هل كنت فى الدار على مسمع وانهل من فرط الشجى مدمعى
ومن بين المالك لا يبالى بهدم العرش أو هدم اللواء
واجمل سماء المغانى تدوى بعذب الأغانى
لست أدرى أدلالا كان منها أم ملالا
والتقينا لا سلام تهادى أو كلام
وأنا قلبى حزننا أرسل الشكوى وأنا
رغم الدوح ورن الجدول وسرت فى الجوى أنفاس العبير
فتذكرت الذى كان راحا حين أفيناه أنسا ومِراحا
وبكى قلبى مـمـا ذاع فى الكون وشاع

١١ - فى شعر الشاعر القروى ، رشيد سليم خورى ، :

يا لها من دقيقة دق فيها عنق الظلم واستقام النظام
يا قالى عرش المظالم قلبنا ما زال فى رمضان يتقلب
ترى اللظى فى جوفها هازئا يا لك من محترق محتير
كالغيث فى استقلاله وسخائه والليث فى وثباته وثباته
طرقت ضياعها غدرا فشمنا ضياع الأمن فى تلك الضياع
إلهى رد مالك من أياد على وطنى ورد له الإيادا
فالبر من عصفها أطواده قصب والبحر من قصفها أغواره قم
فابسطوا يا كرام يمينى ويسرى تملآن البلاد يمنا ويسرا
يحق لكم أن تستخفوا بهائم فما هو من يرضى بعيش البهائم

وصوادح الأطيّار كم من معبد منها يسبح ربه في معبد
 خفت لنجدة العاني سريعا غضوبا لو رآك الليث ربعا
 يبلغه مكان الفهم منكم وصيغته كلوم لا كلام
 أيها الخالد معنى لم تزل بالذكر معنا
 رب جفن من البكاء قريح فوق جفن تحت التراب قرير
 غلت الشفيق على أبيه وأمه وهدمت فيه عماد بيت عماد
 سأمي الحجا حلو الشمائل سائغ مثل الشمول تعرضت للشمال
 أيا وطني المنية فيك من لذائقها والاستشهاد شهد
 ونظّل نخلق كل يوم طارقا حتى تكف طوارق الحدّان
 إذا حُسم القضاء فلا سلاح برد الموت عنا أو صلاح
 ذهب الزمان بهم وهم يتهافون على الذهب
 يابنت خير أب يا أخت خير أخ من بيت أشهر معروف بمرّوف
 أين البابل من إنشادها سحرا من شاعر عربي إن شدا سحرا
 عاطيته الحب أنقى من مشاربه والمبدأ الحر أبقى من زوايه
 حزت على الفقر فيه مالا يحوزه من يحوز مالا
 من عنب فاخر وتين عافية القلب والوتين
 الفجر من أبوابه والدر من حجابه والزهر من حُجابه
 ما أهل الهلال إلا ببشرى تملأ الأهل والمنازل بشرا
 أمان كتابك يا هائمة ونفسي بليلى الأسي هائمة
 يا عروس الجمال كوني وديعه واكلّي الحسن فهو فيك وديعه

وإني لمغرى بالإنكارم مغرم بكل سنيّ فضل جمّ محامده
 كيف تشكو وأين منك حسين ذلك الملهم الأريب الأدب
 ومن جدل خفيف الظل م لا يبرى ولا يـ يرى
 يا حبيب الفؤاد لست بنير دخيب في نظمه العقيانا
 لا تخفنا على الحسان فإنا قد وجدنا هوى الحسان هوأنا
 النبيل في وجهه بلوح والمسك من عطفه يفرح
 هان القريض على ذى ثروة نيزق
 لا يعرف الفرق بين الضرب والضرب
 نالوا الثراء بحرب لا ضمير لها
 جرّت على الصيد ذيل الويل والحرب
 أنى كل يوم للكثانة عوالة على ليث غاب غاب في الحفريات
 لو كان يعرف من يأويه منزله لهز عطفيه من عجب ومن عجب
 رفيقك في عمر الجهاد ويسره رمته يد ترمي من الأفق النسرا
 يا هلال السماء ما حاجة الأرم ض إلى أنور وهي شعلة نار
 يازكي الأخلاق يازاكي الغر س أدلا هجرتنا أم نفارا
 والاتباع للبين بين ضلوعى يتلظى نارا ويذكو أوارا
 وما سام بالإحسان إلا مجرب وإن سام عنفا فائل الرأي ذاهبه
 وسأله تنفع بالكرامة كلما وخاشنه تلفح بالهوان وتزدرى
 من ذا يباهيك بالعلياء مفتخرا ومن يباريك في الهيجاء مفتحا

وريجان لصاحبه وراح وقرة ناظر وشفاء غلة
إذا ضلوا الطريق رأوا نجاتي، منار الأمن مشكاة النجاة
في كل داجية في كل عادية مثنى «أبو علم» يخال بالعلم
وإذا ما اجتويت شعري فشعري حباب الكرم بالزال النفير
وثيننا العنان عن منهل الرا ح إلى منهل القراح الطهور
إن غاب عنه أن مشتاقا م وإن وافاء غنى
هذه السيقان بجـ ا ر ذكا في القلب جـرا
وكلنا قد نـ بر الصبابة وجرب الحب وذاق صابه
ولم أر في عسر مقـ را بذلة ولا ساحبا ذيل الخيلة في يسر
لنا الشعر والشعري لنا كل باسق من السود د العادي والحسب البكر
دع عنك ما عتقت قـ طر بـ ل فـ نا حـ لا الورود وحل السكر والسكر
أمدحه أوفاحده ليس عليك من حـ رج فإن الحمد من أسمائه
إن للباطل الكمين اعتلاء هو من بـ عـ دـ كـ ثـ بـ مـ هـ
يوم حـ طـ ين حـ ط كل رفيع منهم طاول السمك سناؤه
الحجج البيض خين ترسلها كالبيض منسوبة إلى الين
وهل بلغت المنى لما بلغت منى ونلت سؤلك بين النسفع والعلم
مصر فيها أعضاء نجم السعود بإمام الجزيرة ابن سعود
على أن للبيض الحسان مواقفا تحدث عنها ألسن البيض والسمر
بني مصر قد جدّ النزال بجددوا عزائمكم وابغوا السييل إلى النصر
فإن أتم قلبتو ظفر بطشهم ظفرتهم وإلا فأسلام على مصر

وقد تسفر الأحداث عن طيّب المنى
 وياربمعا عسر تبكشّف عن يسر
 وتشبث بالستر والـ تزم البا ب وعد بالحنى ولد بالمقام
 أبا الحسنى أبا الحسن نعمت بخلفك الحسن
 أرى الدول الكبرى لها الغنم وحدها
 وقد عادت الصغرى على رأسها الغرم
 عتاب رق كالزهـ ر البسيم وراق كأنه صفو النعيم
 وأميلي على عطفك عطفاً أتقياً ظل الغصون الرطاب
 لو يدرك المأمول بالأدب أدركت ما أملت من أرب
 أستغفر الأخلاق ما حسبي يرضى الدنية لى ولا نسي
 وما صدقوا فإن الحرب فامت عليهم بالنضار وبالنضارة
 ولا وسمحون، حين رجوت سمح ولا وسمودة، عندى حميد
 يا حديثاً فى المسرة لقن القلب المسرة
 لم تلدها حواء بل هى حورا جنان قد أفلتها الجنان
 على أنه روى غليل جوانحي وروى أحشائي وأنعم بالى
 فله درّى حين أغضى مهابة لرب جمال زارنى وجلال
 كيف حالت حالى فلا الورق فى الأو راق تشدو ولا الهزار يغنى

تم وكل بحمد الله

فهرس الكتاب

يقع في الغالب في الصفحة

الفصل الأول

الجناس : تسميته . اشتقاقه
 علة تسميته . ضبط اسمه . اختلاف علماء اللغة في اشتقاقه . مادة الجنس
 في تصرف حروفها وما تدل عليه . أقسامها المهيمنة والمستعملة . لفظة
 « وسق » وقول « و » كلم ، ودلالة تراكيبها . الاشتقاق الكبير والصغير
 ومزية ثانيهما في الاستعمال . القرابة بين الكلمات المشتقة من أصل واحد
 والأسماء الموضوعية لمعنى واحد . محاولة العبث بإيجاد روابط بين الألفاظ
 ومعانيها . حد الجنس عند علماء البديع واعتراض الصقدي عليه وتكلفه
 تعريفاً له . أحسن تعريف له ولا يسرها . فرار بعض العلماء من تعريفه
 إلى ذكر أنواعه

تعباً لتلخيصها

الفصل الثاني

أصالة الجنس
 قيمة الجنس عند ابن المعتز . تعريفه للجنس وشرحه لمعنى الجنس
 وسوقه الأمثلة المختلفة على ذلك . تقسيمه للجناس وعرضه لبعض
 الأقسام بالتعريف وبعضها بالتعميل مع إيراد شواهد للجناس المريب .
 سبق المتقدمين إلى الجنس وإن لم يعرفوه بهذا الاسم وترجموا المولدين
 خطأ . ابن المعتز أول من سماه بذلك وجمع أنواعه . تسمية العجاج له
 عطف الرجز . هل فكر أرسطو في الجنس ؟ مقابلة بين فقرته له

ولعبد القاهر في ذلك . رأي الدكتور سلامة في تأثر عبد القاهر للعلم
 ١٢ الأوفى وانتقال الجنس من اليونانية إلى العربية . رأى المؤلف في اللغة
 هاشم الجناس من حيثين في نظامه وسوقه لذلك دليله على ذلك لغته كما يتعلمان .

الفصل الثالث

قيمة الجنس ١٨ - ٣٠
اختلاف البلغاء في قيمة الجنس وأقوالهم في ذلك . إفراط الصلاح
الصفدي في مدح الجنس وإيراد نموذج له . غلو ابن الأثير في قيمة الجنس
وعده سبباً لوضع الكلمات المشتركة ومتابعة العلوي له على ذلك . تسفيه
ابن أبي الحديد لرأيه بالردود المفحمة . رأى الدكتور مندور في التجنيس .
تعصب الحموي على الجنس وإفراطه في ذمه وذم متعاطيه وإنكاره لرأى
الصفدي فيه . رأى ابن رشيق في بعض أنواعه . مقياس جودته عند
عبد القاهر والتتوخي وغيرهم . حملة ابن خلدون على كتاب المشرق
وشعرائه من أجل التصنيع . تجميل الجنس بتضمينه التورية في رأى
الحموي والسيوطي . سر الجمال في الجنس الجيد .

الفصل الرابع

الجناس بين الطبع والصنعة ٣١ - ٥٦
عماد الجنس الطبيعية المواتية . سبب استحساننا لبعض ألوان الجنس .
أثر الموسيقى في رفع شأن الكلام . أمثلة شتى للجناس المعيب ونقدها .
ولوع أبي تمام بالجناس في شعره وكثرة وقوعه في القبيح منه . نقد
الدكتور طه حسين لبیت شوقي : ما كان نهر سقاريا . . ورأى المؤلف
في ذلك . نماذج متنوعة للجناس الجميل ونقدها . بحى الجنس غير مقصود
مع التمثيل له . أمارات الجنس المطبوع مع إيراد شواهد وتحليلها
ونقدها . تساوى اللفظ والمعنى في الجنس المطبوع . وجوب ترك
الجناس إذا تسبب عنه ضعف المعنى والتدليل على ذلك من القرآن .

الفصل الخامس

أقسام الجنس ٥٧ - ٦١
اعتماد ابن المعتز الاشتقاق وشبهه أساساً للتقسيم دون أن يسميهما . تمثله

لبعض الأقسام الأخرى كالتام والمحرف . جناس الاشتقاق والمطلق
أكثر الأنواع لقربه من الفطرة . متابعة قدامة لابن المعترف أساس
تقسيم الجنس . تقسيم أبي هلال العسكري . زيادته على ابن المعترف في الأنواع
وإكثاره من الأمثلة النثرية والشعرية . عييه في سوق الأمثلة بلا ترتيب
ولا نظام واختلاط الأقسام عليه . تقسيم القاضي الجرجاني . الأنواع
التي عرض لها ابن رشيق . اضطرابه في إيرادها والتمثيل لها . امتيازها من
العسكري في الإكثار من النقد والموازنة والاستطراد المفيد . تقسيم
الوطواط . تقسيم ابن الأثير ومخالفته لمن سبقه دون جدوى . لمحاته
الفنية الدقيقة واستقلاله برأيه وتحكيمه الذوق الخالص . تقسيم السكاكي
والحلي والحموي والصفدي والخطيب ومنهجهم في ذلك . مرجع الاختلاف
في زيادة الأنواع ونقصها عند المؤلفين .

الفصل السادس

الجناس التام ٦٢ - ٨٦
تعريفه . ما يجب أن يتفق فيه الركنان وما يسوغ الاختلاف فيه . اختلاف
العلماء في تسميته . صلة الجنس التام بالاشتراك اللفظي . أقسام الجنس
التام عند الجمهور . الجنس التام المائل وأمثله ونقدها . تمثيل لما ورد
منه في القرآن والحديث ومناقشة ذلك . الجنس التام المستوفى وأمثله
ونقدها . الجنس التام المركب ورأى العلماء فيه وبيان حقيقته . جناس
التركيب الملفوف والمرفوف وأقسامهما وأمثلهما ونقدها . الجنس التام
في جملته يكثر فيه التكاف . ولوع الشعراء المتأخرين ببعض أنواعه .
قيمة الجنس التام وآراء العلماء فيه .

الفصل السابع

الجناس المحرف ٨٧ - ٩٢
اختلاف العلماء في تسميته . علة تسميته بالمحرف . تعريفه . أقسامه مع

التمثيل لها ثراً وشعراً ونقد ذلك . أبيات لجمل العذرى محرقة الجناس
ر ورأى الحوى فيها . نقدها وتزييف نسبتها إلى جميل . ماجاء من المحرف
في القرآن والحديث . القيمة البلاغية لجناس التحريف .

الفصل الثامن

الجناس الناقص ٩٣ - ١٠٠
تعريفه . علة تسميته واختلاف العلماء فيها . أقسامه وصورها مع التمثيل
لها . المردوف . المكتنف . المطرف . المتوج . الزائد . المذيل .
اضطراب العلماء في المذيل والمطرف . سر الجمال في المطرف وما قيل
في ذلك .

الفصل التاسع

جناس القلب ١٠١ - ١١٣
أسماءه ووجه التسمية . تعريفه . قلب الكل . أقسامه والتمثيل لها . المنجح
وآراء العلماء فيه . لطائف قلب الكل . قلب البعض وأمثله من النثر
والشعر . نقد أبيات في قلب الكل والمقلوب المستوى . قلب العكس
وقلب الكلمات وأقسامهما والتمثيل لها .

الفصل العاشر

جناس الاشتقاق ١١٤ - ١٢٢
تعريفه والمراد منه . اختلاف العلماء فيه . مذهب ابن الأثير في الاشتقاق
والرد عليه . التمثيل له من النثر والشعر .

الفصل الحادى عشر

شبه جناس الاشتقاق ١٢٣ - ١٣١
اختلاف العلماء في تسميته وأشهر أسمائه . الفرق بينه وبين الاشتقاق .
مذاهب العلماء في الاشتقاق وشبهه . أمثله الجيدة من النثر والشعر .

الاشتقاق من الأسماء الجامدة . أمثله الزديثة ونقدها . الأيات أولاد
الشاعر . خلط العلماء بين أمثلة الاشتقاق وشبهه .

الفصل الثاني عشر

الجناس المضارع ١٣٢ - ١٣٥
أسماءه وتعريفه . شرط تحققه . مذهب السكاكي فيه . وجه تسميته
بالمطمع . تسمية قدامة له بالمضارع . صور المضارع والتمثيل لها وسر
الجمال فيها .

الفصل الثالث عشر

الجناس اللاحق ١٣٦ - ١٣٩
تعريفه وعلة تسميته . دقة الفرق بينه وبين المضارع والتباس ذلك على
العلماء . إطلاق بعض العلماء عليه اسم التصريف والمطمع والخلاف في
ذلك . صور الجناس اللاحق وأمثاله من النثر والشعر . التمثيل له من
القرآن الكريم . نكتة طريفة في مثال له من شعر البحري .

الفصل الرابع عشر

جناس التصحيف ١٤٠ - ١٤٦
أسماءه وعلة تسميته وتعريفه . التمثيل له من النثر والشعر . اجتماع
التصحيف والتحريف . تصحيف منسوب إلى علي ومعاوية وتزييفه .
أمثلة للتصحيف المتكلف . وقوع التصحيف من غير قصد حيناً . بدائع
المأثور من التصحيف . جناس الخط وجناس اللفظ .

الفصل الخامس عشر

الجناس المعنوي ١٤٧ - ١٥٩
إغفال أكثر البديعيين له واقتصار بعضهم على نوع منه . اهتمام المتأخرين
به واعتباره من الطرف الأدبية . تعريفه وتقسيمه إلى جناس وإضمار

وإشارة . وحد كل منهما وطبيعته . أمثلة مأثورة لجناس الإضمار وتحليلها .
ونقدها . أسماء جناس الإشارة وسبب وروده . الفرق بينه وبين جناس
الإضمار . أمثله وتحليلها ونقدها . قيمة الجناس المعنوي وآراء النقاد
في ذلك .

الفصل السادس عشر

ألوان الجناس ١٦٠ - ١٦٣
الجناس المزدوج . تعريفه وأسماءه . شروطه عند بعض العلماء . أمثلة
لأنواعه من الشعر والنثر . الجناس المعتل . الجناس المقصور . جناس
التنوين . جناس الترجيع . الجناس المضاف . الخلاف فيه بين القاضى
الجرجاني وابن رشيق . الجناس المتوازن . الجناس المشوش . اشتقاقه
وأمثله .

الفصل السابع عشر

أشياء اختلفت فيها الأنظار ١٦٤ - ١٧٢
الاشتقاق والمطلق . المشتقات مع الأفعال والرأى الراجح في ذلك .
اتفاق معنى اللفظين واختلاف مفهومهما بالقرائن . نظرة ابن الأثير
والصفدى إلى ذلك . حقيقة اللفظ مع مجازه واختلاف ابن الأثير وابن
أبي الحديد في ذلك . الموضوعات المختلفة المتحددة الصفات ورأى ابن أبي الحديد
والصفدى . المشتقات مع العلم المنقول عنها أو الاسم الذى يتفق معها
في الاشتقاق ورأى ابن الأثير في ذلك . العلم المنقول عن المصدر مع
مانقل عنه ورأى الحضرمى . الاسمان أحدهما علم لرجل والآخر لقبيلة .
ورأى القاضى الجرجاني وابن رشيق . العلم لشخصين مختلفين . الاسماء
المشتقة بعضها مع بعض وآراء البلغاء في ذلك .

الفصل الثامن عشر

الجناس والتورية ١٧٢ - ١٧٥

رأى الحموى في تخفيف ثقل الجناس التام ورفع منزلته . تحويله إلى تورية مع التمثيل لذلك . العدول عن الجناس إذا أمكنت التورية . تعسف الحموى في مذهبه وتكلفه الشواهد . رأى المؤلف في هذا التصنيع ونقده لما قالوه .

الفصل التاسع عشر

الجناس والمطابقة ١٧٦ - ١٨٣

المطابقة عند البلغاء . مخالفة قدامة لإجماع العلماء في ذلك . المطابقة والجناس عند قدامة . أفضل تجنيس عنده . إنكار العلماء لرأى قدامة وردودهم عليه . الطباق كان معروفاً للخليل والأصمعي . الأشياء التي اختلط فيها التجنيس بالمطابقة . الاشتراك اللفظي . طباق النقي . طباق الأمر والنهي . طباق الوعد والوعيد . الطاعة والعصيان . اختراع المعرى لهذا النوع والقول الحق في ذلك .

الفصل العشرون

الجناس والترديد ١٨٤ - ١٩١

تعريف الترديد لغة واصطلاحاً . اختلاف العلماء في ماهيته واختصاصه بالشعر أو شموله الشعر والنثر معاً . كثرة التناقض في مناهج المتقدمين . المقتضرون على نظم الترديد من البديعيين وتمثيلهم له . أنواع الترديد وأقل ما يطلق عليه اسمه . خلط ابن الأثير بينه وبين التكرير . قلة الترديد في شعر القدامى وكثرته في شعر المحدثين وأمثلة ذلك . ألوان من الترديد الفائق والمستحسن ونقدها . اختلاف العلماء في غده من الجناس . قيمته البلاغية وآراء النقاد في ذلك .

الفصل الحادى والعشرون

الجناس والتعطف ١٩٢ - ١٩٧

معنى التعطف وسر تسميته بذلك . أول من بدأه من الشعراء . اضطراب العلماء فى تطبيق الأمثلة عليه . التمثيل له من رواية البلغاء القدامى . التمثيل له من القرآن . الفرق بين التعطف والترديد عند العسكرى والجموى . قيمة التعطف عند الجموى . التعطف فى شعر البارودى .

الفصل الثانى والعشرون

الجناس والمشاكلة ١٩٨ - ٢٠٢

تعريف المشاكلة لغة واصطلاحاً وأشهر تعاريفها لدى البلغاء . أمثلتها من القرآن والحديث والشعر وشرح ذلك . اختلاف العلماء فى بعض الأمثلة القرآنية . صلة المشاكلة بالجناس التام وتشابك أمثلتهما وآراء العلماء فى ذلك . صلتها بالطباق ومراعاة النظير . ذكر ابن رشيقي لها فى باب التجنيس . المشاكلة عند الرماني . عدها من المحسنات اللفظية عند بعض البلغاء . الفرق بينها وبين الجناس .

الفصل الثالث والعشرون

الجناس ورد الصدر على العجز ٢٠٣ - ٢٢٠

أسماء رد الصدر عند العرب والفرس وأخف هذه الأسماء وأليقها به . وقوعه فى النثر والنظم وتعريفه فى كل منهما . اختلاف العلماء فى اعتباره من الجناس . صحة وقوعه مع الجناس فى مثال واحد . التصدير عند قدامة . أمثلة التصدير النثرية من القرآن والحديث والشعر وانطباق بعضها على الجناس . التصدير فى الشعر وأقسامه وأحسن أنواعه مع تحليل أمثلته ونقدها .

الفصل الرابع والعشرون

الجناس في الشعر الحديث ٢٢١ - ٢٢٣

تخلص النثر الحديث من الجناس دون الشعر وعلة ذلك . اختلاف الجناس
كثرة وقلة في الشعر الحديث باختلاف الشعراء . تعذر خلو الشعر من
الجناس وسبب ذلك . وجود الجناس في شعر المجددين وعلة ذلك .
ألوان الجناس التي تقع في الشعر الحديث . الشعراء الذين يكثر في شعرهم
الجناس بأنواعه . الأسباب التي مهدت لنبذ الحلي البديعية في العصر الحديث
إجمالاً . ولع البارودي بالجناس وعلة ذلك . نماذج متنوعة للجناس
في شعر البارودي وصبري وشوقي وحافظ وغيرهم من العصرين .

المراجع التي مر ذكرها في الكتاب

مرتبة على حسب ورودها

المصباح لبدر الدين بن النحوية	المثل السائر للبوصلی
الإيضاح للقزوينی	جنان الجناس للصفدی
المفتاح للسكاکی	الاساس للزخشری
الإتقان للسيوطی	المصباح المنیر للفيومي
ديوان المتنبي	شفاء الغليل للخفاجی
الطراز للعلاوی	الصباح للجوهري
نهاية الإيجاز للرازي	التهذيب للأزهري
كتاب الخطابة لأرسطو ، ترجمة	ذيل الفصيح للموفق البغدادی
الدكتور سلامة ،	القاموس للفيروزابادی
مقدمة نقد النثر للدكتور طه حسين	التكملة لعبد اللطيف البغدادی
مقدمة الإلياذة للبستاني	الكليات لأبي البقاء
فن الأسجاع لعلي الجندي	عروس الأفراح لابن السبكي
الإنباع والمزاوجة لابن فارس	حاشية المرشدي للمرشدي
ديوان أبي تمام	شرح عقود الجمان للسيوطی
الفلك الدائر لابن أبي الحديد	العمدة لابن رشيق
كشف اللثام للحموي	خزانة الأدب للحموي
النقد المنهجي عند العرب للدكتور	الخصائص لابن جني
مندور	أبديع لابن المعتز
ديوان أبي نواس	نقد الشعر لقدامة
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي	الصناعتين للعسكري
الأقصى القريب للتونخي	أسرار الفصاحة للجرجاني

معاهد التنصيص للعباسي
 المقدمة لابن خلدون
 الكشف للزحشرى
 بلاغة أرسطو للدكتور سلامة
 ديوان البارودى
 ديوان حافظ
 ديوان الأعشى
 الموازنة للأمدى
 الشعر والشعراء لابن قتيبة
 بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعدي
 الموشح للبرزبانى
 ديوان المعانى للعسكرى
 ديوان عمر بن أبى ربيعة
 المقامات للحيرى
 سلافة العصر للبدنى
 الشوقيات لأحمد شوقى
 حافظ وشوقى للدكتور طه حسين
 ديوان البحترى
 زهر الآداب للحصرى
 سقط الزند للمعري
 رسائل البديع
 نفح الطيب للبقرى
 البيان والتبيين " ماحظ
 ديوان زهير بن أبى سلمى
 ديوان الأخطل
 شرح هبة الأيام لمحمود مصطفى

تفسير القرآن للفخر الرازى
 ديوان مسلم بن الوليد
 الوساطة للقاضى الجرجاني
 حقائق السحر للوطواط
 حسن التوسل للحلبى
 صرخة فى واد لمحمود غنيم
 ديوان صبرى
 ديوان الأسمر
 ديوان ابن الرومى
 ديوان عبد المطلب
 حاشية الدسوقى
 مواهب الفتاح للبغرى
 ديوان امرىء القيس
 تزيين الأسواق للأنطاكى
 شرح الفوائد الغياثية للهولى عصام
 ديوان ابن الننيه
 د. البهاء زهير
 د. الشاب الظريف
 اللزوميات للمعري
 حياة الحيوان للدميرى
 ديوان ابن نباتة
 كنز البلاغة للسكاكى
 ديوان حسان
 د. النابغة
 د. ابن الأحنف
 مناهج التوسل للبسطامى

العقد الفريد لابن عبد ربه
تحرير التحبير لابن أبي الإصبع
الحماسة لأبي تمام
ديوان أبي فراس
النثر ومذاهبه للدكتور شوقي ضيف
إقامة الحجّة للحضرمي
ديوان الشريف الرضي
ديوان كشاجم
نهج البلاغة للإمام علي

مصارع العشاق للسراج
الملاحن لابن دريد
المحاضرات للراغب الإصفهاني
هبة الأيام للبديعي
وفيات الأعيان لابن خلكان
الأمالي للمرتضى
المواهب الفتحية لخمزة فتح الله
المزهر للسيوطي
الأمالي للقالبي